

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز « يوليو » سنة ١٩٦٩ م ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ

بقايا الفصح

تصرف المائة في طوائف من الألفاظ الفصيحة تصرفاً عجيباً ،
فإنما أن تنقل معانيها من الحقيقة إلى الجاز وإمّا أن تحوّل هذه المعاني عن
وجهها الشريف إلى وجهٍ دنيءٍ ، ثم نراها في كثيرٍ من الأحيان تحافظ
على معاني بعض التراكيب فلا تختلف هذه المعاني عما كانت عليه قبل ألف
سنة ، وقد نجد لها تطلق أسماءً فصيحة على بعض المسميات إلا أن هذه
المسميات لا تلبث أن تذهب فتعوت الأسماء بذهاها أو تكاد .

فمن الألفاظ التي حوّلت المائة معانيها عن وجهٍ إلى وجهٍ لفظة :
الشبرقة ، لقد عاشت هذه اللفظة في لغتنا المائة في دمشق حتى يومنا هذا ،
ولكنها لم تعش على أصل معناها فقد تصرفت المائة في هذا المعنى بعض
التصرف ، فمن معاني الشبرقة في اللغة الفصيحة : نهش البازي الصيد

وتمزيقه وقطع الثوب . . . أمّا الشبرقة في لمتنا العامة فلها معنى آخر ، فالشبرقة أن يشتري الولد من ههنا وههنا على سبيل التسلية ، فالأهل يدفعون إلى ولدهم يسيراً من المال ويقولون له اذهب إلى السوق وتشترق ، أي اذهب واشتر ما يروقك من مأكول أو مشروب ، اذهب وأنفق ما أعطيناك ، فأبيّ صلة بين معنى هذه اللفظة الفصيحة وبين معناها العامي ، أي صلة بين نهش البازي صيده وتمزيقه وبين شراء الولد ما يير به في السوق ، لانجد في الظاهر شيئاً من هذه الصلة ، ولكن إذا اجتهدنا في الأمر بعض الاجتهاد اهتدينا إلى ظيل من الصلة على سبيل المجاز ، فكما ينهش البازي صيده ويمزقه حتّى لا يبقى من هذا الصيد أثر فكذلك ينفق الولد ما دفعه إليه أهله من المال في شراء كذا وكذا حتى لا يبقى من هذا المال شيء ، فكما أن البازي نهش صيده فكذلك الولد نهش ماله أي صرفه كلّه . هذا تعليل قد نصيب فيه أو نخطئ ولكنّا تقبله على ظاهره حتى نهتدي إلى تعليل أقوى .

ومن هذا القبيل لفظه : النشّال الشائعة على ألسن أهل مصر ومعناها : السارق ، فالنشّال في اللغة الفصيحة كشدّاد من يأخذ حرف الجرّدة ، وهي الرغيف ، فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه ومن معاني : نشل الشيء أسرع نزعه ، من هذا يتبيّن لنا أنّ النشّال العامية أصلها فصيحة ولكنّ العامة تصرّفت في معناها فنقلت هذا المعنى من وجه إلى وجه على سبيل المجاز ، فكما أنّ من ينشل الشيء يسرع نزعه ، فكذلك من ينشل الشيء من الثياب يسرع نزعه بحيث لا تقع عليه عين صاحبه ، وكما أنّ النشّال الفصيحة من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه في القدر فيأكله دون أصحابه فكذلك النشّال العامية من يأخذ الشيء من ثياب صاحبه فيغمسه في جيبه ويستأثر به ، فالعنيان الفصيحة والعامي متقاربان ولكن هذا التقارب على سبيل المجاز .

ومن هذا النمط ، وإن كان الأمر يختلف بعض الاختلاف لفظة :
 الشعوذة ، فقد اتسمت العامة في معنى هذه المادة وفسحت لآفاقها ، فالشعوذة
 في اللغة خفّة في اليد وأخذ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في
 رأي العين وهو : مشعوذ ومشعوذ ، (بكسر الواو وفتحها) ، إلاّ أنّ
 العامة اختارت كسر الواو ولم تكتف بأصل معنى هذه المادة فقد وسّمت
 آفاقه ونقلته من معنى ضيق إلى معنى أرحب ، فلجأت إلى المجاز وأطلقت
 الشعوذة على كل نوع من أنواع الخفّة والسحر في السياسة أو العلم أو الدين
 ونظائر هذه الأمور ، فلم تبق الشعوذة في لغة العامة والخاصة خفّة في
 اليد أو أخذاً كالسحر ولكنها أصبحت خفّة في كثير من الأمور ، فهي
 خفّة في ستر حقائق الأشياء ، فالشعوذ يرنا السياسة بغير ما عليه أصلها
 في رأي العقل وكذلك يرنا العلم أو الدين أو ما شابه ذلك ، وإذا كان
 المشعوذ قد يطول أمر شعوذته في خفّة يده أو سحره فإن المشعوذ في أمور
 السياسة أو الدين أو العلم قد يُفضح أمره في هذه الخفة وفي هذا السحر
 فينكشف باطنه وتعرف شعوذته ، وما أظن أن لفظاً من الألفاظ أقوى
 من لفظ الشعوذة في الدلالة على هذه الطبقة من الناس .

بقيت لفظة لا تحتاج إلى كثير من التعليل ، فهي عامية ولكن أصلها
 فصيح ، تقول في لغتنا العامة : فلان ذلق ... أو فلان ذلق لسانه ...
 ونحن نريد بقولنا هذا أن فلاناً كان يكتم عنّا أشياء ولا يريد أن يوح بها
 إلاّ أنه في خلال حديثه قد تخونه الذاكرة فيووح بما كان يكتمه فنقول :
 فلان ذلق فقال كذا وكذا ... وقد تمدّي العامة هذه المادة وتستعمل
 الفعل المشدّد فنقول : ذلّقه حتى قال كذا وكذا ... ماذا نجد في اللغة ،
 إنّنا نجد : ذلق اللسان كفرح ذرب فهو ذلق وأذلق ... وذلّق اللسان
 كنصر وكرم فهو ذليق وذلّق بالفتح إلى آخر ما جاء من مشتقات هذا الفعل ،

فاللسان الذليق هو اللسان الحديد ، البليغ ، ثم نجد معنى أذلقه : أقلقه وأضعفه ، ولا زيد التوسع أكثر من ذلك في معاني هذه المادة ، فالقول العامي : ذلق فلان فقال كذا وكذا .. لا يطابق القول الفصيح : ذلق اللسان فهو ذليق بمعنى بليغ ولكن قول العامة : ذلقه فقال كذا وكذا .. لا يمد كثيراً عن أذلقه بمعنى : أقلقه وأضعفه ، فقد يأتي بعد هذا الإقلاق أو هذا الإضعاف حمل الإنسان على البوح بما يكتم ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الأغاني في الكلام على وقعة بدر ، فقد قبض على غلامين اعترفا بأنهما سقاة لقريش ولكن القوم رجوا أن يكون الغلامان لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، فالذي يهمننا منه إنما هو فعل : أذلقوهما وما أدسى إليه هذا الإذلاق ، أي هذا الإقلاق والإضعاف ، فقد أدسى إلى الاعتراف بما رضي الذين ضربوا الغلامين ، وإن كانت بقية الخبر تدل على أن الغلامين كانا صادقين فيها لقريش وليس لأبي سفيان .

فإذا رجعنا إلى قول العامة : ذلقه فقال كذا وكذا ... وجدنا شيئاً من التقارب بين القول العامي والقول الفصيح ، والفرق بينها أن العامة تستعمل : ذلقه بالتشديد ، واللغة الفصيحة تستعمل : أذلقه ، ومهما يكن من الأمر فإن الإذلاق أو التذليق إنما نتيجته البوح بما هو مكتوم سواء أوقع الإقلاق والإضعاف أو لم يقع .

وإذا انتقلنا من هذه الطبقة من الألفاظ إلى طبقة ثانية وجدنا أن العامة قد تصرف في بعض المعاني أقبح تصرف ، فمن الألفاظ الفصيحة لفظة : الملق ، (بكر العين وتسكين اللام) ، ومعناها في اللغة : النفيس من كل شيء ، والجمع : أعلاق وعلوق ، إلا أن هذه اللفظة لم يبق لها في لغة العامة معناها الفصيح ، فقد تصرف فيها أسوأ تصرف فأطلقت الملق

على كل مَحْنَثٍ أو مَتَفَتِّجٍ من الناس ، وهي تريد به أقبح الِذم ، ولا يسرُّ أحداً أن يقال فيه أنه علق ، واختارت العامة من صيغة الجمع : العلق وطرحت الأعلاق في لغتها ، فإذا قالت في جماعة من القوم أنهم علقو فقد بلغت من قبح تصويرهم في المجتمع كلِّ مبلغ ، وهكذا نجد أن بعض الألفاظ الفصيحة قد تنحدر في لغة العامَّة من ألقها الأعلى إلى الأفق الأدنى .

وإذا كانت العامَّة قد تنصرف في بعض الأوقات في معاني فئحةٍ من الألفاظ فإنها قد تحافظ في كثيرٍ من الأحيان على معاني تراكيب فصيحة استعملت في قديم أدبنا ، من هذه التراكيب : فلان يدي ورجلي الكلام معك ضائع ... يتعلَّم الحِجامة على رؤوس اليتامى والمساكين .

نجد في الأغاني في أخبار منصور النعري هذه العبارة : استقبلت منصوراً النعري يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً ، واجماً ، كثيراً فقلت له : ما خبرك ، فقال : تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي والقيمة بأمرى وأمر منزلي ... فهذه العبارة : فلان يدي ورجلي لا تزال مستفيضة في لغة العامَّة ، وقوتها ظاهرة ومعناها جزل ، فالذي يكون يدك ورجلك في أمورك إنما هو المومل عليه في هذه الأمور ، لا تستطيع أن تعمل عملاً دونه ، وهل يستطيع أن يتحرك من لا يده له ولا رجل ، وهكذا نجد أن التراكيب السهلة ذات المعنى الخصب قد تعيش دهرًا طويلاً في لغة العامَّة فضلاً عن لغة الخاصة .

ومثل هذا التركيب في القوة قولنا : الكلام معك ضائع ... في أخبار حماد الراوية في الأغاني أن الطرمّاح أنشده قصيدة في مسجد الكوفة ، فلما سمعها حماد ادّعاها ونفاها عن الطرمّاح ، فطال الكلام بينها في هذا الشأن حتى قال الطرمّاح لحمّاد : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع .

قد يشتدّ النزاع بين رجلين وقد يكون أحدهما على حقٍ فيحاول أن يقنع الآخر بالحجة ، أو أن يوبّخه إن كان يستنزم التوبيخ أو أن يدخل على ذهنه فكراً من الأفكار فيجده كأنه حائط ، لا يقنع ولا يلين ولا يأخذ بالصواب ، فتنفذ حيلته معه فلا يهتدي إلى سبيل من السبل في رده إلى الصواب ، فلا يجد في مثل هذه الحال أبلغ من قوله : الكلام معك ضائع ... فلا الحجة تنفع ولا التوبيخ يفيد ولا المنطق ينجح ، فكل أمرٍ من هذه الأمور ونظرائها لا طائل فيه ، فالكلام مع هذا الرجل ضائع ، فهذه العبارة تعني عن كل حجة وعن كل توبيخ وعن كل منطق فضلاً عن أنها تجنّبنا كل عاقبة غير محمودة ، فما أحسن شيوعها على ألسن العامة والخاصة حتى يومنا هذا .

أمّا التركيب الأخير : فلان يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامى والمساكين فلا تقلّ قوّته عن أخويه ، تقرأ في الأغاني في نسب أبي العتاهية وأخباره أن أبا العتاهية لما تنسك جلس يحجم اليتامي والفقراء ليضع من نفسه وليكتسب الثواب وهو لا يعرف ما يحتاج إليه كل واحدٍ من الناس إلى أن يخرج من الدم على قدر طبعه ممّا إذا زاد فيه أو نقص منه ضررٌ المحجوم ، فقال بشر لأبي العتاهية : ما أراك إلاّ أردت أن تتعلّم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين !

هذه العبارة شائعة على ألسن الناس ، عامتهم وخاصّتهم ، إلاّ أنهم يستعملون الرؤوس بدلاً من الأقفاء ، فقد يتناول أحدنا لأمرٍ من الأمور ولم يأخذ لهذا الأمر عدته ولا هيتاً له أسبابه ولا عرف مصادره وموارده ، ومع هذا فهو يدّعي العلم بهذا الأمر فيأمره على جهله به والله أعلم بما يتم فيه على يده من الأذى ، ولكنّه يريد أن يتعلّم الحجامة على رؤوس اليتامى .

ولا أريد أن أختِم هذا المقال دون الإشارة إلى لفظة قد تدلّنا على موت الألفاظ ، فإن الألفاظ حياة ، إن لها ميلاداً وموتاً ، من الألفاظ الشائعة في بئاننا لفظة : المشرقة ، فالمشرقة ، مثلثة الراء ، موضع القعود في الشمس بالشتاء ، وقد حافظت الاممّة على هذا المعنى في لغتها ، فلم تنحرف هذه اللفظة عن معناها الفصيح ، وإذا كانت المشرقة مثلثة الراء فإن الاممّة اختارت فتح الراء في كلامها ، إلاّ أن هذه اللفظة التي عاشت في دمشق زمناً طويلاً قد أوشكت أن تموت ، والسبب في ذلك عمراننا الحديث ، فالدور القديمة لها مشرقات ، وكان أهل هذه الدور يقدمون فيها بالشتاء للدفاء أو ينثرون فيها غسيلهم ، فهي من أصل الدور وهي غير سطوح الدور ، ولكن عمراننا الحديث قد خلا من هذه المشرقات فأكثر الأبنية أصبحت ذات طيقان وكلّ طاقٍ خالٍ من المشرقة ما خلا الطاق الأعلى فإن له سطحاً فأهله يقولون : السطح ولا يقولون : المشرقة ، وعلى هذا نجد أن هذه اللفظة التي لا تزال تعيش في حارات دمشق القديمة قد ماتت في الحارات التي استفحل فيها العمران الحديث .

شفيق جبري





فقيه العروبة

الأستاذ الكبير ساطع المصري

فقيه المروبة

الأستاذ ساطع الحصري

في صبيحة يوم الثلاثاء الواقع في الخامس من شوال سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٦٨ م، روع العالم العربي صوت من بغداد يعني 'إليه الأستاذ الكبير ساطعاً الحصري' ، وكان لهذا الصوت صدى 'حزن وألم عمّ أرجاء الوطن العربي كافة' ، فقد خسر العرب بوفاته واحداً من أكبر علماء التربية والتعليم لديهم ، وفقدوا رائداً من أقدم رواد النهضة العربية الحديثة ، وداعية من أشد الدعاة إخلاصاً للفكرة العربية البتامة ، ومناضلاً من أشد المناضلين حماسة في الدفاع عن « القومية العربية الماصرة » أفنى سمعه وبدد ضياء عينيه في تأريخ « الثورة العربية » ، وتحديد معنى « القومية العربية » وفي الدفاع عنها بالتصدي لكل من خطّ حرفاً ليس في صالحها ، أو فاه بكلمة ليست في جانبها ، أو صدرت عنه حركة قد تسيء إليها ، كان صلباً في عقيدته ، لا تخلو ردوده أحياناً من قسوة ، كما كان ثابتاً على رأيه ، يندر أن يتزعزع في مواقف الدفاع ، ولو تحالف عليه كل الأقوياء سواء ببراكزم أو بحبهم له أو بتقديره إياهم ، وقد حلا للكثيرين من الكتاب ورجال الصحافة إطلاق لقب « أبو العروبة » عليه ، فقد عاش مؤمناً بالمروبة ، منافحاً عن الأصالة العربية ، ومات عن ثروة ضخمة من المؤلفات حاول فيها ترسيخ مفهومه للقومية العربية ، وإخغام خصومها من شعوبيين أو من عرب تائبين -

ولقد خسر مجمع اللغة العربية بدمشق بموت الأستاذ ساطع الحصري ،
 عضواً من أبرز أعضائه الواسلين ، فقد انتخبه المجمع في الجلسة التي عقدها
 في ١٧ من شباط (فبراير) سنة ١٩٥٥ م عضواً تقديراً لمكانته العلمية ،
 واعترافاً بما أداءه للعربية من خدمات بآرائه الصائبة ومقترحاته المفيدة ، وقد صدر
 مرسوم جمهوري بتاريخ ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٥٥ م .
 رحم الله ققيدنا الكبير رحمة واسعة ، فقد كان عالماً من أعلام الفكر
 العربي المعاصر ، وفيما يلي نبذة عن نشأته وحياته وآثاره .

★ ★ ★

نشأته وحياته

كان محمد هلال الحصري ، من أهالي مدينة حلب في شمالي سورية ،
 قد قضى شطراً من شبابه في مصر يدرس في الجامع الأزهر علوم الشريعة
 والعربية ، فلما أجزى ، عين قاضياً في مدينة دير الزور ثم نقل إلى مدينة حماة
 السوريتين ، ثم عين وتيساً لمحكمة استئناف ولاية اليمن ، وفي مدينة
 صنعاء أقام القاضي الجديد سنة أو تزيد ، فلما كان الخامس من شهر آب
 (أغسطس) عام ١٨٨٠ ميلادية الموافق لسنة ١٢٩٧ للهجرة ، ولد له فيها
 غلام أسماه «ساطعاً» .

لم يقم محمد هلال الحصري الحلبي في صنعاء ، أكثر من سنتين نقل بعدها
 إلى أضنة ثم إلى أنقرة من بلاد الأناضول ، فإلى طرابلس الغرب في ليبيا ،
 ثم أعيد ثانية إلى اليمن ، فإلى قونية في تركيا ، فثانية إلى طرابلس الغرب ،
 وهكذا كان الموظفون في الدولة العثمانية لا يستقر أحد في وظيفة عين فيها
 أكثر من سنتين على الأعم الأغلب ، وكثيراً ما كان أطفال هؤلاء الموظفين
 ينتقلون مع آبائهم كما وقع لساطع وليد الحصري الحلبي .

وعندما انتقلت وظيفة القاضي المصري إلى طرابلس الغرب للمرة الثانية سنة ١٨٩٣ م ، كان ساطع ، الذي فاته الدراسة الابتدائية النظامية ، قد استطاع بجهده الشخصي واجتهاده الشديد ، دخول القسم الإعدادي من « المدرسة الملكية الشاهانية » في استانبول . فتركه الأسرة المسافرة إلى ليبيا تلميذاً داخلياً في هذه المدرسة ، على أن يلحق بها في العطلة الصيفية ، وقد لحق بها في عطلة أول سنة ، ولما كانت عطلة السنة الثانية ، لحق بأسرته وهي في بني غازي حيث كان أخوه الأكبر يتولى وظيفة النيابة العامة فيها ، ولم تأت عطلة السنة الثالثة، إلا وكانت وظيفة رب الأسرة قد انتقلت إلى استانبول، فاستراحت واستراح الشاب الساطع ، واستطاع أن يكمل دراسته العالية في المدرسة الملكية سنة ١٩٠٠ م بتفوق ملحوظ .

عين ساطع المصري ، بعد تخرجه مباشرة ، مدرساً للعلوم الطبيعية في إعدادية (يانيا) عاصمة مقاطعة أيروس وهي اليوم جزء من دولة اليونان ، فظل في هذه المدرسة إلى سنة ١٩٠٥ م . وخلال مدة السنوات الثلاث الأخيرة من إقامته في يانيا عين « مأمور معية » ، إذ كان أمثاله يمينون كذلك تمهيداً لتمينهم في الوظائف الإدارية ، مع السماح له بتدريس بعض ما كان يتولى تدريسه .

وفي سنة ١٩٠٥ م عين ساطع المصري قائماً لقضاء (رادو وبشته) في ولاية قوصوة ، ذي الأثرية البلغارية ، وكان القضاء سياسياً في المنطقة النمساوية من المراقبة الدولية التي كانت قد فرضت على ولايات ماكدونيا الثلاث ، ثم نقل ساطع قائماً لقضاء (فلورينه) في ولاية هناستر ، وكان هذا القضاء في المنطقة الإيطالية من المراقبة الدولية .

بقي ساطع المصري قائماً في (فلورينه) حتى الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م ، ولما كان هواء مع الانقلابيين ، عهدوا إليه يوم إعلان الدستور بمهمة شرح

أهدافهم في عاصمة الولاية « مناستر » فقام بخطب في الجماهير يحمهم لتأييد الانقلاب ، وفي وفود المهنيين به يشكروهم على تهنيتهم .

ولم يمض على إعلان الدستور شهران ، إلا وأحب ساطع الحصري العودة إلى العاصمة ، فترك الوظائف الإدارية ، واغياً في العودة إلى تولى التعليم في المعاهد العالية ، فكان بدءاً من نهاية عام ١٩٠٨ م : أستاذاً للتربية في جامعة استانبول (دار النون) وأستاذاً لعلم الأوقام في المدرسة الملكية الشاهانية ، وقد أطلق عليها فيما بعد اسم « مدرسة الأوقام الإدارية والسياسية » ، وأستاذاً لعلمي التربية والاجتماع في مدرسة (دار اخلافة العملية) وفي (دار المعلمين العالية) . وقبل أن ينقضي عام ١٩٠٩ م ، عين ساطع الحصري مديراً لدار المعلمين ، فأحدث تعيينه هزة كبيرة في الدار ، إذ أعقبه حدوث انقلاب جذري في نظامها وأصول التدريس فيها ، وإقامة نظام جديد مبني على أحدث أساليب التعليم ، مما كان له أثر كبير في تبديل اتجاهات التعليم في جميع ملك الدولة العثمانية .

وقام ساطع الحصري أثناء توليه مديرية (دار المعلمين) بتأسيس مدرسة أطلق عليها اسم (المدرسة الحديثة) متبعاً في أنظمتها أحدث أساليب التربية والتعليم التي عرقتها البلاد الأوربية .

احتل ساطع الحصري ، بما قام به من تبديل في نظم التربية والتعليم وبما نشره من مؤلفات ومقالات ، مكانة عالية في الدولة العثمانية وتمتع بمركز علمي مرموق ، وأخذ اسمه مقروناً بالتقدير يتردد في كل المحافل العلمية والتربوية ، وقد انتخب عضواً في « جمعية المطبوعات العثمانية » منذ يوم تأسيسها ، وكان من آخر المراكز التي تبوأها في العهد العثماني رئاسة « مؤتمر المطبوعات » .

ظل ساطع الحصري يعمل ويدأب في إصلاح نظم التربية والتعليم في الدولة العثمانية ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، ولكنه ماكاد يسمع أبناء جلاة الأتراك عن دمشق ودخول الجيش العربي إليها ، إلا وتطلع إلى هذه الدولة الفتية تقوم في دمشق بعد زمن طويل من سقوط الدولة العربية الكبرى ، فما أن تلقى إشارة تدعوه الحكومة العربية بها إلى سورية ، حتى غادر استانبول ، رغم ما عرضه عليه الأتراك للبقاء في منصبه ، ووصل دمشق في مطلع عام ١٩١٩ م ، فبادرت الحكومة العربية فيها إلى تكليفه بالإشراف على معارف الدولة فكان على التوالي :

١ - مقتشاً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١٦/٤/١٩١٩ حتى

٣٠/٤/١٩١٩ م .

٢ - مديراً عاماً للمعارف في سورية ، من تاريخ ١/٥/١٩١٩ حتى

٩/٣/١٩٢٠ م .

ويوم أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية ووضع دستورها الأول الملكي بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م ، قامت في دمشق أول حكومة عربية دستورية ، واختير ساطع الحصري وزيراً للمعارف فيها ، فمارس مهام الوزارة من تاريخ ١٠/٣/١٩٢٠ حتى تاريخ ٢٧/٧/١٩٢٠ م ، يوم احتل الجيش الفرنسي دمشق ليفرض على الشعب السوري ما أسمته عصبة الأمم بـ «الانتداب» .

غادر ساطع الحصري سورية مع ملكها البعد عن العرش فيصل الأول ، مراقباً مليكه في رحلاته التي انتهت به ملكاً على العراق ، وفي بغداد تولى الحصري المناصب التالية :

١ - معاون وزير المعارف من تاريخ ٥/٣/١٩٢٢ إلى ١٧/١/١٩٢٣ م .

٢ - مدير المعارف العام من تاريخ ١٧/١/١٩٢٣ إلى ٣١/٨/١٩٢٧ م .

٣ - أستاذ علم التربية في دار المعلمين العالية من تاريخ ١٩٢٧/٩/١ حتى

١٩٣١/١٠/١ م .

٤ - مراقب التعليم العام من تاريخ ١٩٣١/١٠/١ حتى ١٩٣١/١٢/٢٢ م .

٥ - عميد كلية الحقوق من تاريخ ١٩٣١/١٢/٢٣ حتى ١٩٣٤/١٠/١١ م .

٦ - عميد كلية الحقوق ومدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٤/١٠/١٢ حتى

١٩٣٥/٩/١٦ م .

٧ - مدير الآثار القديمة ومراقب التربية والتدريس العام ، من تاريخ

١٩٣٥/٩/١٦ حتى ١٩٣٦/٩/١٢ م .

٨ - مدير الآثار القديمة من تاريخ ١٩٣٦/٩/١٣ ، وظل يتولى هذا المنصب

حتى الحادي عشر من حزيران (يونيو) سنة ١٩٤١ م ، يوم أبلغت الحكومة العراقية ، التي ألفت عقب فشل الثورة ضد الانكليز ، ساطعاً الحصري مدير الآثار القديمة ، قواراً بنزع الجنسية العراقية عنه بوصفه سوري الأصل ، وبضرورة مغادرته الأراضي العراقية ، فغادرها باليوم نفسه ووصل مدينة بيروت وفيها أقام أربع سنوات .

وفي أعقاب جلاء الجيوش الفرنسية عن سورية سنة ١٩٤٥ م ، قامت

الحكومة السورية بتكليف ساطع الحصري بمهمة الإشراف على إعادة تنظيم المعارف ، وعينه مشاوراً فنياً لها لشؤون التربية والتعليم ، وظل يقوم بهذه المهمة ثلاث سنوات .

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٧ م ، دعت وزارة المعارف المصرية لإلقاء

محاضرات في اجتماعات التربية في معهد التربية في القاهرة ، فاستمر يلقي المحاضرات في هذا المعهد مدة ثلاث سنوات أيضاً ، قامت خلالها جامعة الدول العربية بترشيحه لمنصب المشاور الفني للإدارة الثقافية ، فشغل هذا المنصب من أول سنة ١٩٤٧ م ، بما عرف فيه من دأب على العمل وإخلاص فيه ،

حتى نهاية عام ١٩٥٠ م ، إذ بدا له أن يستقيل منه فاستقال . على أنه قبل عرض الإدارة الثقافية بأن يدير معهد الدراسات العربية العالية ، الذي قررت جامعة الدول العربية بمساعيه افتتاحه في القاهرة ، واستلم إدارة المعهد اعتباراً من أول نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٣ م ، متولياً فيه كرسي « القومية العربية » . وفي سنة ١٩٥٦ استقال من إدارة المعهد ، ولم تمض سنة دراسية واحدة بعد ذلك حتى قرر ترك المعهد نهائياً ، لأنه لم يستطع تطبيق جميع ما يدين به من آراء ، فاستقال من التدريس أيضاً .

هذا وكانت الحكومة العربية السعودية قد كلفته خلال سنة ١٩٥٤ م ، بدراسة أحوال المعارف في المملكة ، وتقديم تقرير عن وسائل إصلاحها ، فقام بهذا الواجب خير قيام ضمن الحدود المرسومة وبموجب ما رآه مفيداً .

الدراسات التي اشتهر بالفقيد ونبغ فيها

عندما كان ساطع الحصري في « المدرسة الملكية الشاهانية » في استانبول ، لم يكن يرضى لنفسه الاكتفاء بالمحاضرات النظامية تلقى عليه ، وبالكتب المحددة المطلوبة منه ، فقد خلق شديداً الرغبة بالمعرفة والتقصي ، محباً للدراسة والتحصيل ، مولماً بالعلوم الرياضية ، مندفعاً وراء كشف دقائقها ، فأخذ يلتهم كل ما تقع عليه يده من كتب ومجلات تبحث فيها ، مستميراً من أصدقائه طلاب مدرستي الهندسة والأركان الكتب المقررة عليهم ، وبدأ يُعرف بقدرته على حل العويص من مسائل الرياضيات العالية ، فأطلق عليه رفاقه اسم « آوشيمد » وبه اشتهر مدة طويلة من الزمن .

وكما أولع ساطع الحصري بالعلوم الرياضية ، أولع بالعلوم الطبيعية ، واستهواه تشريح الحيوانات وتحنيطها ، فأقن ذلك ، حتى كان في طليعة ما يفعله في المدارس التي تولى إدارتها ، إنشاء متاحف لتاريخ الطبيعي فيها .

ومن العلوم التي استهوت فقيدها أيضاً ، علوم النفس والتربية والاجتماع ، فأخذ يتبحر فيها ويفوص وراء مشاكلها ، حتى غدا أستاذاً الذي يشار إليه بالبنان في استانبول يوم كان فيها ، وعيمد أساتيدها في أرجاء العالم العربي فيما بعد .
ومما ساعد ساطعاً ، في إتقان هواياته وإتقان أبحاثها ودقائقها ، الرحلات الدراسية التي قام بها إلى البلاد الأوروبية خلال أعوام ١٩١٠ - ١٩١٧ م ، فقد زار كلاً من إيطاليا وسويسرة وفرنسة وانكلترة وبلجيكا وهولندة وألمانية ورومانية وبلغارية ، دارساً في كل منها نظم التربية والتعليم المطبقة والسيوب التي يشكى منها ، والاتجاهات الحديثة التي يفكر فيها المصلحون في مختلف البلاد المذكورة .

اشترك ساطع الحصري في المؤتمر الدولي الثاني للتربية الأخلاقية في لاهاي سنة ١٩١٢ م ، وكان من أعضاء عمدة معهد جان جاك روسو الذي أسس في صيف السنة نفسها ، كما اشترك في المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع في استانبول سنة ١٩٣٢ م ، ممثلاً لدولة العراق ، كما مثله في المؤتمر الدولي للحفريات الأثرية في القاهرة سنة ١٩٣٧ م . وقد جرى انتخابه سنة ١٩٣٨ م عضواً في لجنة المتاحف الدائمة النبثقة عن اللجنة الدولية للتعاون الفكري .

★ ★ ★

مؤلفات الفقيه وآثاره

كان الفقيه من أكثر المفكرين العرب تدويناً لدراساته وبحوثه وآرائه والحوادث التي وقعت معه ، وقد نشر أكثرها كتباً يتداولها الناس ، إلى جانب العديد من مؤلفاته في مختلف العلوم والفنون .

كانت آثار فقيدها المطبوعة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، مكتوبة بالتركية اللغة الرسمية للدولة العثمانية ، وهي تنقسم إلى قسمين بحسب زمن كتابتها :

القسم الأول : آثاره قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م

وهي عبارة عن سلسلة من الكتب المدرسية في عديد من العلوم الطبيعية ، وكانت وزارة المعارف العثمانية قررت تدريسها في جميع أنحاء الدولة ، وتبين موضوعاتها من المناوين التالية :

- ١ - معلومات زراعية ؛ ٢ - دروس الأشياء (للمدارس الابتدائية) .
- ٣ - علم الحيوان ؛ ٤ - علم النبات ؛ ٥ - تطبيقات زراعية (للمدارس الثانوية) .

وللفقيد مقالات كثيرة في مسائل عملية ، وفي وصف مخترعات حديثة ،

نشرت له في المجلات العلمية والأدبية ، وعناوين بعضها كالتالي :

- نحو القطب - التلغراف اللاسلكي - الأشعة المجهولة - الحياة في المناجم - مناظر الغروب : في الأرض ، وفي الكواكب .

القسم الثاني : آثاره بعد إعلان الدستور

أ - الكتب التي ألفها الفقيد :

- ١ - كتاب « فن التربية » ويشتمل على مجموعة دروسه في دار المعلمين ، وهو في مجلدين .
- ٢ - « اتوغرافيا » [علم الأقاليم] ، وهو كتاب يشتمل على مجموعة دروسه في المدرسة الملكية .
- ٣ - « تقارير » [لايحه لرم] ، وهي عبارة عن كتاب يتضمن مجموعة التقارير التي قدمها إلى وزارة المعارف ، بعد عودته من رحلته الدراسية الأولى سنة ١٩١٠ م .
- ٤ - « للوطن » وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات في الوطنية والتربية الوطنية .
- ٥ - « الأمل والعزم » وهو كتاب يتضمن مجموعة محاضرات .
- ٦ - « اليابان واليابانيون » عنوان محاضرة عن نهضة اليابان وعواملها .

م (٢)

ب - المجلات التي عمل الفقيه على إصدارها :

- ١ - « أنوار العلوم » ، وهي مجلة في العلوم والكشوف العلمية ، وقد صدر منها مجلد واحد .
- ٢ - « التدريسات الابتدائية » ، مجلة تعليمية صدر منها ثلاثة مجلدات .
- ٣ - « مجلة التربية » ، صدر منها عشرة أعداد فقط ، وكانت الأربعة الأولى مصورة .

ج - المقالات التي دمجها الفقيه :

اشتهر الفقيه بالمقالات الكثيرة التي كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات ، منتزاً أي مناسبة يستطيع فيها أن يبدي برأيه ، أو يدافع عن مبادئه أو يشرح فيها أفكاره وعقيدته .
وليس من السهل على المرء تقصي كل ما كتبه الفقيه ونشره ، على أن معظم مقالاته كانت تربوية واجتماعية ، وكان قسم كبير منها تقدماً أو دراسة للقضايا الإصلاحية الكبرى ، وبعضها كان سياسياً ؛ وكان من أم المقالات التي نشرها في العهد العثماني ، وكان لها صداها في الرأي العام المقالات التالية :

- ١ - آثار الاستبداد وبذوره الباقية (أربع مقالات متتابعة) .
- ٢ - في سبيل إصلاح المعارف .
- ٣ - نظرية شجرة الطوبى والتفكير الهامي .
- ٤ - دور كهيم ونظوياته الاجتماعية (نقد) .
- ٥ - دفاع عن مدحت باشا .
- ٦ - أضرابا التنظيمات .
- ٧ - معروض تورينو وطرابلس الغرب .
- ٨ - خطاب إلى طلعت بك .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الفقيه نشر مقالات عديدة خلال سنتي ١٩٠٨ و ١٩٠٩ م في مجلة « نيتو حقيقت » ، التي كانت تصدر في مناسير ، بصورة سرية قبل إعلان الدستور ، وبصورة علنية بعد إعلانه ، وظل الفقيه يرأسها ويكتب فيها إلى ما بعد انتقاله إلى استانبول .

★ ★ ★

أما آثار الفقيه التي تؤلف ثروة ضخمة للمكتبة العربية ، فهي على نوعين أيضاً :
النوع الأول : ١ - مقالات منشورة في مختلف صحف ومجلات البلاد العربية ، ضمن الفترات الزمنية التالية :

أ - خلال وجود الفقيه في سورية (١٩١٩ - ١٩٢٠ م) ، وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، نشر فيها عدة مقالات تربوية ووطنية .

ب - خلال وجود الفقيه في العراق (١٩٢٢ - ١٩٤١ م) وقد عمل على إصدار مجلة باسم « التربية والتعليم » ، أيضاً ، وصدر منها خمسة مجلدات بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣١ م ، وفيها كثير من المقالات والبحوث القيمة التي كتبها الفقيه .

ج - بعد إخراج الفقيه من العراق ، وقبل إقامته في مصر ، نشر كثيراً من المقالات والمحاضرات والأبحاث وقد جمع أكثرها في كتب مستقلة ، وكانت صحف بيروت ودمشق والقاهرة ومجلاتها ، ومجلة « الرسالة » في طليعتها ، هي الميدان الذي كان قعيدنا يناضل على صفحاتها .

د - بعد استقرار الفقيه في القاهرة ، أخذ ينشر آراءه ودراساته نشرًا منظماً ، كونه أهم مؤلفاته القيمة .

النوع الثاني : - الكتب ، وفيما يلي ثبت بما عرفناه منها :

- ١ - « القراءة الخلدونية » ، (الألفباء) .
- ٢ - « مرشد القراءة الخلدونية » ، (طريقة تعليم الألفباء) .
- ٣ - « مساعد القراءة الخلدونية » .
- ٤ - « دروس الأشياء » ، في أربعة أجزاء .
- ٥ - « أصول التدريس » ، و « أصول تدريس اللغة العربية » ؛ كل بحث في جزء .
- ٦ - « رسائل إلى بول مونزو » ، نظرات نقد لتقرير مونزو عن معارف العراق .
- ٧ - « الإحصاء » ، مجموعة محاضرات في كلية حقوق بغداد .
- ٨ - « آراء وأحاديث في التربية والتعليم » .
- ٩ - « آراء وأحاديث في الوطنية والقومية » ، وهذا الكتاب والذي قبله تضمننا مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات التي نشرها الفقيه في مختلف الصحف والمجلات ، وقد طبعا في القاهرة سنة ١٩٤٤ م .
- ١٠ - « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ، نشرت أولاً في بيروت سنة ١٩٤٤ ، ثم أعيد طبعا منقحة مزيده في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ١١ - « يوم ميلاد » ، مذكرات الفقيه عن الأيام الأخيرة للدولة العربية السورية سنة ١٩٢٠ م . وقد طبع في بيروت أكثر من مرة .
- ١٢ - « تقارير » ، وتتضمن دراسة مستفيضة حول المعارف في سورية ، صدرت في جزأين طبعا في دمشق ، الأول سنة ١٩٤٤ والثاني ١٩٤٥ م .
- ١٣ - « صفحات من الماضي التويب » ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ م .
- ١٤ - « آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة » ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م .

- ١٥ - د آراء وأحاديث في التربية والاجتماع ، ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ١٦ - د آراء وأحاديث في القومية العربية ، ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥١ م وأعيد طبعه في بيروت للمرة الرابعة .
- ١٧ - د العروبة بين دعائها ومعارضتها ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٢ م .
- ١٨ - د محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ، طبع لأول مرة في القاهرة سنة ١٩٥١ م ، وأعيد طبعه في بيروت للمرة الخامسة .
- ١٩ - د العروبة أولاً ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٥ م . ثم أعيد طبعه فيها أيضاً للمرة الخامسة .
- ٢٠ - د دفاع عن العروبة ، ، طبع للمرة الأولى في بيروت سنة ١٩٥٦ م . وقد أعيد طبعه فيها للمرة الثالثة سنة ١٩٦٨ م .
- ٢١ - د آراء وأحاديث في اللغة والأدب ، ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٨ م .
- ٢٢ - د المحاضرة الافتتاحية ، في معهد الدراسات العربية العالية ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٢٣ - د البلاد العربية والدولة العثمانية ، ، طبع للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٧ م ، وأعيد طبعه للمرة الثالثة في بيروت طبعة مزيدة ومنقحة .
- ٢٤ - د حوليات الثقافة العربية ، ، وهي مجموعة دراسات وإحصائيات عن الثقافة العربية في أرجاء الوطن العربي ، صدرت منها الأجزاء التالية :
- ١ - السنة الأولى : عن السنوات التي سبقت ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

- ٢ - السنة الثانية : عن سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، وقد طبعت
في القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
- ٣ - السنة الثالثة : عن سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، وقد طبعت
في القاهرة سنة ١٩٥٣ م .
- ٤ - السنة الرابعة : عن سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، وقد طبعت
في القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٥ - السنة الخامسة : فيها صلة ما انقطع حتى سنة ١٩٥٧ ، وقد طبعت
في القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- ٢٥ - « البلاد العربية منذ ظهور الإسلام » ، خريطة زمنية طبعت في
القاهرة سنة ١٩٥٤ م .
- ٢٦ - « آراء وأحداث في الوطنية والقومية » ، وقد طبعت دار العلم
للملايين في بيروت للمرة الخامسة سنة ١٩٦٦ م .
- ٢٧ - « حول الوحدة الثقافية العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٢٨ - « ماهي القومية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت للمرة الثانية .
- ٢٩ - « الاقليمية .. جذورها وبذورها » ، وقد طبعت دار العلم للملايين
في بيروت للمرة الثانية سنة ١٩٦٥ م .
- ٣٠ - « حول القومية العربية » ، وقد طبعت دار العلم للملايين في بيروت
سنة ١٩٦٧ م .
- ٣١ - « ثقافتنا في جامعة الدول العربية » ، وقد طبع في بيروت .
- ٣٢ - « مذكراتي في العراق » ، الجزء الأول وفيه حوادث سنة ١٩٢١
حتى ١٩٢٧ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٧ م .
- ٣٣ - « مذكراتي في العراق » ، الجزء الثاني وفيه حوادث سنة ١٩٢٧
حتى سنة ١٩٤١ م ، وقد طبعت دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٨ م .

بين الفقير وبينني

تربطني بالفقيد الكبير صلة ودّ وتقدير عظيمة ، تمتد جذورها إلى سنة ١٩٣٩م يوم كنت في بغداد أزوره مع إخوان لي من شباب العرب المتحمسين لعروبته . كان الفقيد وهو شيخ يثني نحو الستين من عمره ، يستحوذ على كل تقديرنا واحترامنا ، لاندفاعه وحماسه في الدفاع عن القومية العربية ، حماسه لا تعدلها حماسه الشباب ولا اندفاعه . وتوثقت صلاتي بالفقيد عندما أقام في دمشق سنة ١٩٤٥ م ، ثم اشتدت بعد أن أقام في القاهرة وكثر ترددي عليها ، أزوره أويزورني فأقضي معه ساعات أفيد فيها من عقله وخبرته وقوته في الدفاع عن آرائه .

وعندما أخرجت مطابع دار العلم للملايين في بيروت ، كتاب « حول القومية العربية » لفقيدنا الكبير سنة ١٩٦١ م ، قمت بتعريف الكتاب بكلمة نشرتها مجلة الجمع العلمي العربي في الجزء الأول من المجلد السابع والثلاثين لسنة ١٩٦٢ م ، وقلت مستهلاً تعريفني بالكتاب : [هذا كتاب جديد تصدره المطبعة العربية للعلامة ساطع الحصري ، إنه الحلقة الثامنة من السلسلة القومية ، سلسلة الكتب التي نشرها الأستاذ الحصري على الناس ، يتحدث فيها حديث العلم الواثق بعلمه ، وحديث المؤمن القوي بالإيمان بما يمتقده ، يتحدث فيها عن القومية بمفهومها العام ، وعن القومية العربية بصورة خاصة] .

وكان من تقدي للكتاب فقد التعريف الذي أورده الأستاذ الحصري بأن : « العربي من تكلم بالعربية » ، وقد قلت في ذلك : [.. لا بد لنا إذن من إضافة عنصر الإرادة إلى هذا التعريف الناقص حتى يتم بقولنا :

«العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً» (١) ، ومن المعلوم أن الشعور والإرادة هما العامل الثنائي الأساسي في قيام جميع القوميات . وأدّى تقدي هذا إلى ردّ وتوضيح كتبه الأستاذ الحصري ، ثم إلى تعقيب مني على ردّه ، وقد نشر في الجزء الثاني من المجلد المذكور من مجلة مجمع دمشق . على أن ما دار بيني وبين الفقيه الكبير من جدال حول تعريف العربي ، وما كان يدور بيننا أحياناً من مناقشات حول القومية عامة ومدى علاقتها بالإسلام خاصة ، ما كان يفسد ما بيننا من ودّ صافٍ وتقدير عظيم ، صورته في كلمتي التي أشرت إليها آنفاً قائلاً فيها : [إن الأستاذ الحصري يضفي على كل ما يكتبه أيضاً من إيمانه بالقومية العربية واعتزازه بها ، فيزيد المؤمن إيماناً والمعتز اعتزازاً ، وهو يفرض على قارئه الاحترام ، ولو كان له رأي يخالف رأيه ، أو كان يحتفظ لنفسه بقيودٍ على بعض نظرياته ، وذلك لأن من يكتب عن عقيدة واسعة وإيمان لم يعثره شك ، يوم كان المؤمنون قلة ، وظلام المستقبل يكتنفهم ، جدير بالاحترام] .

* * *

من أصدقاء موت الحصري

مات ساطع الحصري ، بعد حياة مديدة قاربت التسعين من السنين عدداً ، وكانت حافلة بالحركة الدائمة والنشاط الجهم والأفكار القيمة العميقة ، وأحدث موته صدى أليماً في أرجاء الوطن العربي ، وحزننا لدى المفكرين عامة ، ولدى دعاة القومية العربية منهم بصورة خاصة ، وكان من أهم الأصدقاء الدالة على مكانة الفقيه في العالم العربي إعلان (اتحاد الصحفيين العرب) عن إقامة جائزة

(١) واضح هذا التعريف هو الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي الراحل . انظر كتابه عن « الاستعمار » ج ١ ص ١٣ القاهرة ١٩٦٥ م .

دروية يطلق عليها اسم (جائزة ساطع الحصري السنوية) ، وقد أعلن عن تخصيص ثلاث جوائز لسنة ١٩٦٩ م ، ذات قيمة مالية كبيرة تدفع لأحسن ثلاثة بحوث تقدم في أحد الموضوعات التالية :

- ١ - أثر القضية الفلسطينية في حركة الوحدة الدوية .
- ٢ - التكامل الاقتصادي العربي .
- ٣ - موقف ساطع الحصري من النظم التربوية الحديثة .

★ ★ ★

رحم الله ساطعاً رحمة واسعة وغفر له وأنزله منازل الأبرار
من عباده المؤمنين .

عدنان الخطيب



نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

- ٧ -

٢٠٥ (الجنب)

Plèvre (f.)

ف

Pleura

ز

في الأصل . - الجنب ، مجتمع الأضلاع وأسفل الضلوع .
في (ق) . - الجنب والجانب والجنبه شيق الإنسان وغيره والجنب
معظم الشيء وأكثره .

قلت : في الطب يغلب استعماله مع الغشاء .
في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - الجنب ، كيس لافتحه له من غشاء
مصلي ، يُغطّي الزور ويُتلف الرئتين اليمنى واليسرى .
ما أضفته :

١ - غشاء جنب رقي

Plèvre cervicale

ف

Cervical pleura

ز

٢ - غشاء جنب ضلعي

Plèvre costale

ف

Costal pleura

ز

- ٤٦٤ -

٣ - غشاء جنب حجابي

Plèvre diaphragmatique ف
Diaphragmatic pleura ز

٤ - غشاء جنب متصفي

Plèvre mediastinale ف
Mediastinal pleura ز

٥ - جنبي

Pleural ف ، ز

٦ - ذات الجنب

Pleurésie ف

Pleurisy ز

٧ - ذات الجنب (= يرسام)

Pleurite ف

Pleuritis ز

٨ - جناب

Pleurodynie ف

Pleurodynia ; pleuralgia ز

★ ★ ★

٢٠٦ الخلف = القصيراي

Côte flottante ف

Floating rib ز

في الأصل . - وما يلي البطن يقال له الخلف وهي أيضاً القصوى .
(الخلف ما قصر من أضلاع الجنب ودق . شرح المحقق) .

في (ق) . - الخلف تقيض القدام ؛ وأقصر أضلاع الجنب . ج خلوّف ؛
والظهر وما ولي البطن من صغار الأضلاع ؛ وحلمة ضرع الناقة . . الخ .
والقصوى ، والقصبا في (ق) أيضاً : الغاية البعيدة .

ملاحظتي . - على اعتبار (القصى) الغاية البعيدة ؛ فالمذكورة في الأصل مرادفةً للحدف تكون صفة لمحذوف هو (الضلع) (أي الضلع القصى) . وفي رأيي أنها - وإن صحّت مرادفةً - مصحّفةٌ عن (القُصَيْرِى : وهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب) . فيصح تخصيص (القصيرى) للضلع الثانية عشرة من أضلاع الهيكل البشري : لأقصى الأضلاع وهي أقصرها أيضاً . ولذا وضعتها مصحّحةً في (الرقم ٢٠٦) .

★ ★ ★

٢٠٧ (الخاصرة)

Flanc (m.); côté

ف

Flank ; side

ز

في الأصل . - والخاصرة عند ذلك (قلت : أي عند أسفل الضلوع كما يتبين من سياق الجملة التي قبلها) .

في (ق) . - الخَصْر ، وسط الإنسان ، وأخص القدم ؛ والخاصرة ، الشاكلة وما بين الحرقفة والقُصَيْرِى .

قلت : أما الشاكلة فهي من الفرس الجلابين عُرض الخاصرة والثفينة (هي من البعير الركبة ؛ ومن الإنسان مجتمع الساق والفخذ ؛ ومن الخيل موصل الفخذين في الساقين من باطن) .

وأما القصيرى فهي أسفل الأضلاع وآخر ضلع في الجنب .

في (ل) . - الخاصرة قم البدن ، من الأضلاع حتى الوركين ؛ وعلى التوسع جانب الجسم .

★ ★ ★

٢٠٨ الصِّفاق

Péritoine (m.)	ف
Peritoneum	ز
في الأصل . - جليدة البطن التي تلي الجلدة الظاهرة (= ما بين الجلد والمصران) .	
في (ق) . - الصفاق ككتاب ، الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله .	
في (ل) ولاروس ذي المجلدين . - غشاء مصلي كاس أعضاء البطن داخلاً ، مغلفٌ وحافظٌ جميع الأعضاء الموجودة في هذا الجوف .	
ما أضفته :	

١ - صفاق جداري

Péritoine pariétal	ف
Parietal peritoneum	ز

٢ - صفاق حَشَوِي

Péritoine viscéral	ف
Visceral peritoneum	ز

٣ - صفاقي

Péritonéal	ف ، ز
------------	-------

٤ - التهاب الصفاق

Péritonite	ف
Peritonitis	ز

* * *

٢٠٩ الحَشْوَة = الحَشَى والحَشَا (*)

Viscère (m.) ; entraille (f.)	ف
Viscera ; entrail ; bowels	ز

(*) واوي ويائي .

في الأصل . - في البطن ، مما ضمت عليه الضلوع .
 في (ق) . - الحَشَا ما في البطن ج أحشاء . والحَشَى مادون الحجاب
 مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ؛ أو ما بين ضلع الخلف
 التي في آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن والحِضْن ؛ وحشوة
 الأرض بالضم والكسر حشوها ودغلتها .

في متن اللغة . - الحشوة بالضم والفتح ، من الشاة : جوفها وأمعاؤها ،
 أو جميع ما في بطنها عدا الشحم ؛ وفي الأرض حشوها ودغلتها (على المجاز) .
 في (ل) . - الكلمة الأولى (Viscère) تطلق على كل من الأعضاء
 التي توجد في أجواف الجسم كالدماع والرئتين ، والقلب الخ .
 والكلمة الثانية (Entrailles) تطلق على الأمعاء وهي الرَبَضُ .
 قلت : الكلمتان مترادفتان في الطب ، يراد بهما الأحشاء عامة .
 ما أضفته :

١ - ألم الأحشاء

Viscéralgie ف
 Visceralgia ; neuralgia of visceral nerves ز

٢ - مبحث الأحشاء

Splanchnologie ف
 Splanchnology ز

٣ - هبوط الأحشاء

Viscéroptose ; splanchnoptose ف
 Visceroptosis ز

٤ - حشوي

Viscéral ; splannique ف
 Visceral ; splannic ز

★ ★ ★

(٢١٠) الحِجَاب

- Diaphragme (m.) ف
 Diaphragm ; midriff ; phren ; diaphragma ز
 قلت : و (الحاجز) كذلك . وقد يقال الحجاب الحاجزُ صفةً للأولى .
 في الأصل . - الحجاب من الحشا ، جليدة لحم يحجز بين الصدر والبطن .
 في (ق) . - حجبه حجباً وحجاباً ستره كحجبه . والحاجب البواب .
 والحجاب ما احتجب به . ج حُجِب ، ولحمة رقيقة مستبطنة بين الجنين
 تحول بين السُحر (أي الرثة) والقصب .
 في (ل) . - عضلة عريضة جداً ورقيقة تفصل الصدر عن البطن .
 بتقبضها يزداد حجم القفص الصدري وبالتالي الشيق .
 ما أضفته (أقسامه) :

١ - حُرْم ضلعية

- Faisceaux costaux ف
 Pars costalis ز

٢ - حُرْم قصبية

- Faisceaux stérnaux ف
 Pars sternalis ز

٣ - حُرْم قطنية

- Faisceaux lombaires ف
 Pars lumbaris ز

٤ - قُوْهَة المريء

- Orifice œsophagien ف
 Foramen œsophagicum ز

٥ - فوهة الوتين

Orifice aortique	ف
Aortic opening	ز

٦ - فوهة الوريد الأجوف السفلي

Orifice de la veine cave inferieure	ف
Foramen venae cave	ز

٧ - مركز حجابي

Centre phrénique	ف
Central tendon	ز

★ ★ ★

(٢١١) الفؤاد = القلب

Cœur (m.)	ف
Heart	ز

في الأصل . - الفؤاد ، القلب .

في (ق) . - الفؤاد القلب أو أخص منه .

في متن اللغة . - القلب الفؤاد أو المضغ منه المعلقة بالنياط ، أو الملقية

السوداء في جوفه . ج قلوب .

والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده أو لحركته ونبضه (مذكر) أو هو

وسط القلب أو غشاؤه أو وعاءه أو داخله أو ما يتعلق بالمرء من كبد

ورثة وقلب فيكون أعم من القلب ج أفئدة .

في (ل) . - القلب عضو زوّري محفور (١) وعضلي يبضوي الشكل

وهو عضو رأس للدورة الدموية . يتلف هذا العضو ، التأمور (٢) .

ويتألف أساساً من عضلة هي عضلة القلب (٣) . أما باطنه فمؤلف من الشفاف

أي بطانة القلب (٤) . في هذا العضو أربعة أجواف : أذينة (٥) وبطين
 أيمن (= القلب الأيمن) ، وأذينة وبطين أيسر (= القلب الأيسر) .
 الأذينة والبطين الأيمن يتصلان بصفتيق (٧) - أي مصراع [ثلاثي الشرف (٨)
 من الأيمن ، وإكليبي (٩) من الأيسر] لا يسمح بمرور الدم إلا من الأذينة
 نحو البطين الأيمن . والدم يصل بالأوردة الجوفاء إلى الأذينة اليمنى ، ويمر
 إلى البطين الأيمن الذي يدفعه إلى الرئة حيث يتخلص من غاز حمض الفحم
 وحيث ينشحن بالأكسجين ، ثم يعود بعد ذلك إلى الأذينة اليسرى ويمر
 إلى البطين الأيسر وأخيراً يوزع على أعضاء البدن كافةً ماراً بالوتين (١٠) .
 أما عضلة القلب نفسها فتروى من الدم بالكرابين والأوردة التاجية (١١) التي
 تأتي إلى العضلة القلبية بالدم اللازم لعملها (للاقيام بوظيفتها) . وهناك جملة
 عصبية مستقلة (١٢) تعمل على تنظيم تقلصات القلب . والجملة العصبية المستقلة
 هذه هي نفسها تراقبها صغيرة (١٣) قلبية مؤلفة من تشعبات (١٤) الودي (١٥)
 ونظير الودي (رثوي معدي) اللذين يتقلان إليها التنبهات الواردة من الناظم
 القلبي (١٦) الموجود في البصلة السيسائية (١٧) هـ .

وإليك ما يقابل الأرقام ، باللغتين الفرنسية والانكليزية :

- ١) Creux [hole , hollow , pit]
- ٢) Péricarde [pericardium]
- ٣) Myocarde [heart muscle]
- ٤) Endocarde [endocardium]
- ٥) Oreillette [oricle of the heart]
- ٦) Ventricule du cœur [ventricle of the heart]
- ٧) Valvule [valve]
- ٨) Tricuspidé [tricuspidé]
- ٩) Mitral [mitral]
- ١٠) Aorte [aorta]
- ١١) Coronaire [coronary , coronal]

م (٣)

- ١٢) Autonome [autonomus]
 ١٣) Plexus [plexus ; network]
 ١٤) Ramifications [ramifications]
 ١٥) Sympathique , parasympathique [Sympathetic ,
 parasympathetic]
 ١٦) Cardiorégulateur [cardio regulator]
 ١٧) Buble rachidien [spinal or rachidian bulb]

أم ما أضفته عن القلب :

١ - قلب جنيني

Cœur foetal ف

Primitive heart ; foetal heart ز

ملاحظة ٠ - أقسام هذا القلب الجنيني نسيجياً سبعة ، ذكرتها في
 الاستدراك - الجنين) فليرجع إليها المستزيد .

٢ - قلب متحرك

Cœur mobile ف

Wandering heart ز

٣ - قلب منشحم (أو شحم)

Cœur gras ف

Fatty heart ز

٤ - قلب مسترخ

Cœur en goutte ف

Pendulous heart ; drop - herat ز

٥ - قلبي ، مقوي القلب

Cordial ف ، ز

٦ - قلبي عرقى

Cardio - vasculaire ف

Cardiovascular ز

٧ - قليات

Cordiaux ف
Tonics ; cordials ; restoratives ز

٨ - قلاب (مرض قلبي)

Cardiopathie ف
Cardiopathy ز

٩ - قلوبى (متخصص بأمراض القلب)

Cardiologiste ; cardiologue ف
Cardiologist ز

١٠ - مبحث أمراض القلب

Cardiologie ف
Cardiology ز

١١ - مقلوب (مصاب بقلبه)

Cardiaque ف
Cardiac ز

١٢ - تخطيط القلب الكهرباوى

Électrocardiographie ف
Electrocardiography ز

١٣ - مخطط القلب ، الكهرباوى

Électrocardiogramme ; E C G ف
Electrocardiogram ز

أقسامه :

آ - صفحة ابتدائية للمشارك البطينى

Phase initiale (Q R S) du complexe ف
ventriculaire (E C G)

Initial deflection of the ventricular ز
complex (Q R S) ; Q R S - group
of ecg

ب - صفحة انتهائية للمشارك البطيني	
Phase terminale (T) du complexe ventriculaire (E C G)	ف
Terminal deflection of the ventricular complex (T) (ecg) ; Q R S T - group of ecg	ز
ج) مشترك أذيني ؛ قفزة - ب	
Complexe auriculaire ; ressaut P (E C G)	و
Auricular complex ; deflection P (ecg)	ز
د - مشترك بطيني	
Complexe ventriculaire (E C G) ; Complex Q R S T	و
Ventricular complex ecg ; Q R S T - group of ecg	ز
(يرادفه : مخطط بطيني) (Ventriculogramme [ventriculogram])	
هـ - القسم البدائي للمشارك البطيني	
Partie initiale du complexe ventriculaire ; Complexe Q R S (E C G)	ف
First position wave of the ventricular complex ; Q R S - group of ecg	ز
(يرادفه : مشترك بدائي) (Complexe initiale [initial complex (ecg)])	
١٤ - مقول للقلب	
Cardio - tonique ; tonicardiaque	ف
Cardiac Stimulant ; cardiotonic ; cardiac tonic	ز

★ ★ ★

(٢١٢) الخِلْبُ

ف ، ز
 في الأصل . - الخِلْبُ ، غشاء القلب .
 في (ق) . - الخِلْبُ ، الظُّفْرُ . . . وُحَيْمَةٌ رقيقة تصل بين الأضلاع
 والكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها . . الخ .
 في معجم المتن . - الخلب ، الظفر عامة ؛ حجاب القلب والكبد ،
 أو لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو زيادتها ، أو شيء
 أبيض رقيق لازق بها ، أو عظيم مثل ظفر الإنسان لاصق بالحجاب مما يلي
 الكبد ، أو حجاب القلب ، أو حجاب ما بين القلب وسواد البطن
 والخِلْبُ ، الفِجْجُلُ ، وورق الكرم العريض .
 قلت : وفق التعريف في أصل المقالة ، هل هو التأمور (Péricarde) ؟ ؛
 ووفق التعريف في (ق) و (المتن) هل هو ما كان يطلق عليه (Péritoine) ؟ ؛
 أم هل هو الوَرَبُ (Intercostal) أي الفضاء ما بين ضلعين ؟ ولولا ذكر
 المؤلف للخلب في مقاله لأسماء أعضاء الإنسان ، لزدتُ أم هل هو الفِجْجُلُ
 (Radis) أم ورق الكرم (Feuilles de vigne) ! ؟

★ ★ ★

(٢١٣) النِيَّاطُ

Aorte (f.) ف
 Aorta ز
 في الأصل . - نياط القلب عرقه الذي يعلق به (= العرق المعلق به
 القلب ، حسب شرح المحقق) .
 في (ق) . - ناطه نَوْطًا علقه . والأنواط المعاليق . والنياط كتاب
 الفؤاد ، ومعلق كل شيء ، أو عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ج أثوية

وأنواط ونوط بالضم . وعرق مستبطن الصلب تحت المتن كالنائط ، أو النائط ممتد في الصلب .

في متن اللغة . - النياط ، الفؤاد . وعرق متصل بالقلب من الوتين إذا فُطع مات صاحبه . أو عرق مستبطن الصلب تحت المتن ، وهو العرق النائط . والنياط العرق المعلق به القلب ج نياط .

ملاحظتي . - لم أتبين على التأكيد ما يقصد من عرق القلب الذي يعلق به (والمعلق به القلب حسب شرح المحقق) . ثم إن النياط في (الرقم ٢١٣) جمع والشرح مفرد . وفي (ق) مفرد والجمع أشوطة وأنواط ونوط . وإن ما يعلق به القلب من العروق عديدة فلاي منهنَّ يُخصَّص النياط ؛ فيحسب التشريح الوصفي للقلب في اليوم الحاضر أرى أن هذا العرق الغليظ الذي يبط به القلب - كما في (ق) وفي متن اللغة - (هو الوتين) وشعبه . وهذا ما جعلني أضع مقابلاً له الكلمتين الأفرنجيتين في (الرقم ٢١٣) .

أم ما أضفته عن أقسام الوتين :

١ - وتين صاعد

Aorte ascendante

ف

Ascending aorta

ز

٢ - وتين نازل

Aorte descendante

ف

Descending aorta

ز

٣ - قوس الوتين

Crosse de l'aorte

ف

Arch of the aorta

ز

وأم ما أضفته عن شعب الوتين :

(أ) السباتي الأيسر

Carotide gauche ف
Left carotid ز

(ب) شريان تحت الترقوة

Artère sous - clavière ف
Subclavian artery ز

(ج) شريان رئوي

Artère pulmonaire ف
Pulmonary artery ز

(د) جذع عَضُدِي رَأْسِي

Tronc brachio - cephalique ف
Brachiocephalic artery ; innominate artery ز

وعلى وجه عام أضفت :

١ - التهاب الوتين

Aortite ف
Aortitis ز

٢ - رسم الوتين الشعاعي

Aortographie ف
Aortography ز

٣ - وِثْنِي

Aortique ف
Aortic ز



حَبَّة القلب (٢١٤)

ف ، ز
في الأصل . - سويداء وهي عُلقة في جوفه (!) . ويقال للكبد
والرئة والفؤاد ، وسواد البطن .

في (ق) - . . . وحبّة القلب ، سويداؤه أو مهجته أو ثمرته
أو هنة سوداء فيه . والعَلَق ، الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ
أو الجامد ؛ والقطعة منه عُلقة .

في معجم التن . - حبة القلب ، وسطه ، سويداؤه ، وهي هنة سوداء
فيه ، أو العُلقة السوداء داخله ؛ ثمرته ومهجته .

ملاحظتي . - آية عُلقة هي في جوف القلب ؟ هل هي قطعة لحمية ثابتة
في تكوينه ، أم خثارة دم جامد فيه (كما في ق) ؟ أم ان الحبة محض
وصف عاطفي (؟) لثمرته أو مهجته (؟) . وفي ظني أن أكثر هذه
الأوصاف يذكرها من شاهد قلباً مُزع من حيوان مذبوح أو ميت فرأى
فيه (عُلقة سوداء ، أو هنة سوداء) . ولا شك أنها خثارة دم من عروق
القلب الخاصة أو مما تختل من الدم في جوف القلب إثر الذبح أو الموت .
أو - وهو الأغلب في الاحتمال - لعل هذه الهنة (لا العُلقة) هي مصاريع
القلب إذا نُظر إلى القلب مقطوعاً أو مشرّحاً .

ومن اثبات اليوم أن آية عُلقة دموية أو خثارة مها دقت قد تسبب
انسداداً لأحد الأوعية ، خطراً على الحياة سمي (حشاء أو سُدَاد Infarctus) .
لهذا لا يصح بوجه من الوجوه أن يُقبل وجود عُلقة في القلب بمعنى
الخثارة الدموية ، في حال الحياة ، فيجب أن يطوى ذكرها في معجم
عربي حديث .

★ ★ ★

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(يتبع)

صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٥ -

النظرة الجديدة إلى الاسلام في القرن الثامن عشر :

إن النزعة العقلية التي تميزت بها « حركة النور » في القرن الثامن عشر كان لها تأثير كبير في تغيير نظرة الأوربيين إلى الشرق عامة . فقد كانت هذه الحركة تسمى ، قبل كل شيء ، إلى التحرر من سيطرة الكنيسة ومن القيود التي فرضتها على الحياة الفكرية . وكانت الجماهير قد عرفت الشيء الكثير عن البلاد الشرقية بفضل كتب الرحلات الحقيقية أو الخيالية التي شاعت في هذا العصر . وكان الإعجاب عظيماً بحضارة الصين خاصة . فأخذ الكتاب ينوهون بديانة (كونفوشيوس) وما امتازت به من حكمة وتسامح ويستندون إلى ذلك في مهاجمة تعصب رجال الدين المسيحي . ثم اتسع نطاق الاهتمام فشمل الهند وفارس والشرق الإسلامي كله .

وقد تبدلت النظرة إلى الرسول ﷺ ، فترى الفيلسوف (لايبنيذ Leibniz) يعتبره مبشراً بالديانة القطرية . ولعل أبرز ممثل للاتجاه الجديد هو الكونت (هنري دوبولنفييه Henry de Boulainvilliers) (١٦٥٨ - ١٧٢٢) الذي مات قبل أن يتم كتابه عن (حياة محمد) (١) فنشر بعده في لندن سنة ١٧٣٠ وأعيد طبعه في أمستردام سنة ١٩٣١ .

(١) Le Comte Henry de Boulainvilliers : La vie de Mohamet, avec des réflexions sur la religion Mahomerane et les coutumes de Musulmans. London 1730; 2ed. Amsterdam 1931.

يصرح (بولنفيه) بأنه يريد إثبات تفوق الإسلام على المسيحية . وهو قد وصف الرسول ﷺ بأنه مشرع حكيم ، متنور ، قاد شعبه إلى الحضارة وجاء بديانة « عقلية » لتحل مكان العقائد اليهودية والمسيحية الشبوهة . ثم إنه يهاجم الذين يشكّون في صدق الرسول ﷺ وبين أن كل ما قاله محمد ﷺ عن تعاليم الدين الأساسية صحيح ولو أنه لم يكشف عن كل الحقائق .

لكن لا بد من الملاحظة أن (بولنفيه) لم يكن يعرف العربية وأن كتابه لم يأت بمعلومات جديدة . فهو قد جمع مادته من المؤلفات الأوروبية وأراد أن يستخدم الموضوع لمكافحة سيطرة الكنيسة .

ولقد لخص ناشر الكتاب رأي المعاصرين فيه بالعبارة التالية ضمن رسالة بعث بها إلى المستشرق الفرنسي (جان غانيه Jean Gagnier) ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوكسفورد) ، قال : « إن (بولنفيه) يمزج تاريخه بكثير من التأملات السيامية التي تعجب القراء لما فيها من طرافة وجرأة » .

جان غانيه :

على أن المستشرق (غانيه) رأى في هذه التأملات الطريفة والجرئة خطراً كبيراً وشعر بأن من واجبه التحذير من كل تطرف والدعوة إلى اتباع الطريق الوسط بين ضلال التعصبين وحماسة المهوسين . وكان قد سبق لغانيه أن نشر القسم المتعلق بسيرة الرسول من تاريخ (أبي الفداء) باللغة العربية مع الترجمة اللاتينية في سنة (١٧٢٣) فقام بعد صدور كتاب (بولنفيه) وألف في سنة (١٧٣٢) كتابه عن « حياة محمد » باللغة الفرنسية .

يتبين من مقدمة هذا الكتاب أن (غانيه) ليس صادقاً في ادعائه الحياد . فهو لا يقتصر على مهاجمة كتاب (بولنفيه) ، الذي يزعم بأنه يستحق الحرق بل يطعن في الرسول أيضاً . وعلى الرغم من أن (غانيه) قد استند إلى القرآن والحديث وروايات المؤلفين المسلمين في وصف حياة الرسول ﷺ وشخصيته وأعماله وحاول أن ينقل النصوص بأمانة فإن التحزب واضح في اختيار الشواهد وفي طريقة عرضها .

(سيل) و (سافاري) :

إننا نلمس الرغبة في الإنصاف وحب الحقيقة عند مستشرقين آخرين برزا في ذلك المهد وقاما بترجمة القرآن من جديد :

الأول هو المستشرق الانكليزي (جورج سيل George Sale) الذي مهد لترجمة القرآن (١) بمقدمة ضافية بحث فيها عن العرب قبل الإسلام وعن حالة اليهودية والمسيحية في الشرق عند ظهور الرسول ﷺ وعن القرآن وتعاليمه ثم نفى عن الرسول المطاعن التي اعتاد الكتاب المسيحيون تكرارها وقارن بين محمد ﷺ والمرعين اليونانيين .

أما المستشرق الثاني الفرنسي (كلود أتيان سافاري Claude Etienne Savary) فقد كتب في مقدمة ترجمته للقرآن (١) يصف الرسول ﷺ بأنه أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت إلى آخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر . ثم يقول : « ونحن إذا أمعنا النظر في سيرة محمد ﷺ لا بد أن نشعر بالاعجاب تجاه المعجزات التي تستطيع العقوبة البشرية تحقيقها إذا ما ساعدتها الظروف . فالرسول محمد ، على الرغم من

(١) George Sale, The Koran, London 1734 .

(٢) Claude Etienne Savary, Le Coran : Paris 1752 (2.ed. 1783).

أنه ولد بين عبدة الأصنام ، قد استطاع أن يسمو إلى عبادة الإله الواحد . وهو قد لاحظ في رحلاته كيف كان المسيحيون يتنازعون وتلمعن كل طائفة منهم الأخرى وكيف أن اليهود الذين هم حثالة الشعوب لا يتزحزون عن تقاليدهم البالية . وعلى العكس من المسيحيين واليهود أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكفي الفضيلة ويعاقب الرذيلة

وبعد أن بنوه (سافاري) بعقوبة الرسول السياسية والمسكرية وبمقدرته في السيطرة على البشر يصرح بأن الغربي المتنور ، وإن لم يعترف بنبوءته ، لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهوروا في التاريخ .

إن الباحث العديدة عن حياة الرسول ﷺ وشخصيته التي ظهرت في القرن الثامن عشر كانت خاضعة للزعات السياسية والاتجاهات الفكرية ، إنها كانت تهدف إلى الدفاع عن مبدأ معين أو فكرة سابقة ، لذلك كان الاختلاف شديداً والتناقض ظاهراً بينها . وهي بالإجمال كان محكوماً عليها بأن تبقى عقيدة لا تؤدي إلى كشف حقائق جديدة أو إلى تقدم المعرفة . هكذا زى (فولتير) يمثل لنا هذا الاضطراب إذ اختار شخصية الرسول موضوعاً لرواية تمثيلية (١) هاجمه فيها على أنه رمز للتعصب الديني ثم عاد في كتابه عن « الأخلاق والعادات » (٢) يلتزم الاعتدال في الكلام على الرسول ويعترف بنبوغه وعظمته .

(قارلايل) :

وقد ظل الرأي السائد بين الأوروبيين عن الرسول ﷺ غامضاً وأقرب إلى المعارضة والمداوة ، وقبل كل شيء ، بعيداً عن التحقيق التاريخي حتى

(١) Voltaire : Le Fanatisme ou Mahomet, le Prophète, Paris 1741.

(٢) Voltaire. Essai sur les moeurs. Paris 1756.

منتصف القرن التاسع عشر إذ قام ، من جهة (قارلايل) يدعو إلى الإنصاف
ومن جهة ثانية ، بدأ غيره من المستشرقين يرجعون إلى المصادر العربية
القديمة ويتبعون طرائق النقد التاريخي في دراستها .

في يوم الجمعة ، الثامن من آذار سنة ١٨٤٠ ألقى المستشرق الانكليزي
(توماس قارلايل Thomas Carlyle) (١٧٩٥ - ١٨٨١) المحاضرة الثانية
من سلسلة محاضراته التي جمعها من بعد في كتابه المشهور « الأبطال وعبادة
الأبطال » (١) وكان موضوعها : (الرسول محمد) . قال (قارلايل) :
« لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن
يصفي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خداع مزور .
وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة ، الخجلة ،
فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر
قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا . أكان
أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفاتحة
الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي
أبداً . فلو أن الكذب والنفس يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادقان
منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إذن إلا بله ومجانين وما الحياة إلا مسخف
وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق . » [تعريب : محمد السباعي]
ثم حلل (قارلايل) شخصية الرسول وكشف عن نواحي عبقريته التي
تنجلي فيها اسمى معاني الوحي وانتهى إلى أن محمداً ﷺ كان مخلصاً في دعوته ،
صادقاً في عقيدته مثل غيره من العظماء المؤمنين .

(١) Thomas Carlyle : On Heroes, Hero - Worship and the Heroic in History.

London 1849

وكان (قارلايل) من الكتاب الانكليز البارزين يمتاز بأسلوب رائع ، فاستطاع أن يترك أثراً عميقاً في الرأي العام الاوروبي . إلا أن محاضرته عن الرسول لم تكن بطبيعة الحال ، تتضمن شيئاً من البحث في المصادر التاريخية ومناقشة الروايات ...

(وايل) والبحث التاريخي الانتقادي :

لذلك كان المستشرق الألماني (كوستاف وايل Gustav Weil) (١٨٠٨ - ١٨٨٩) ، حينما نشر كتاب «محمد الرسول ، حياته وتعاليمه» (١) على حق في قوله بأن كتابه هذا هو أول دراسة ذاتية مستقاة من المصادر العربية منذ كتاب (غانيه) الذي انقضى عليه أكثر من قرن ، عدا أن (غانيه) قد انتصر على نقل بعض الأخبار عن (ابن العبري) و (أبي الفداء) دون أي نقد تاريخي . وهذان المؤلفان من الكتاب المتأخرين الذين لا يمكن الوثوق بهما .

إن (وايل) أيضاً يريد الاعتماد على المصادر العربية ، ولكنه يتقصد ، من جهة بضرورة الرجوع إلى جميع المصادر الممكن الحصول عليها ولا سيما المصادر القديمة ، ثم يطالب من جهة ثانية ، باخضاع هذه المصادر إلى النقد التاريخي ومقارنتها وتمييز الروايات الصحيحة من المدسوسة أو المزورة أو المحرفة . ويمكن القول بأن (وايل) قد افتتح مرحلة جديدة في دراسة سيرة الرسول ﷺ . فهو أول مستشرق بحث بطريقة انتقادية في الروايات المتناقلة عن الرسول وحاول أن يميز الأخبار القديمة التي تستحق التصديق من الأساطير المتأخرة التي ليس هناك من دليل على صحتها . وهو لم يكتف

(١) Gustav Weil. Mohammed der Prophet. sein Leben und seine Lehre. 1843.

بالمصادر المعروفة قبله ، بل بحث في المكتبات عن مختلف المخطوطات المتعلقة بالسيرة واختار منها كتاب « إنسان الميرون في سيرة الأمين المأمون » المعروفة « بالسيرة الحلبية » تأليف (برهان الدين علي بن ابراهيم الحلبي) ، ثم تاريخ « الخميس » (الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري) . والمؤلفان من رجال القرن السادس عشر ، ولكنها قد نقلت حرفياً كل ما عثر عليه في الكتب القديمة منذ القرن الثاني للهجرة حتى عصرهما . وبعد ذلك أرسل إليه الأستاذ (إيwald Ewald) ، المستشرق الألماني ، مخطوطة هامة جداً هي (سيرة ابن هشام) التي قام (وايل) في سنة ١٨٦٤ بت ترجمتها إلى الألمانية بعد أن تولى (وستنفلد Wuestenfeld) تحقيق النص العربي ونشره . ثم أقدم (وايل) على دراسة القرآن بمساعدة تفسير الجلالين وحاول ترتيب الآيات حسب تعاقبها الزمني ليستعين بها في متابعة حياة الرسول . وبعد ذلك سعى إلى دراسة شخصية محمد الإنسان والنبي والشرع بصورة موضوعية دون أي تحزب ديني .

وكان طبعياً أن يراجع (وايل) كل المؤلفات الأوروبية عن حياة الرسول . وقد درس أيضاً بحوث (جايجر Geiger) و (جيروك Gerock) عن علاقة الإسلام باليهودية والسيحية .

والنتيجة التي انتهى إليها (وايل) من دراسته تلخص في قوله : « بالنظر إلى ما قام به محمد من نشر أسمى التعاليم الواردة في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بين شعب لم يصل إليه أي شعاع من نور الإيمان ، يجب على غير المسلمين أيضاً أن يعتبروه رسول الله . »

منذ نشر كتاب (وايل) تقدمت دراسات المستشرقين خطوات عظيمة وكشفت عن كثير من الحقائق الجديدة . ولكن لا ينكر أن لهذا العالم

فضل السبق إلى البحث العلمي الدقيق . والأحكام التي وصل إليها العلماء
بمده لا تختلف بالإجمال كثيراً عن رأيه . . .

(دو برسفال) :

هكذا نرى المستشرق الفرنسي (قوسان دو برسفال Coussin de Perceval)
يصدر ، بعد بضع سنوات ، حكماً مماثلاً في كتابه عن « تاريخ العرب » (١) ،
الذي خصص الجزء الثالث منه لوصف حياة الرسول . وبتلخيص رأيه في
« أن محمداً (ﷺ) كان صادقاً ، مخلصاً ، مؤمناً بأنه مرسل لإنقاذ أمته
من الضلال وبمبها إلى الحياة . . » وهو قد اقتصر على استعراض ما ورد
في المصادر العربية دون تحليل ونقد . ولكنه كان يمتاز على المستشرقين
السابقين بمعرفته العميقة للغة العربية وباطلاعه الواسع على أخبار العرب ،
كما إنه استخدم مصادر جديدة لم تكن معروفة قبله . بذلك أصبح كتابه
مرجعاً هاماً يستقي منه الباحثون . وإليه خاصة استند (رينان Renan)
في دراساته عن الإسلام ومقارناته بين مختلف الأديان . وهو يصف الإسلام
بأنه « ديانة طبيعية ، فطرية ، جدية ، متسامحة ، ممقولة . . . »

تطور الطريقة التاريخية — الانتقادية :

لم يكن (وابل) و (دو برسفال) يجعلان ما لحق أخبار الرواة المسلمين
من تحريف وتزوير بسبب المنازعات الطائفية والاختلافات المذهبية . ولا شك
في أنها يمتازان على من سبقهما من المستشرقين بالسمي إلى التمييز بين الروايات
الصحيحة والكاذبة . ولكن طريقتها في النقد كانت تعتمد كلياً على مجرد

(١) Coussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes . . . Paris 1847—1848.

الذوق السليم ولم تستند إلى نتائج البحث التاريخي نفسه . فيها لم يلاحظ كما ينبغي أن كتب السيرة قد تطورت في طريقة تأليفها وأسلوب كتابتها تبعاً لما حدث من تطور في العقيدة الإسلامية ذاتها . وقد غفلا عن أن الكثير من التعاليم والتقاليد التي شاعت بين المسلمين في العصور المتعاقبة وأصبحت تعتبر من صميم الإسلام لم يكن لها أي صلة بالعقيدة الإسلامية الأصلية . وقد بدأ المستشرقون ينتهون إلى هذه الناحية حوالي سنة ١٨٦٠ كما يستدل من مؤلفات عديدة عن حياة الرسول ظهرت في ذلك العهد ، أهمها هي مؤلفات (مور) و (شبرنجر) و (فولدكه) .

الدكتور محمد كامل عباد

(للبحث صلة)



٢ (٤)

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)^(١)

- ٤ -

١٦ - ووردت في الصفحة ١٦٢ ترجمة أبي فراس علي بن محمد بن غالب العامري المعروف بمجد العرب وقد جاء فيها « شاعر جال ما بين العراق والشام ومدح الملوك والأكابر ولبس أخيراً لبس الأتراك وتوفي بالموصل سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة » . ولم يعلّق الشيخ الفاضل محقق الكتاب عليه شيئاً ، لأنه لم يعرف من سيرته ومراجع ترجمته ما يعلّقه ، ولذلك بقي الخطأ لا يبدأ في سنة وفاته التي جعلته من أهل القرن الثامن للهجرة ، مع أنه من أهل القرن السادس ، ترجم له العماد الأصفهاني المتوفى في أواخر المائة السادسة للهجرة وهل يترجم أديب من المائة السادسة لأديب من المائة الثامنة (٢) ؟ ! قال العماد الأصفهاني : « الأمير مجد العرب مظفر الدولة أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري - رحمه الله - هو الداهية الدهياء وأعجوبة الدنيا ، يصب الشعر في قالب السحر ويباهي الفضلاء بالنظم والنثر ... وقصائده بالشام أجزل وأحسن مما أنشأه بالعراق » (٣) .

-
- (١) نشر أول هذا البحث في الصفحات ٢٧٢ و ٥٥٣ و ٧٤٩ من المجلد (٤٣) .
(٢) أزل هذا الوم قدم التحقيق في خريدة القصر « قسم الشام ج ١ ص ٧٩ » فقد نقل هذا الوم إلى الحاشية الأولى من الصفحة المذكورة وجاء فيها « توفي بالموصل سنة ٧٥٣ » .
(٣) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » مختار الخريدة ٣٣٢٦ و ٢٧ » .

- ٤٨٨ -

وقال الهامد أيضاً : « وآخر عهدي به بالموصل سنة ٥٧٠ لابساً زي الأتراك ، جليساً للأملآك » . وقال محب الدين ابن النجار : « علي بن محمد بن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر مجيد جال ما بين المراق والشام ومدح الملوك والأكابر ونشر فضله وأظهر نبهه » ثم نقل باسناده من تاريخ دمشق مشافهة من مؤلفه ابن عساكر ما هذا نصّه « علي بن محمد ابن غالب أبو فراس العامري المعروف بمجد العرب ، شاعر بنداادي قدم دمشق وأنا ببنداد وسمع منه بها شيئاً من شعره صديقنا أبو الندى ينمر بن ألب شاور القرىء وكان يذكره ويثني عليه ويصفه بالبلاغة والكرم » ثم قال : « كتب إليّ أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الكاتب ، وذكر موجز ما ذكر في الخريدة من سيرته ثم قال ابن النجار أو الهامد : « توفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة (١) » .

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بالظفر قال : « المظفر مجد العرب أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري الأديب الشاعر ، كان من أعيان الأدباء وأمائل الشعراء (٢) » . وذكر له بيتين من الشعر ولم يذكر وفاته ، وهو أمر عجيب الوقوع من ابن الفوطي وهو مؤرخ بنداادي وابن النجار مؤرخ بندااد وتاريخ وفاته مثبت في تاريخه (٣) .

١٧ - وكرّر في الصفحة ١٧٧ التصحيف الذي ذكرته في تعقيبي على الجزء الأول وهو جعل « النيرين » مثنى النيرب الموضع النزّه المشهور قرب دمشق « النيرين » وذلك في قول ابن وداعة الكندي :

ويوم لنا بالنيرين رقيقة حواشيه خال من رقيب بشينه

- (١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ و ١١، ١٢، ١٣ .
- (٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ه الترجمة ١٢٣٥ من باب الميم من طبعة الهند » .
- (٣) ومن ذكر وفاته الصفي قال : « وتوفي بالموصل سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة » . « الوافي بالوفيات نسخة المجمع اللغوي العربي بدمشق ، الورقة ١٨٢ » .

١٨ - ووردت في الصفحة ١٨٨ ترجمة « علي بن يحيى القاضي الوجيه المعروف بابن الذروي ، شاعر مجيد وكانت وفاته بالديار المصرية سنة » . ولم تُذكر السنة ، وقال الشيخ الفاضل في تعليقه : « لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . مع أن له ترجمة في خريدة القصر (١) ، وقال محققو الكتاب : « نقلنا هذه الترجمة من المغرب لابن سعيد . . . ولم نقلها من مختصر الخريدة لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله الهاد في الخريدة . . . وقد توفي ابن الذروي سنة ٥٧٧ ، انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ : ٢٧ . . . وحسن المحاضرة ١ : ٢٦ » .

١٩ - وردت في الصفحة ١٩٣ ترجمة « علي بن يوسف بن شيان جلال الدين المارديني المعروف بابن الصفار ، ولم يحل محقق الكتاب على مرجع آخر لترجمته ، وقد جاء في الترجمة « وتولّى كتابة أشرف ديبس ثماني عشرة سنة » . فمن هؤلاء أشرف ديبس ؟ تركهم المحقق على حالهم من التصحيف ، والصواب « تولى كتابة إشراف دنيسر ثماني عشرة سنة » . وهو ما ذكره اليوناني ، وجاء في الحاشية القديمة من كتاب اليوناني « دنيسر بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردن بينها فرسخان » .

٢٠ - وورد في الصفحة ٣٤٣ « حكي أن أبا الهيجاء بن عمر بن شاهين صاحب النطيحة قال : كنت أسير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد . . . » . ولم يبحث الشيخ الفاضل عن « النطيحة » هذه ما هي ؟ والقصة في فوات الوفيات تدور حول « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في « قصر العباس بن عمرو الغنوي » ما هذا نصه « وقرأت في كتاب ألفه عميد الدولة أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير : حدثني أبو الهيجاء بن عمران بن شاهين أمير البطيحة . . . » . وذكر القصة ،

(١) خريدة القصر ، قسم مصر ج ١ ص ١٨٧ .

فهي البطيحة لا النطيحة ، ثم إن الشيخ الفاضل أعاد نشر وفيات الأعيان وقد وردت هذه القصة بمينها في ترجمة أبي حسان المقلد بن المسيب العقيلي .
والبطيحة وجمعها البطائح كما في معجم البلدان لياقوت : « أرض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة ، فاتفق في أيام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات بخلاف العادة فمُجَز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها . . . » . والتتمة والتفصيل في المعجم .

٢١ - وجاء في ترجمة القاسم بن القاسم أبي محمد الواسطي الأديب الشاعر - ص ٢٥٩ - « وقرأ اللغة على سيد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وجاء في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلّة على عميد الرؤساء أيوب » . وأشار الشيخ في الحاشية إلى أن ترجمة القاسم واردة في معجم الأدباء لياقوت الحموي وبنية الوعاة للسيوطي ، ولكن من فوائد الإحالة الاستفادة من المقابلة ، ففي معجم الأدباء « قرأ النحو بواسط وبنجداد على الشيخ مصدق بن شيب ، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . وفي بنية الوعاة « عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب » . والصواب هو ما ورد في معجم الأدباء والبنية وغيرها لا ما ورد في فوات الوفيات ، قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « هبة الله ابن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء ، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر ، شيخ وقته ومنتصرو بلده (١) . . . » . وقال السيوطي : « هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور ، يعرف بعميد الرؤساء (٢) . . . » ونقل قول ياقوت . وقال

(١) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ٢٣٤ طبعة مرغوليت » .

(٢) البنية « ص ٤٠٧ » .

كمال الدين ابن الفوطي : « عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب الحلي اللغوي (١) ... » .

٢٢ - وورد في الصفحة ٢٦٥ في ترجمة قرواش بن مقلد العقيلي « فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر بن مقلد ابن أخيه » . وكنت نقلت هذه الجملة في الكلام على وفاة قرواش في النقدة الثالثة عشرة ، والصواب « قريش ابن بدران » بالألف والنون قال العماد الأصفهاني الكاتب : « وفي سنة ٤٥٣ توفي قريش بن بدران وتوالتى ولده مسلم إمارة بني عقيل (٢) » . وقال عز الدين ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٣ من الكامل : « ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة : في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين ... » . وقد ذكره على هذه الصورة في كامله غير مرة ، وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي وفاته في سنة ٤٥١ قال في وفياتها : « قريش بن بدران أبو المعالي ويلقب بعلم الدين أمير بني عقيل ، كان داهية بخيلاً سفاكاً للدماء بعيد الغور غداراً (٣) ... » .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٢٨٨ في ترجمة لوط بن يحيى أبي مخنف الأزدي أن من كتبه « حديث روشنقياد » فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب معلقاً : « في ب روشنقياد وفي الفهرست روستقبان » . قلت : إن الشيخ أحال بترجمته على معجم الأدباء فكان حرياً أن يقابل بين الاسمين في الكتباين أولاً ، ففي معجم الأدباء « روستقباد » على ما جاء في طبعة مرغوايوث الأولى

(١) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ ، رقم ١ ص ٩٦٦ نشرة وزارة الإرشاد السورية بتحقيقي » .

(٢) زبدة النصرة في دولة آل سلجوق « ص ٢٢ طبعة الموسوعات بالقاهرة » .

(٣) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ٦٧ » • وورد في ترجمة الأمير ابن أبي حصينة من معجم الأدباء ٤ : ٦٩ قريش بن بدران بن الفلاد بن المسيب .

« ٤ : ٢٢١ » وهذا هو أقرب إلى الصحة من غيره ، والصحيح « روستقباد » بالذال المعجمة ، فقد جاء في كتاب المسالك لابن خرداذبه - ص ٦ - « طسّوج روستقباد » قال : « وترجمة الطسوج : الناحية » ثم قال في الصفحة ١٣ : « طسّوج روستقباد ، الخنطة ألف كرّ ، الشعير والدخن ألف وأربعمائة كر ، الورق مائة ألف وسبعون ألفاً . وتكرر الاسم في الصفحة ٢٣٥ والصفحة ٢٣٨ .

٢٤ - وجاء في الصفحة ٢٩٦ في ترجمة مالك بن نويرة مانصه « فقتل ضيرار بن الأزور مالكا وسمع خالد الداعية ، فخرج وقد فرغوا منهم » . فقال الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه معلقاً على الداعية : « في ب الداهية وما أثبتناه موافق لما في ث » ، قلت : « وليكن موافقاً لما في تلك النسخة فما الفائدة ؟ القارىء البتدى يحتاج إلى الصحيح فما معنى الداعية هنا ؟ الداعية هي الدعوة كالكاذبة بمعنى الكذب ، ولا حادي على استعمالها هنا ، فالصحيح السليقة يترك أنها « الواعية » أي الصُراخ على الميت ونحوه ، ولكن الشيخ الفاضل رضي بالوجود ، ثم إن المؤلف - أعني ابن شاکر الكتبي - صرّح في أول الخبر بأنه نقله من كتاب الأغاني ، فلم يرجع الشيخ إلى كتاب الأغاني ، على حين كان ذلك من السهولة بمكان ، قال أبو الفرج : « فقتل ضيرار بن الأزور مالكا ، فسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغوا منه (١) » . وقال محقق ذلك الجزء من الأغاني : « الواعية الجلبة والصُراخ على الميت ونحوه . - الراعية ، وفي سائر النسخ ما عداها ومب الداعية ، صوابها من النسختين والطبري » . قلت : صوابها قبل كل شيء من السليقة العربية والذوق اللغوي العربي وعليها اعتمدت .

(١) الأغاني « ج ١٥ ص ٣٠١ طبعة دار الكتب المصرية » .

٢٥ - وورد في الصفحة ٣١٠ في ترجمة نصير الدين الطوسي وذكر تأليفه «ورسالة أبي نجم الدين الكاظمي» فمن أبو نجم الدين الكاظمي؟ الصحيح أن «أبي» تصحيف «إلى» فهي رسالة علمية أرسل بها النصير الطوسي إلى نجم الدين، ومن نجم الدين هذا؟ مرةً به الشيخ وهو المترجم في هذا الجزء نفسه - ص ١٣٤ - باسم «علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاظمي (كذا) ديران بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء وبمدها راء وألف ونون القزويني المنطقي الحكيم». وقال الشيخ مطلقاً على الكاظمي: «في ب الكاظمي». ووقف عند هذا القول، لأنه لم يجد مرجعاً تاريخياً آخر لهذا العلامة. والذي علمناه وحفظناه هو «الكاظمي» بالتاء والياء وكذلك ورد في ترجمة الصفدي له، قال: «علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاظمي ديران (بفتح الدال...) القزويني المنطقي الحكيم (١)». وكان ابن شاكر نقل ما ذكر الصفدي بنصه ونسي ذكر سنة مولده. وقال حاجي خليفة في «الملخص» من كشف الظنون: «الملخص في الحكمة والمنطق للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي التوفي سنة ست وستائة وشرح أبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاظمي (٢)». وقد كان قال في «الشمسية» من كتابه المذكور: «الشمسية من مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاظمي». وقال الصفدي في ترجمة ابن واصل الحموي: «وحضر حلقة نجم الدين الكاظمي المعروف بديران المنطقي (٣)». وكرر الصفدي هذه الجملة ولم ينقص منها حرفاً في تاريخه للعيان (٤). وبذلك القول أن

- (١) الوافي بالوفيات «نسخة بمجمع اللغة العربية بدمشق المصورة» ١٣١ هـ .
 (٢) كشف الظنون «طبعة وكالة المعارف التركية، العمود ١٨١٩» ومنه أي من شرح الملخص نسخة في دار كتب ليدن واسمه فيه «الكاظمي» .
 (٣) الوافي بالوفيات «٣: ٨٥» .
 (٤) نكت الهيمان «ص ٢٥١» .

التواريخ والفهارس والاجازات أجمعت على أنه « الكاتي » حتى جرجي زيدان وإن كان متأخراً لا يتخذ وحده حجة فقد قال تحت عنوان « العلوم الدخيلة في العصر المغولي: .. في الفلسفة ١ - نجم الدين الكاتي القزويني ويعرف بدبيران توفي سنة ٦٥٧ له الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية (١) ... » . وورد كذلك في كتاب الاجازات من بحار الأنوار للعلامة محمد باقر الإيراني المجلسي ، وروضات الجنات للخونساري .

٢٦ - وجاء في الصفحة ٣١١ من الترجمة المذكورة « قال شمس الدين الحريري قال حسن بن أحمد الحكيم ... » . فالمؤلف نقل قول مؤرخ من المؤرخين ، والذي علمناه وحفظناه أنه « شمس الدين الجزري » لا الحريري ، وإذ كان ابن شاكر الكتي قد اقتبس أكثر تراجم كتابه من الوافي بالوفيات فلننظر ماذا يقول في ترجمة النصير الطوسي خاصة بهذه المسألة ، قال : « قال شمس الدين الجزري قال حسن بن أحمد الحكيم (٢) » . وشمس الدين الجزري من مشهوري المؤرخين وإن لم يطبع تاريخه .

٢٧ - وورد في الصفحة عينها « والرصد البيساني في حدود الشام » . فملق الشيخ عليه مانصه « في ث البناني » . ولم يعلم القاري الشادي أيها الصواب . وجاء في كتاب الصقدي المذكور « والرصد البناني في حدود الشام (٣) » . والكتاب مطبوع باعتناء المستشرق هـ . ريتز ، ولم يعلق ريتز عليه شيئاً ، والصواب « الرصد البتاني » نسبة إلى عبد الله محمد بن جابر الحراني البتاني ، قال القفطي : « وكان بعض أرساده التي ضمنها زيجته في سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة ، ومن ذلك في سنة سبع وثمانين [ومائتين]

(١) تاريخ آداب اللغة العربية « ٣ : ٢٥٠ » .

(٢) الوافي بالوفيات « ١ : ١٨٢ طبة استانبول سنة ١٩٣١ » .

(٣) الوافي بالوفيات « ١ : ١٨٣ » .

ولا يعلم أحد في الإسلام ، بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب
وامتحان حركاتها، (١) .

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل ،
البتّاني الحاسب المنجم المشهور صاحب الزيج الصابي ، له الأعمال العجيبة
والأرصاد المتقنة ، وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين إلى
سنة ست وثلاثمائة ، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين
ومائتين ، وكان أوحد عصره في فنه ، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة
علمه ، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له
قصر الحضرمي ولم أعلم أنه أسلم لكن اسمه يدل على إسلامه ، وله من التصانيف
الزيج وهي نسختان أولى وثانية ، والثانية أجود . . . والبتّاني بفتح الباء
الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن الألف نون . هذه النسبة إلى بتّان وهي ناحية من أعمال
حران (٢) . . . » وفي هذا كفاية للاثبات .

٢٨ - وورد في الصفحة ٣١٤ « اشتغل بالحلة على عميد الرؤساء أيوب »
وقال في الحاشية معلقاً : « في ب حميد الرؤساء » . وقد أشرنا إلى ذلك في
القدمة الحادية والعشرين وبرهنا على أن عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب
لا هبة الله أيوب ولا حميد الرؤساء ولا سيد الرؤساء فأغنى ذلك عن الإعادة .

٢٩ - وورد في الصفحة ٣١٩ ترجمة من اسمه في هذه الطبعة من هذا
الكتاب « محمد بن محمد بن بنان أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب ، من أهل

(١) أخبار الحكماء « س ٢٨٠ طبعة ليبزيك » .

(٢) وفيات الأعيان « ٢ : ١٩٦ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » . وقال

الذهبي في المشتهر : « وبكسر ذلك وقيل بالفتح والتشديد (البتّاني) محمد بن جابر

ابن سنان الحراني البتّاني الصابي صاحب الزيج ، هلك بعد الثلاثمائة » .

مصر وأصله من الأنبار . فعلق عليه المحقق ما هذا نصه « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٣٢٨ وسماه محمد بن محمد بن أبي طاهر بن محمد بن بيان الأنباري ، وقال : توفي في ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ وله تسع وثمانون سنة ، وذكره الذهبي في وفيات ٥٩٦ محمد بن محمد بن بيان الأنباري ، وفي حسن المحاضرة للسيوطي محمد بن محمد بن أبي الطاهر محمد بن بيان الأنباري . قلنا : إذا لم ينص المؤلف على الحروف المشبهة فليس لنا حق في أن نلقي المهدة عليه ، ثم إن تعليق الشيخ لم يقفنا على الوجه الصحيح في تسمية هذا العين من الأعيان ، فالصحيح الرجوع إلى الكتب الضابطة . قال الزكي المنذري في وفيات سنة ٥٩٦ : « وفي ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر توفي القاضي الأثير ذو الرئاستين أبو الطاهر محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الفضل محمد ابن القاضي الأجل ذي الرئاستين أبي الطاهر محمد بن بئان الأنباري الأصل المصري المولد والدار الكاتب ، بالقاهرة ودفن من الغد . ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسة . . . وبئان بضم الباء الموحدة وفتح النون وبعد الألف نون أخرى (١) . وقد قلنا هذا الضبط إلى حاشية ترجمته في مختصر تاريخ ابن الديلمي (٢) .

٣٠ - وجاء في الصفحة ٣٢١ ترجمة أبي الحسن محمد بن محمد بن أحمد البصري وجاء فيها « وبصري قرية بدجيل دون عكبرة » ، كذا وردت عكبرة بالهاء ، وأشار المحقق إلى أن للرجل ترجمة في النجوم الزاهرة ومعجم البلدان - يعني في بصري - على حين أن له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٣ : ٢٣٦ » والمنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ٨ : ١٥٢ »

- (١) الكلمة لوفايات النقلة « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ٣ » .
 (٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الديلمي « ١ : ١٢٢ طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥١ بتحقيقي » .

والوافي بالوفيات للصفدي « ١ : ١٢٠ » . قال الخطيب البغدادي : « محمد بن محمد بن أحمد بن خلف أبو الحسن الشاعر البصري ، من أهل بصرى وهي قرية دون عكبرا » . فهي إذن إما « عكبرا » وإما عكبراء لا « عكبرة » كما جاء في فوات الوفيات بتحقيق الشيخ ، وكان الصفدي نقل قول الخطيب فقد قال : « وبصرى قرية بدجيل دون عكبرا » . وقال ياقوت : « عكبرا بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد يد ويقصر والظاهر أنه ليس بعربي » ،

٣١ وورد في الصفحة ٣٤٣ « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الفدوشي أبو نصر الكاتب الأواني » . هكذا ورد الفدوشي ، و « الأواني » بتشديد الشيخ للواو ، من غير أن يحيل على كتاب أو يذكر الأسباب ، لأنه لم يجد لترجمته مظنة غير هذا الكتاب ، فلماذا شدّد الواو وأكد صحّة الباء ؛ والصواب « محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود بن أبي عبد الله ابن علي بن محمود الفروخي أبو نصر الكاتب الأواني (١) » . فالفروخي وهو من الأنساب المشهورة تصحف عليه إلى « الفدوشي » . والأواني تصحف عليه إلى « الأواني » فشدد الواو ، وقال العماد الأصفهاني الكاتب : « السيد أبو نصر محمد بن أحمد بن محمود الفروخي الكاتب الأواني ، من قرية يقال لها أوانا بدجيل وهي ذات سوق كالبلدة كبيرة (٢) » .

وقال ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٧ : « وفيها أبو نصر محمد الفروخي الكاتب ، كان أديباً فاضلاً ، من شمره ... » (٣) . وأورد له بيتين ،

(١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٠٩ ، ١١٠ » .

(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية ياريس ٣٣٢٧ الورقة ٨٢ » .

(٣) شذرات الذهب « ٤ : ١٨٠ » .

ولا أرى حاجة إلى ذكر الكتب الخطية كذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي*
وتاريخ الإسلام للذهبي وإنما أجتزئ باختصار الذهبي لتاريخ ابن الديلمي
فإنه مطبوع وقد جاء فيه «محمد بن أحمد بن محمود بن الحسين الكاتب أبو نصر ،
من أهل أوانا (١) - يعني الأواني - والد شيخنا محمود وكان كاتباً شاعراً
توفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة (٢) ، وبما ذكره ياقوت في معجم البلدان
قال : «أوانا بالفتح والنون ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، زهرة من
نواحي دجيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت وكثيراً
ما يذكرها الشعراء الخلقاء في أشعارهم ... وينسب إلى أوانا قوم من أهل
العلم ... وأبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين بن محمود الأواني ، كاتب سديد
وشاعر مجيد وله رسائل مدونة وأشعار حسان منها رسالة في حسن الربيع
أجاد فيها وله غير ذلك ومات بأوانا سنة « ٥٥٧ » .

٣٢ - وورد في الصفحة ٣٤٥ في ترجمة ابن سيد الناس أبي الفتح محمد
ابن محمد العمري «فكاد يدرك القمر ابن السخاوي فعاقه بليتين» . وفي
مصدر آخر «الفخر بن النجاري» ذكرها محقق الكتاب في الحاشية وهي
الصواب عندي ، وبقي تصحيف في «فعاقه» والصواب «فقاته» أي توفي
قبل وصول المترجم له إليه بليتين ، ولو جاء قبلها لوجده حياً وسمع منه
أو قرأ عليه .

٣٣ - وجاء في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة أبي العبر الهاشمي «وعلى رأسه
قطعة رقة جبك مشدود بالشوطة» . وهذه الجملة العربية أحالها التصحيف

(١) قلت في الحاشية : «قال ابن عبد الحق في المراد : بليدة من دجيل كثيرة
البساتين والشجر بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من فوقها ، تحاذي عكبرا ،
كانت بينهما الدجلة واستحالت عنهما» .
(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٥ طبعه المجمع العلمي العراقي بتحقيقي » .

إلى النبطية والسليقة العربية تحمك بأنها في الأصل « وعلى رأسه قطعة رثمة من جبل مشدود بأشوطة ». أو أنها « وعلى رأسه رثمة جبل مشدود بأشوطة ». فشرح بعضهم الرثمة بالقطعة فأدخلها الناسخ في الأصل ، على ما أحسب .

٣٤ - وجاء في الصفحة المذكورة « وفي كتاب بئر الدر باقي نوادره » . ولم يبحث المحقق عن كتاب بئر الدر ولا عن مؤلفه ، والصواب « نثر الدر » أو « نثر الدرر » بالنون ، جاء في كشف الظنون « نثر الدرر في المحاضرات لأبي سعيد منصور بن الحسين الآبي التوفى سنة [٤٢٢] في سبع مجلدات كلها بخط بليغة على عدة أبواب لم يجمع مثله . . . » . وهو كتاب معروف مشهور منه أجزاء في دور كتب العالمين وخزائنها .

٣٥ - وورد في الصفحة ٣٥٦ في ترجمة ابن الظهير الإربلي محمد بن أحمد الأديب « وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة » . وإذا كان الشيخ الفاضل أحال بترجمته على الوافي بالوفيات والجواهر المضيئة لزمته الاستفادة من الإحالة ، ففي الوافي بالوفيات ١ : ١٣٣ « ولما توفي سنة سبع وسبعين وستمائة دفن بمقابر الصوفية » . والفرق عشرون سنة ، وما في الوافي هو الصواب ، أما إحالته على الجواهر المضيئة فأخذها من حاشية ترجمته في الوافي بالوفيات وهي لمحقق ذلك الكتاب ، أعني الوافي ، وهي إحالة ناقصة ومغلوط في أرقامها ، أما قصصها فإن ترجمة هذا الأديب مؤرودة في الكتاب على حسب ترتيب اسمه « ٢ : ١٩ » فلم يقف عليها محقق الوافي بالوفيات بل أحال على ترجمة ثانية له في الجواهر المضيئة في باب « ابن فلان » وفيها سنة الوفاة قد سقط رقمها الأوسط فجاءت « ٦٠٧ » وأما سنة وفاته في ترجمته الأصلية فهي سنة « ٦٧٧ » كما في الوافي بالوفيات ، وقال المقرئ في وفيات سنة ٦٧٧ : « وتوفي مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر ابن الظهير الإربلي

الحنفي عن خمس وسبعين سنة بدمشق (١) ، ووهم ابن المهدي فقد لقبه « الظهير » مع أنه لقب أبيه قال في وفيات سنة ٦٧٧ : « وفيها الظهير العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الأربلي الحنفي الأديب . ولد سنة اثنتين وستمئة بأربل . . . (٢) » . ثم إن عمره معلوم وهو « ٧٥ » سنة . ووردت في الصفحة ٣٧٧ ترجمة « بهاء الدين كافي الكفاة أبي المال محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب المؤلف صاحب التذكرة المشهورة التي هي من أممات كتب الأدب أو أمماتها على قول بعضهم ، فعلق الشيخ الفاضل على اسمه ما هذا نصه : « له ترجمة في الوافي ٢ : ٣٥٧ وفي بنية الملتبس ، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة ٦٢٦ بتحقيقنا) . وفي شذرات الذهب ٥ : ٣٣ وسماء الحسن بن محمد بن الحسن وذكر وفاته في سنة ٦٠٨ » .

قلت : الذي ذكره مؤلف الشذرات وأشار إلى اسمه الشيخ الفاضل هو ابنه « الحسن » الأديب المتصرف المشهور عند المختصين بالتاريخ ، لا هو ، وإنما تابع ابن المهدي شمس الدين الذهبي - رحمه الله تعالى - في وهمه بإسناده تأليف التذكرة إلى الابن (٣) لا إلى الأب مؤلفها بإجماع المؤرخين ، وإجماع نسخ الكتاب الخطية ، وقد ناقض ابن المهدي نفسه بمزوره التذكرة إلى الحسن بن حمدون ، فإنه قد ذكر الوالد مؤلفها في وفيات سنة ٥٦٢ وفات الشيخ وجدان ترجمته بسبب من أسباب الغفلة التي تعرض لكل إنسان ،

(١) اللوك « ج ١ ص ٦٥١ » .

(٢) الشذرات « ٥ : ٣٥٩ » .

(٣) وذلك في كتابه « البر في خبر من عابر » ج ٥ ص ٢٧ وتاريخ الإسلام .

قال ابن العماد في وفيات تلسم السنة : « وفيها محمد بن الحسن بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية ، ولأهـ المستنجد ديوان الزمام ، ووقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات توهم غضاضة من الدولة ، فأخذ من دست منصبه وحبس إلى أن رُمس (١) . »

أمّا ابنه الحسن بن محمد بن حمدون الذي ظنّه الشيخ إياه فأشهر من أن يذكر ، ترجم له ياقوت الحموي ترجمة مفصلة (٢) ، قال : « الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب ، قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء . . . » . هكذا قال ياقوت مع أن ترتيب كتابه معجم الأدباء ليس على ترتيب كتب التاريخ التي تقدم أسماء الحمدين لشرف هذا الاسم ، فياقوت نقل هذه التقدمة من تاريخ آخر (٣) وما عقلها ولا فكر في دلالاتها ، فكيف تقدم اسمها وترتيبه بوجب إيرادها في جزء الحمدين المتأخر عن هذا الجزء ؟

هذا وقد وردت ترجمة أبي سعد الحسن بن محمد بن حمدون في مختصر تاريخ ابن الديلمي الذي اختصره الذهبي (٤) ، وذكره عز الدين ابن الأثير

(١) الفهرات « ٢٠٦ : ٤ » .

(٢) معجم الأدباء « ٣ : ٢٠٩ » طبعة سرغوليوث الأولى .

(٣) الظاهر لي أنه نقلها من ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي والتاريخ المجدد لمدينة السلام فإن الديلمي قال في ترجمة الحسن : « وقد تقدم ذكر أبيه وجدّه » وعنى بجده

الحسن بن محمد بن علي بن حمدون وقد ترجم له .

(٤) المختصر المحتاج إليه « ٢ : ٢٣ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي .

في وفيات سنة ٦٠٨ قال : « وتوفي أيضاً أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ابن حمدون التغلبي المدوي وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالماً » . وقد كان ذكر أباه في حوادث سنة ٥٦٢ ووفاته مسجوناً .

٣٧ - وجاءت في الصفحة ٣٨٣ ترجمة « شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف الموصلی الأديب المُفتنّ المشهور ، الذي اختلط شعره بترجمة إبراهيم بن سليمان بن حمزة ابن النجار الدمشقي المجدد المتوفى سنة ٦٥١ بعد توليته تقابة الأشراف (١) ، مع أنه كان في هجاء أحمد بن البقاعيّ المتهم بالزندقة المقتول عليها سنة ٧٠١ » بين القصرين (٢) ، وجاء في ترجمة ابن دانيال ما هذا نصه « وكانت وفاته بالديار المصرية في شهر سنة ثمان وستائة » . فكيف يهجو المتوفى سنة ٦٠٨ رجلاً قُتل سنة ٧٠١ ؟ ثم إن ابن شاكر قال في ترجمة ابن دانيال هذا : « قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره ... » . ولم يراجع الشيخ الفاضل ترجمة ابن دانيال في تاريخ الصفدي للرجال وهو الوافي بالوفيات « ٥١ : ٣ » لأنه لم يُجمل عليه في الحاشية ، وترجمته واردة في تاريخ رجال القرن الثامن لابن حجر ، قال ابن حجر : « مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ (٣) » . وفي تاريخ ابن تغري بردى في حكام مصر قال ابن تغري بردى في وفيات سنة ٧١٠ « من تاريخه الموصوف : « وتوفي الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال الموصلی صاحب النكت الغريبة والنوادر العجيبة وهو مصنف

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب « ص ٨ - ١٠ » .

(٢) راجع الجزء الأول أيضاً « ص ١٣٤ » .

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤٣٦ : ٣ م (٥) .

طيف الخيال (١) ... » . وفي تاريخ القرظي الكبير فقد قال في وفيات سنة
 « ٧١٠ » منه : « ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال ابن يوسف
 ابن معتوق الخزاعي الموصلبي في ثامن عشري (٢) جمادى الآخرة ، ومولده
 بالموصل سنة سبع وأربعين وستائة وكان كثير المجون (٣) ... » . وفي تاريخ
 ابن العماد الحنبلي فقد ترجم له في وفيات سنة ٧١١ قال : « وفيها الأديب
 الخليل الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال مؤلف كتاب طيف الخيال (٤) ... » .

مصطفى جواد

(بغداد)

يتبع :



- ١) النجوم الزاهرة « ٢١٥ : ٩ » .
- ٢) أي الثامن والعشرين .
- ٣) اللوك « ج ٢ ص ٩٥ » .
- ٤) الصفراء « ٢٧ : ٦ » .

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

٤ - (١)

٣ - تحريب الديار

من المعاني العامة الأساسية في شعر الوقوف على الأطلال ذكر خراب الديار واندثار بقاياها بعد رحيل أهلها . وقد أُلح الشعراء على هذا المعنى ، فذكروه كثيراً في أشعارهم ، حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة في الوقوف على الأطلال . والصفة العامة التي تشترك فيها الديار وبقاياها جميعاً في هذا الشعر هي صفة القيدم والبلى . كما أن الصفة العامة التي تشترك فيها جميع التشبيهات والتصوير التي أتى بها الشعراء في معرض وصف الديار وبقاياها هي صفة القدم والبلى أيضاً .

وقد ذكر الشعراء في عرضهم هذا المعنى الأسباب في خراب الديار واندثارها . فحاولنا استقراء هذه الأسباب ، فأنتهى بنا الاستقراء إلى أن الشعراء يرجعون خراب الديار إلى عاملين اثنين . أحدهما تقادم العهد ومرور الزمن ، وثانيها حوادث الطبيعة .

أما تقادم العهد ومرور الزمن فقد جعله الشعراء سبباً لخراب الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، ولكنهم لم يهتموا به كثيراً ، ولم يقفوا عليه

(١) نسر القسم الأول في الصفحات ٣٥١ و ٦٣٥ و ٨٤٩ من المجلد (٤٣)

- ٥٠٥ -

طويلاً ، فما كان يرد في أشعارهم إلا الفينة بعد الفينة . وما كان ذكرهم له مع ذلك إلا مريباً خاطفاً ، لا يعتمد على تصوير أو تشبيه ، ولا يبدو الإشارة العابرة . قال عبيد بن الأبرص (١) :

تغيّرت الديارُ بذِي الدفينِ فأودبَ اللّوى ، فرمالٍ لينِ
فخرّجني ذرّوةً ، فقفا ذيالٍ يُعفّي آية سلفِ السنينِ (٢)
فقد تغيرت آيات الديار وتعتت ، لأن مرّة السنين قد بعدت بها عن أيام
غناها بأهلها وساكنها .

وأما حوادث الطبيعة فقد جعلها الشعراء سبباً لخراب الديار أيضاً ، وذكروها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها وأفرطوا في ذلك ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . وحوادث الطبيعة التي اعتاد الشعراء أن يذكروها منذ الجاهلية ، ولم يكادوا يخرجون عن ذكرها في العصور التالية ، هي الرياح وما تدره من التراب والرمال ، والسحاب وما ينشأ عنه من الأمطار والسيول . قال النابغة الذبياني (٣) :

أمن مظلمة الدّيمنِ البوالي بمرفضِ الحبيّ إلى وعالِ
تعاورَها السواري والغواصي وما تذرّي الرياحُ من الرمالِ (٤)

* * *

ذكر الشعراء فيما يتعلق بالرياح أنها تعني الديار ، وتمحوها بما تسفي عليها من الحصى والتراب والرمال ، فتدفعها وتخفيها عن العيون . وقد عدّوا في

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) الحرج بمعنى الوادي ها هنا . وآية : أي علاماته وآثاره ، واحداً آية .

(٣) ديوانه ٦٤ .

(٤) السواري : السحاب التي تنشأ في الليل ، من سرى يسري ، إذا سار ليلاً .

والغواصي : السحاب التي تنشأ في الغداة ، أي الصباح ، من غدا يندو ، إذا

سار في الغداة .

معرض ذلك أكثر أنواع الرياح المعروفة عند العرب ، ومنها الرياح اللينة اللطيفة مثل ربح الصبا ، ومنها الرياح الشديدة العنيفة مثل ربح الشمال .
 وذكروا منها أيضاً الرياح التي تهب في فصول السنة المختلفة ، كالمصايف وهي الرياح التي تهب في الصيف ، والمرباع وهي الرياح التي تهب في الربيع .
 وقد عمد الشعراء في ذكر الرياح إلى شيء من الوصف والتصوير .
 فشبها أئنيها بحنين النوق وهي تحين إلى أولادها التي مُسِيتَ منها حيناً حزناً موجعاً . قال إياس بن عامر أعشى طرود (١) :

وعرصة الدار تستنّ الرياحُ بها تحينُ فيها حنينَ الوثلة السُّلبِ (٢)
 والتشبيه واقع بين حنين النوق الحزين الرتيب وبين دوي الريح الكتيب الرتيب حين هبوبها ومرورها بالديار . ولم يكن الشعراء من تشبيه صوت الرياح بحنين النوق ، فلم ترد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال إلا نادراً . وربما كان السبب في ذلك دقة هذه الصورة ، وحاجتها إلى حس رهيف دقيق ، يخترق حجاب الواقع المنظور إلى ما لا تراه العينان .
 على أن هؤلاء الشعراء قد أكثروا في وصف تخريب الديار من تشبيه الرياح بالمروس وبأذيال ثوبها التي تجرّها وراءها . قال الأسود بن يعفر في ذلك (٣) :

جرّت بها الريحُ أذيالاً مُظَاهِرَةً كما تجرُّ ثيابَ الفؤوةِ العرُوسِ (٤)

(١) ملحقات ديوان الأعشى ٢٨٤ .

(٢) تستن الرياح بها : أي تسرع فيها .

(٣) ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ ، واللسان (نو) .

(٤) الفؤوة : عروق نبات يستخرج من الأرض ويصنع بها الثياب . والعروس : جمع مروس .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

جرت عليها رباحُ الصيف ، فاطردتُ^٢ والريحُ فيها تفتيها بأذيالِ (٣)
فالريحُ تمر بالديار وقد جرت وراءها سحباً من التراب والرمال ، تطمس
بها آثار الديار ، كما تجر العروس أذيال ثوبها خلفها ، وتطمس بها آثار
أقدامها على الأرض .

وقد لاحظ الشعراء حركة الرياح الدورية في دفن آثار الديار بما تحمله
من التراب والرمال ، ثم الكشف عنها بنسف التراب والرمال . فكلما دفتها
هذه بالرمال سفرت عنه الأخرى الرمل وأظهرته . لاحظوا هذه الحركة
الدائمة ، وشبهوها بعمل النسج ، نسج الثياب .

قال امرؤ القيس في مطلع معلقته (٤) :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ يسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمالِ (٤)
فشبهه حركة الرياح الدورية من جنوب مرة وشمال مرة بعمل نسج الثياب ،
لأن الحائك يداول في حركته أثناء النسج بينة مرة ، ويسرة أخرى .
وقال ذو الرمة في ذلك أيضاً (٥) :

خليلي ، عوجا عوجةً ناقتيكأ على طلل بين القلاتِ وشارعِ
به ملببٌ من مُعصِفاتِ نسجتنه كنسج الياباني برّده بالوشائعِ (٦)

(١) ديوانه ١٠١ .

(٢) جرت عليها : أي جرت الريح التراب عليها كما تجر العروس أذيال ثوبها .

(٣) ديوانه ٨ .

(٤) نسجتها : تعاقبت عليها مرة هذه ومرة هذه . والجنوب : ربيع الجنوب .
والشمال : ربيع الشمال .

(٥) ديوانه ٣٥٥ .

(٦) المعصفات : الرياح الشديدة . والوشائع : لفائف الثياب ، واحصتها وحبجة .

فالرياح العاصفة تلمب بالديار ، وتنسج آثارها بألوان وأشكال مختلفة كما ينسج الصانع اليانعي الثوب ، ويزينه بالوشائع . والصورة هنا تختلف عن الصورة الأولى ، لأن امرأ القيس اهتم بالحركة ، وعُني برسم حركة المداولة في هبوب الرياح على آثار الديار ، وفي عمل الحائك في نسج الثوب ، بينما اهتم ذو الرمة بالألوان والأشكال الحادثة من عصف الرياح بآثار الديار ، ومن تزيين الصانع ثوبه بالوشائع حين نسجه .

* * *

وأما فيما يتعلق بالسحاب وتخريبها الديار فقد جعل الشعراء السحاب تعفي الديار بما ينشأ عنها من أمطار وسيول تمحو الرسوم ، وتجرف الدمن ، وتهدم النشي . وقد أكثروا من وصف السحاب والأمطار والسيول في معرض وصف تخريب الديار . وأكثروا من ذكر أنواعها وأشكالها وألوانها ، دون أن يعمدوا كثيراً إلى التصوير والتشبيه . ولكنهم وصفوا خلال ذلك المواسف وثورات الطبيعة وزحف السحاب وهطول الأمطار ، فأثوا من ذلك بصور جميلة شيقة ، ولا سيما شعراء العصر الأموي . ولقد فاق الأخطل أصحابه في ذلك كله . وهذا وصف له لعاصفة هبت على آثار ديار أجبته (١) :

دِمنٌ تدعذعها الرياحُ ، وتارةٌ تُسقي بمرتجيز السحاب ثقالي (٢)

باتت بمانية الرياح تقوده حتى استفاد لها بغير حبال (٣)

(١) ديوانه ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) الدمن : الآثار التي يتركها الناس في الديار ، واحدها دمنة . وتدعذعها : تفرقها .

(٣) هجده : أي تعود الرياح السحاب .

في مظلم غَدِقِ الرَّبَابِ ، كأنما يَسْقِي الأَشْقَى وعالجاً بدوالي (١)
فهو يصور هنا عاصفةً ثائرة ، نرى فيها الرعد مرتجزاً مدوياً ، والسحاب
متراكماً ثقيلًا ، تدفعه الرياح الهائجة ، فيتدافع ويقبل بالمطر غزيراً كثيفاً ،
وقد أظم الجو ، واسودت جوانب السماء . وكل ذلك في لفظ يسير ، وجمال
قليلة قصيرة ، تمضي سريرة كسرعة العاصفة الهائجة .

٤ - الحيوان الذي يألف الديار

كان العرب في الصحراء يتوخَّون في الأرض التي ينزلونها الخصب
والإنبات وملاءمة شروط الحياة . ولذا كانوا يختارون أخصب الأماكن ،
وأغناها بالماء والكلأ لنزولهم . ويبدو لنا أن وحوش الصحراء كانت تألف
هذه الأراضي أيضاً ، وتوطن بها ، بعد أن يخليها أهلها ، ويرحلوا عنها .
كأن لها غريزة تشبه غريزة الإنسان في البحث عن المكان الملائم لشروط حياتها .
وكان العرب يمرون في أسفارهم ورحلاتهم بالديار التي همروها ، فيرون
الحيوانات تسرح وترتع في الأماكن التي همروها في الأيام الماضية ، وقضوا
فيها شطراً من حياتهم ، يرونه عزيزاً غالباً ، فكان ذلك يؤلمهم ويشعر في
نفوسهم ذكريات حلوة جميلة . ولذا كان الشعراء يذكرون هذه الحيوانات
التي أوطنت بديارهم في شعر الوقوف على الأطلال ، كأن نفوسهم تأسى لذلك ،
وكان لسان حالهم يقول : ما ألقى صروف الأيام ! لقد عمرنا هذه الديار
حيناً من الدهر ، ثم اضطررنا لهجرها ، فسكنتها بعدنا الوحوش . وكأننا

(١) في مظلم : أي في سحاب مظلم ، والسحاب المظلم يكون مليئاً بالماء . والغدق :
السحاب الغزير المطر . والرباب : السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب .
والأشقى وعالج : موضعان . والدوالي : جمع دالية ، وهي الدوالب يديرها الثور ،
أو الناعورة لغمي الأرض .

بهؤلاء الشعراء يضمنون بهذه الديار على الوحوش ، لأن فيها بقية من ذكريات حياتهم الماضية ، مازالت أطرافها تتردد جاثية ذاهبة في ساحاتها وجناباتها .
ومها يكن من أمر فقد ذكر الشعراء الحيوانات التي تألف الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثروا من ذكرها ، حتى جعلوا ذلك معنى من المعاني اللازمة التي وردت في هذا الشعر على مدى العصور .
وحيوانات الصحراء قليلة ليست بالكثيرة . ومن استقرأ شعر الوقوف على الأطلال نجد أن الشعراء لم يذكروا فيه سوى البقر الوحشي والظباء والنعام ، وصغار هذه الحيوانات أحياناً ، ثم الطيور ، ولا سيما الحمام . وقد أكثر الغزلون البداة من ذكر الحمام ، وتغنوا بصوته خاصة دون غيرهم من الذين سبقوم أو الذين جاءوا بعدهم .

ويمكننا أن نقول إن الشعراء قد ذكروا هذه الحيوانات في معرض وصف الديار بالخلو والإقفار . فمرة يقولون إن الديار خالية مقفرة ، ليس بها أحد سوى قطيع من البقر ، أو سرب من الظباء ، أو إجل من النعام ، كما قال المرقش الأكبر (١) :

أمتّ خلاءً بمد سكاكها مقفرةً ما إن بها من إرمٍ (٢)
إلاّ من العين ررعى بها كالفارسيين مشواً في الكمم (٣)
بعد جميع قد أرام بها لهم قيابٌ ، وعليهم نعم (٤)
ومرة يقولون إن الديار قد أقفرت من ساكنها ، وتبدلت بهم الحيوانات ،

(١) المفضليات ٢٢٩ .

(٢) من إرم : أي من أحد .

(٣) العين : بقرات الوحش ، واحدها عياء . والكمم : الفلاس .

(٤) الجميع : القوم المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعليهم نعم : أي لهم أنعام تروح عليهم ، وهي الإبل .

كما قال النابغة الذبياني (١) :

عهدتُ بها حياً كراماً فبُدِّلتُ خناطلَ آجالِ النعامِ الجوافلِ (٢)
 ترى كلَّ ذِبَّالٍ يعارضُ رَبَّرباً على كلِّ رَجَافٍ من الرملِ هائلِ (٣)
 يثرن الحصى حتى يباثرنَ برده ، إذا الشمسُ مدَّتْ ريقها، بالكلاكلِ (٤)

وقد وصف الشعراء هذه الحيوانات بصفات كثيرة ، وشبهوها في أثناء ذلك تشبيهات مختلفة ، حسب أنواعها كما رأينا في المثالين اللذين ذكرناهما . ولكنهم لم يقفوا على صور معينة يتداولونها ، ولا يخرجون عنها ، كما كان الأمر في وصف الديار وتصويرها مثلاً . ونحن نذكر ، إلى المثالين السابقين ، طرفاً من هذه التشبيهات على سبيل المثال .

شبهَ طرفة النعامَ بالإماء ، وهن يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن في قوله (٥) :

حابي رسمٌ وقفتُ به لو أطيع النفسَ لم أرمهُ
 لا أرى إلا النعامَ به كالإماءِ أشرفتُ حزمهُ

والصورة طريفة جداً ، فالنعام قوائمه طويلة ، تبدو دقيقة بالقياس إلى جسمه الثقيل المشرف ، ويزيده إشرافاً ريشه المتدلي على جانبيه . وهو

(١) ديوانه ٦٣ .

(٢) الخناطل : الجماعات ، واحدها خنطة وخنطل . والآجال : قطعان النعام ، واحدها إجبل .

(٣) الذبَّال : تور الوحش الطويل الذيل والزريرب : قطع بقر الوحش . والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار حين وطئه من لينة . والهائل : الذي ينال .

(٤) ريق الشمس : لعابها وهو يبدو في الهاجرة كأنه يسيل من شدة الحر . بالكلاكل : أي يثرن الحصى بالكلاكل ، وهي الصدور ، واحدها كلكل .

(٥) ديوانه ١٥٠ .

يُشبه بهذه الحالة الإمام اللواتي يحملن حزمَ الحطب على رؤوسهن ، فتبدو أجسامهن دقيقة رقيقة تحت هذه الحزم المريضة المشرفة .

وشبهَ عبيد بن الأبرص الأطباء بأباريق الفضة في قوله (١) :

بُدِّتْ منهم الدبارُ نعاماً خاضباتٍ يُزجِن خَيْطَ الرِّثَالِ (٢)
وظباءً كأنهنَّ أباريقُ مُجَيِّنٍ ، تحنو على الأطفالِ

والصورة هنا طريفة جداً أيضاً . والأطباء تشبه أباريقَ الفضة حقاً بطول أعناقها وحسنها في دقتها ورقمتها ورشاققتها وبياضها .

وقد أكثر الشعراء من وصف بقر الوحش بالمَيِّن وطول الذبل

والخَنَس . قال النابغة الذبياني (٣) :

أهاجك من سَعْدَاكَ مَعْنَى المَاهِدِ بروضة تُعْمِي فذات الأساودِ
تماورَها الأرواحُ يَنْسِفُن رَبَّهَا وكلُّ مَلِيثٍ ذِي أَهَاضِبٍ رَاعِدِ (٤)
بها كلُّ ذِبَالٍ وَخَنَسَاءٍ رَعْوِي إلى كلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ قَارِدِ (٥)

وم قد أكثروا أيضاً من وصف هذه الوحوش بأنها مَوْشِيَّة الأكارع ، ولا سيما الشعراء الأمويون ، حتى صار ذلك شبه قاعدة عامة عندهم .

(١) ديوانه ١٠٦ .

(٢) نعام خاضبات : خضب الكأ سيقانها في الربيع . والحيط : جاعة النعام .
والرثال : فراخها ، واحدها رأل .

(٣) ديوانه ٣٣ .

(٤) تماورها : تداولها هذه مرة ، وهذه مرة . واللك : السحاب يكون مطره دائماً . والأهاضيب : دفنات المطر .

(٥) الخنساء : بقرة الوحش التي في أهدأ خَنَس . وزرعوي : تطف وترجع .
والرجاف من الرمل : الذي يتحرك وينهار ليه .

قال الأخطل (١) :

فما به غيرٌ مَوْشِيٍّ أكارعُه إذا أحسَّ بشخصٍ فابىءٍ مَمَثَلًا (٢)
يرعى بِخَيْفٍ أحياناً ، وتَضَمَّره أرضٌ خلاءٌ وماءٌ سائلٌ غَلَلًا (٣)
والشمرء منذ الجاهلية قد اعتادوا كذلك عند ذكر هذه الحيوانات
أن يذكروا معها صفارها أحياناً ، وهي تتبع أماتها ، أو تمتي أمها .
قال زهير (٤) :

هاج الفؤادُ معارفُ الرسمِ قفرٌ بذى الهضبات كالوشمِ (٥)
تقتاده عينٌ مَلَمعةٌ تزجي جآذرها مع الأدمِ (٦)

الركنور عزة مسن

(يتبع)



- (١) ديوانه ١٣٨ - ١٣٩ .
(٢) مرشي أكارعه : أي ثور في قوائمه سواد وبياض . ومثل : أي إذا أحس
بشخص آتٍ زال عن موضعه .
(٣) خيف : وادٍ بالجزيرة . وسائل غللاً : أي يسيل متلعللاً من مكان إلى مكان .
(٤) ديوانه ٣٨٢ .
(٥) معارف الرسم : علاماته المعروفة .
(٦) العين : بقرات الوحش ، واحدها عيناء ، سميت بذلك لسعة أحداقها . والملمعة :
التي بها لمع تخالف ساثر لونها . والجآذر : أولادها ، واحدها جؤذر . والأدم :
الظباء البيض .

أبو علي القالي و كتابه الأُمالي

هو أبو علي القالي البغدادي . واسمه اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان . وجده سلمان هذا مولى عبد الملك ابن مروان الأموي (١) . ولد سنة ٢٢٨ هـ ، ٩٠١ م . وقيل سنة ٢٨٠ هـ في بلدة « منازجرد » ، أو « منازکرد » ، في إرمينية من أعمال ديار بكر بالقرب من بحيرة « وان » التي تقع شرقي الفرات . ومنازجرد - كما يقول ياقوت - بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم (٢) ، وأهلها أرمن وروم ، وفيها قلعة عرفت بهذا الاسم . غير أننا لا نجح إلى رأي ياقوت الذي ينعت منازجرد بأنه مشهور ، بدليل أن أبا علي نفسه عدل عن الانتساب إليه وآثر بلداً آخر أكثر شهرة وهو « قالي فلا » الذي كان مركزاً للمجاهدين والفرزاة المسلمين . وإلى منازجرد ينسب الشاعر أبو نصر النازي صاحب الأبيات المشهورة في وصف الطبيعة ، ومنها قوله :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف النيث العميم
زلنا دوحه فحنا علينا حنوا المرضات على الفطيم
يروع حصاء حالية المذارى فتلس جانب المقعد النظيم

وحين بلغ أبو علي الخامسة عشرة من عمره شعر أن منازجرد القصية لا تتسع لمطامحه فشد الرحال إلى بغداد طلباً للعلم ، وكانت منتجع الأدباء

(١) انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤ . وفي إنباء الرواة ١ : ٢٠٧ لا يرد ذكر سلمان بل سليمان عوضاً عنه ، كما يذكر الحميدي في جذوة القتبس أن جده سليمان كان مولى محمد بن عبد الملك .
(٢) معجم البلدان ٥ : ٢٠٢ . وخلاط كما يذكر ياقوت عاصمة إرمينية .

وقبله الطلاب والمريدين ، وفي إبهاء مساجدها كان يتربع شيوخ اللغة والأدب والنحو .. ومن حولهم حلقات حاشدة من طلاب المعرفة أمثال القالي . وقد روى أبو علي نفسه قصة رحلته ولقبه لتلميذه أبي بكر الزبيدي صاحب « مختصر العين » ، فقال :

« رحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة ، فأقمت بالموصل ، وكتبت عن أبي يعلى الموصلي وغيره . ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة ، فأقمت بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . . . » قال الزبيدي : « وسألت أبا علي لم قيل له القالي ؟ فقال :

« لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رُققة ، فيها أهل قالقلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر ، ورأيت الناس يعظمونهم . فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قالقلا وهي قرية في منازل ورد رجوت أن انتفع بذلك عند العلماء فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي »

وفي هذا النص ما ينم على عصامية القالي ، وأنه وهو الغريب في بلد كبير مثل بغداد كان عليه أن يبدأ الطريق من أوله وأن يجد له مكاناً بين الزحام ، حتى قيس له أن يبلغ أقصى درجات الشهرة في الشرق والغرب . ونحن لا نعرف الكثير عن هذه المرحلة من حياة أبي علي مرحلة إقامته بالمراق . وبوسمنا القول إنه استطاع أن يعقد صلات علمية وثيقة مع شيوخ العلم في الموصل وبغداد ، وأن بناهته لفتهم إليه وجعلته مقرباً إليهم . وأغلب الظن أن شهرته أخذت تستفيض بعد وفاة أكثر شيوخه وبخاصة ابن دريد صاحب كتاب « الجهرة في اللغة » . وإذا ذاك استقل أبو علي * بشخصيته وتم له النضج ، وغداً بذكائه واقتداره في الرواية وتمكنه في اللغة ذا شأن في بغداد . يؤيد ذلك ما تذكره كتب الأدب

والتراجع من أمر إرسال خليفة قرطبة الأموي إليه يستدعيه وهذا يعني استفادة شهرته حتى بلغت الأندلس . وقد يكون من أسباب إثاره دون سائر العلماء بهذه الدعوة السامية أن جده البعيد سلمان أو سليمان في بعض الآراء كان مولى لمبد الملك بن مروان الأموي . غير أن بروكلمان ينجح إلى خلاف هذا الرأي ، فيرى أنه لم يبنه للوالي ذكر في بغداد وأنه « لما لم ير بعد دأب خمس وعشرين سنة أن دراساته قد أነع ثمرها وآتت أكلها عوّل على الرحيل إلى بلاد المغرب » (١) . ويبدو أن بروكلمان يفترض أن أبا علي رحل عن العراق مهاجراً يائساً ، وبفضل أمر دعوة الخليفة الأندلسي له ، وفرق كبير بين هذا الحافظ وذاك .

ومما يمكن من أمر فقد كان خروج أبي علي من بغداد قاصداً إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ وكانت سنة يومئذ تناهز الأربعين . وقد مر أبو علي بأرض مصر حيث علم ب وفاة احمد بن عبد ربه (٢) صاحب كتاب « المقدم الفريد » . ثم بلغ المغرب ووصل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ بعد نحو ثلاث سنوات ، فاستقبل استقبالاً عظيماً وكان في مقدمة مستقبله الأمير الحكم ولي العهد ولفيف من وزراء والده الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ولاية الأندلس من الأمويين في قرطبة ، وكان أول من تلقب بالقباب الخليفة وتسمى بأمر المؤمنين وأقوى من حكم الأندلس . وكان الناصر قد استدعاه بعد أن بلغته شهرته وعلم فضله ، فوكل إليه أمر تعليم ابنه ، وعهد إليه بتربيته وتهذيبه ، « فتلقاء الحكم بالجليل ، وحظي عنده ، وقرب منه ، وبالغ في إكرامه . ويقال إنه هو كان قد كتب إليه ، ورغبه في الوفود عليه . وكان قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت إليه ، يبعثه على

(١) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٨ .

(٢) تراث الإنسانية ، العدد الأول من المجلد الخامس . بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

التأليف وينشطه بوسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط والإكرام، (١) وبعد الحكم بن عبد الرحمن من أشد ملوك الأندلس شغفاً بالعلم وأكثرهم اشتغالاً به وحرصاً عليه . وبعضهم يعزو إلى القالي هذا الفضل وأنه غرس في نفس تلميذه الحكم حب المعرفة (٢) ، ولكننا لا نذهب إلى هذا المدى في تأثير أبي علي في الحكم ، لأن الحكم كان في الثامنة والعشرين من عمره سنة وصول أبي علي إلى الأندلس (٣) .

استوطن أبو علي قرطبة ونشر علمه بها وألف فيها أكثر كتبه ، وفي طليعتها كتاب الأمالي والنوادر وكتاب البارح في اللغة ، وكان يبلي معارفه أيام الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء ، « فاستفاد الناس منه وعتولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله » .

وكما عرف أبو علي في العراق وسائر المشرق بالقالي عرف أيضاً بالبغدادي بين أهل المغرب والأندلس بعد رحيله اليهم . وقد يرى بعض الباحثين في إطلاق المغاربة الأندلسيين لقب البغدادي على أبي علي ما يشير إلى مذهبه في اللغة والنحو والتصريف الذي اشتهر به نتيجة إقامته في بغداد وأخذته عن عدد من الشيوخ البغداديين في العراق . فكأنه الناقل لهذا المذهب البغدادي والبشر به في المغرب والأندلس . غير أننا لانجح إلى هذا الرأي لأسباب ؛ منها أن مدرسة بغداد لم تكن مدرسة متميزة بالمعنى الدقيق وذات ملامح بارزة كما كان شأن مدرستي الكوفة والبصرة المتنافستين ، ولكنها

(١) جذوة المتبس في ذكر ولاة الأندلس ١٥٥ .

(٢) مجنح الأستاذ أحمد أمين إلى هذا الرأي في كتاب « ظهر الإسلام » ٣ : ٨٢ - ٨٣ .

(٣) تولى الحكم خلافة الأندلس من ٣٥٠ - ٣٦٦ سنة وفاته ، وكان مولده

سنة ٣٠٢ .

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

خصيلة مشتركة للتفاعل العلمي بين البصريين والكوفيين ، وإن كان الميل إلى البصريين غالباً عليها . يؤيد ذلك ما نجد في العديد من كتب السلف من تجاوز لمذهب بغداد ، مثل كتاب « طبقات النحويين واللغويين » لأبي بكر الزبيدي ، فقد ميز البصريين من الكوفيين ثم أتبعهم المصريين والأفريقيين والأندلسيين بل إن كتاب الزبيدي نفسه يصنف أبا علي القالي في الطبقة السابعة من اللغويين البصريين ويعدّه من أصحاب ابن دريد ، كما يجعله في موضع آخر من كتابه في الطبقة العاشرة من النحويين البصريين ويذكر أنه من أصحاب ابن درستويه (١) . يضاف إلى ذلك أن أكثر من ترجوا لأبي علي في القديم أشاروا إلى أنه كان أعلم الناس بنحو البصريين . على أن أبا علي نفسه لم يكن في مصنفاته البارزة نحوياً بقدر ما كان لغوياً يعتني بنوادير العربية وغريبها ، ولغات العرب وأشعارهم ، يتم على ذلك كتابه الكبيران : الأمالي والبارع . وقد ذكر الحميدي أن « أكثر من يحدث عن القالي بالمغرب أو يحكي عنه يقول أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، نسبه إليها لطول مقامه بها ووصوله إليهم منها » أما أبو علي نفسه فقد آثر أن يجمع بين النسبتين حين استهل كتابه « الأمالي » بقوله : « قال الشيخ أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي رحمه الله .. » .

تبرخ القالي :

أتبع لأبي علي إن يتلمذ على نخبة من العلماء الأجلاء ، فأخذ الحديث النبوي في بغداد عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي محدث العراق في عصره (٣١٧ هـ -) وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني من فقهاء

م (٦)

(١) طبقات النحويين واللغويين ١٣٢ ، ٢٠٥ .

العراق (- ٣١٦ هـ) وأبي سعيد الحسن بن زكريا المدودي البصري (- ٣١٩ هـ) ، ويوسف بن يعقوب القاضي (- ٢٩٧ هـ) وابن صاعد يحيى ابن محمد (- ٣١٧ هـ) ، وأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرئ (- ٣٢٤ هـ) ، وحسين بن اسماعيل الحاملي ... وكلهم من علماء الحديث الذين تضبط عليهم الرواية بدقة وتشدد . وحين قصد أبو علي إلى الموصل في أول مقامه بالعراق لازم فقيها وعالمها أبا يعلى الموصلي .

وما من شك في أن هؤلاء الشيوخ المحدثين تركوا أثرهم عند أبي علي القالي من حيث اعتماده الكبير على الرواية والحفظ وتوجيه الدقة والاتقان وحرصه على التمسك بالأسانيد ، على غرار كتب الفقه والحديث ، مما نلمسه بوضوح في كتب القالي وبخاصة في الأمالي والبارع .

وأخذ أبو علي علوم العربية عن أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ويمد أبرز تلاميذ البرد (- ٢٨٨ هـ) ، وأبي اسحق إبراهيم بن السري الزجاج من تلاميذ البرد أيضاً (- ٣١١ هـ) ، وأبي الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الصغير (- ٣١٥ هـ) ، وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه (- ٣٢٣ هـ) ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب الجمهرة (- ٣٢١ هـ) ، وأبي بكر بن محمد بن السراج النحوي (- ٣١٦ هـ) ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري من أبرز علماء الكوفة (- ٣٢٨ هـ) ، ومحمد بن يزيد بن أبي الأزهر ومن شيوخ أبي الفرج الأصبهاني (- ٣٢٥ هـ) ... وسوى هؤلاء من اللغويين والنحويين . وكان أكثرهم من تلاميذ البرد اللامعين وعرفوا مثله بكثرة المحفوظ ودقة الرواية وبغلبة الطابع العربي في ذلك كله بعيداً عن المؤثرات الثقافية التي كانت ترفد الفكر العربي من الفرس واليونان وتتجلى في نتاج فئة أخرى من الأعلام كالجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصبهاني وقدامة بن جعفر وسوام .. على

تفاوت في مدى هذا التأثير . وثمة شيوخ آخرون أخذ عنهم أبو علي ومنهم ابن شقير والمطرز وجحظة وابن قتيبة الابن ... غير أن أبرز من أخذ عنهم أبو علي أبو بكر بن دريد ، فقد كان شديد الملازمة له والأخذ عنه ، كما ملأ كتبه بأخباره وأقواله ومجالسه ، « وقد روى عنه كتابه الجهرة رواية واعية متقنة وبخطه » . وعندما توفي حزن حزناً شديداً وقال : « لا أرجو أن أقيم بعده في بغداد . وهذا ما حدث بعد حين من الزمان ، فلم يلبث أبو علي في العراق سوى بضع سنين رحل بعدها إلى الأندلس . وقد كان آخر ما أورده أبو علي في كتابه « التوارد » قصيدة طويلة في رثاء ابن دريد ، وكأنه أراد بها أن تكون خاتمة لكتابه الجليل ودليلاً على ما يكنه لشيخه من محبة ووفاء .

تلاميذ الفالي :

رحل أبو علي عن بغداد وهو يناهز الأربعين ، ولم يتح له أن يترك أثراً كبيراً في تلاميذه هناك . على أن الحال كان على خلاف ذلك في الأندلس حيث ذاع فضله وكثر قاصدوه ولعل الحكيم بن عبد الرحمن الناصر الأموي كان في طليعة الذين أفادوا من علمه . وأبرز من تعلموا على أبي علي إطلاقاً أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، وهو لغوي كبير اشتهر بكتابه « مختصر العين » و « طبقات اللغويين والنحويين » ، وكان إماماً في الأدب ولكن عرف فضل أبي علي فما لبث إليه واختص به واستفاد منه وأقر له ، (٢) وتذكرنا ملازمة الزبيدي لأبي علي في قرطبة بملازمة أبي علي لابن دريد في بغداد . وفي مؤلفات الزبيدي جانب كبير مما أخذه عن

(١) مقدمة الجهرة في اللغة ١٧ .

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت ٧ : ٣٠ ، وجذوة القتبس للحبيدي ١٥٤ .

شيخه وكان يحمله إجلال أبي علي لابن دريد ، وفيه يقول (١) : « ولا نعلم
أحداً من المتقدمين ألف مثله »
ومن الناهين الذين أخذوا عن أبي علي أحمد بن أبان اللغوي (٢) ويذكر
السيوطي أنه صنف كتاباً اسمه « العالم » في اللغة ويقع في مئة مجلد ، وقد
رتبه على الأجناس ، وبدأ فيه بالفلك وختم بالذرة . وأغلب الظن أن هذا
الكتاب حصيلة تأثر ابن أبان بالقالي في نزعة اللغوية ، ولعل صاحب « العالم
في اللغة » كان يضع نصب عينيه كتاب « البارع في اللغة » لأبي علي
ويحرص على مباراته في مادته وحججه .

ثقافة القالي :

إن معرفتنا بشيوخ القالي تتيح لنا أن نقف على طبيعة ثقافته ولون
معارفه ، كما تلقي في الوقت نفسه ضوءاً على مذهبه في اللغة ومنهجه في
التأليف . وقد رأينا أن معظم شيوخه في الموصل وبغداد كانوا نحاة مشهورين
ومحدثين بارزين اتسموا بالطابع العربي الخالص وعرفوا بالضبط والإتقان .
وأكثر من ترجموا لأبي علي يشيرون إلى اقتداره في النحو ، فيصفه
ياقوت بأنه أعلم الناس بنحو البصريين (٣) ، ويجعله القفطي في عداد أبناء
النحاة ويقول عنه : « إنه قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ،
واستفصره جميعه وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره وعلل العلة ،

(١) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

(٢) هو أحمد بن أبان بن سعيد اللغوي الأندلسي ، ترجم له السيوطي وقال إنه كان

عالماً إماماً في العربية حاذقاً أديباً سريع الكتابة . توفي سنة ٣٨٢ هـ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٣١ .

وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين .. ، (١) وعلى الرغم مما توحى به هذه العبارات فإن النحو لم يستأثر باهتمام أبي علي إلى هذا المدى . ومع أن أبا علي ألف في النحو كتباً مثل كتاب « المقصور والمدود » وكتاب « فعلت وأفعلت » ومشاكلها فإن هذه البحوث تعد أدخل في علم الصرف منها في النحو ، وطابعها لغوي أكثر منه نحويًا . كما أن مثل هذه الكتب يقل في منزلته وأهميته عن سائر كتب أبي علي اللغوية وفي مقدمتها كتابه « الأمالي » ومعجمه « البارع » فنزعة أبي علي اللغوية بارزة في هذين الكتابين وغالبة على ما عداها . وعلى ذلك لا تعد أبا علي في عداد النحاة على علو كعبه في النحو على حين يتبوأ منزلة رفيعة بين اللغويين وأصحاب المعاجم في تراثنا العلمي . ولعل أبا علي في هذا الشأن أشبه ما يكون بالخليل بن أحمد الذي جعله بعض الذين ترجوا له في عداد النحويين البصريين دون اللغويين ، ومنهم أبو بكر الزبيدي في طبقاته ، على حين عرف الخليل باللغة وكان له فيه معجم العين كما كان لأبي علي معجم البارع . على أن أبا علي عرف لدى بعض القدماء بهذا الفضل وأنه « كان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقناً لها » (٢) . وهكذا تكونت شخصية القالي على أنه إمام ثبت وحجة ثقة ، وأنه راوية للغة والأخبار في غاية التقيد والضبط . وقد عرف فضلاً عن ذلك بسعة العلم وقوة الحفظ وأنه كان يملئ معارفه عن ظهر قلبه (٣) .

(١) إنباء الرواة على أبناء النحاة ١ : ٢٠٥ .

(٢) بغية المنتس في تاريخ رجال أهل الأندلس ٢١٧ .

(٣) إنباء الرواة على أبناء النحاة ١ : ٢٠٥ .

كتب القالي :

ألف أبو علي كتباً عديدة مازال بعضها بعيداً عن متناول الأيدي بعد أن عبثت به الأيام . وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألف في علمه الذي اختص به تأليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته ، (١) ومن هذه المؤلفات التي نوردتها كتب التراجم والفنون :

كتاب المقصور والمدود والمهموز : وقد بناه على التفعيل ونحارج الحروف من الخلق . وقد وصفه القفطي في إنباء الرواة بأنه « مستقصى في بابيه ، لا يشذ عنه شيء في معناه ، لم يوضع له نظير ، ونعته الحميدي بأنه لم يؤلف في بابيه مثله (٢) ، ويقع في عشرة أجزاء (٣) .

كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها ، ويذكر أيضاً باسم كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها ، وهو في خمسة أجزاء .

كتاب حلي الإنسان والخيول وشياتها .

كتاب فلت وأفعلت : وقد جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج (٤) .

كتاب أفعل من كذا (٥)

كتاب مقاتل الفرسان

- (١) بغية الشمس ٢١٨ .
- (٢) يرد اسم الكتاب في جذوة المتعبس بأنه كتاب المقصور والمدود والمهموز ، ١٥٦ . على حين تورده كتب التراجم الأخرى باسم كتاب المقصور والمدود .
- (٣) فهرست ابن خير ٣٥٣ - ٣٥٥ .
- (٤) فهرست ابن خير ٣٥٣ .
- (٥) اقرده بذكره ابن خير وأسندته إلى شيوخه في رواية متصلة .

كتاب تفسير القصائد والملقات : ولعله هو نفسه كتاب : تفسير السبع الطوال الذي ذكره ياقوت .

كتاب الأمالي ، و ذيل الأمالي والنوادر : وهو أجل كتبه وأشهرها .

كتاب البارع : وهو معجم مسهب في ألفاظ العربية .

وينسب إلى القالي أيضاً أنه شرح ديوان ذي الرمة . ولكن أكثر

المصادر لا تشير إلى ذلك .

ويحسن بي أن أقف وقفة طويلة بمض الشيء عند كتائين بارزين من

هذه الكتب وهما : البارع ، والأمالي .

كتاب البارع كتاب في اللغة (١) ، بناه أبو علي على حروف المعجم .

وتذكر كتب التراجم أنه جمع فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة من الغريب

إلى ناقلها من العلماء وأنه اختصر الاستناد عنهم . وما يؤسف له أن هذا

الكتاب الجليل لم يصل إلينا كاملاً . وقد نشر الأستاذ (فلتون A. S. Fulton)

الجزء المخطوط لديه في المتحف البريطاني مصوراً عام ١٩٣٣ ، ويقع في ١٤٨

صفحة وقدم له بالانكليزية . غير أن أصل الكتاب أضعاف هذا الجزء .

وقد ذكر ياقوت أنه يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة وأنه يحتوي مائة مجلد

وفي وفيات الأعيان وإنباء الرواة ان كتاب البارع يشتمل على خمسة آلاف

ورقة . وأغلب الظن أن الذين تكلموا على البارع من المشارقة لم يصفوه

من كتب ، ولذلك يبقى ابن خير وهو أندلسي عرف بتدقيقه أفضل من

يحدثنا عن هذا المعجم الكبير . فهو يحدد حجمه بقوله : « إنه في مائة

وأربعة وستين جزءاً ، عدد ورقها أربعة آلاف ورقة وأربعمئة ورقة وست

(١) انقرد حاجي خليفة في كشف الظنون بأنه ذكر للقالي كتاباً اسمه « البارع في

غريب الحديث » ولم يذكر له البارع في اللغة ، ونظن أن هذا وهم منه ،

انظر ٢١٦ : ١ .

وأربعون ورقة ، ويورد ابن خير مزيداً من التفصيل عن هذا الكتاب فينقل عن الزبيدي تلميذ أبي علي قوله . « وهو في اللغات كلها ، زاد على كتاب الخليل نيفاً وأربعمئة ورقة مما وقع في (العين) مهملات فأملاه مستعملاً ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملى الشواهد فيه ، (١) .

وبكاد المصنفون يجمعون على إجلال هذا الكتاب ، فيقول فيه الحميدي إنه « كاد يحتوي على لغة العرب » (٢) . ويقول فيه ياقوت إنه « يحتوي على مائة مجلد لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب » ، ثم ينقل عن الزبيدي قوله : « ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله » (٣) . وبرغم اشتهار هذا المعجم لم يمل الناس إليه منذ زمن قديم ، يقول السيوطي : « ولم يرجوا أيضاً على بارع أبي علي البغدادي » (٤) ولعل ذلك هو السبب في أننا لم تصل إلينا نسخة كاملة من المعجم (٥) ومما يكن من أمر فإن الأندلس تبقى حتى القرن الرابع ليأتيها القالي من المشرق ويؤلف فيها كتاب البارع أول معجم عربي في تاريخها (٦) .

ونفهم مما قاله ابن خير وسائر من ترجموا للقالي ومن بعض أقوال أبي علي نفسه ان مصنفات أبي علي في معظمها قد ألفها في الأندلس وأنها

(١) الفهرست ٣٥٤ .

(٢) جنوة المقتبس ١٥٦ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .

(٤) الزهر ١ : ٤٥ ، والمعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .

(٥) المعجم العربي : حسين نصار ٢٨٧ .

(٦) ذكر ابن خير أن الزبيدي ألب كتاباً اسمه « المسندرك » من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي ، على كتاب « العين » للخليل بن أحمد ، ٣٥٠ .

أهديت من صاحبها إلى الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وبخاصة كتاب الأمالي وكتاب البارع وكتاب فعلت وأفعلت . وقد ذكر ابن خلكان أن أبا علي اتخذ قرطبة مقاماً له وأن « أكثر كتبه بها وضعها ولم يزل بها » (١) .

كتاب الأمالي

كتاب الأمالي :

الأمالي جمع إملاء على غير قياس . أو أنها جمع أملية كأغنية وأحجية وأثنية وأمسية . وقد ذكر السيوطي ان طريقة الإملاء أعلى وظائف حفاظ الحديث (٢) . وقال حاجي خليفة يصف التأليف في هذا الفن « هو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمخابر والقراطيس ، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه ، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً ، ويسمونه الإملاء والأمالي . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية » (٣) . فالأمالي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وأدب . وهي في رأينا تطابق في مدلولها كلمة المحاضرة في العصر الحديث ، بل ان المحاضرة بهذا المعنى اصطلاح قديم إلا أنه لم يشتهر اشتهار الإملاء ؛ فقد ذكر أبو منصور الأزهري ان الأصمعي كان أملي يبغداد كتاباً في النوادر ، فزيد عليه ما ليس من كلامه ، فأنكر ذلك وقال : « خير العلم ما حضرت به » (٤) . وإذا كان ثمة فارق بين

(١) وفيات الأعيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) الزهر ٢ : ٣١٣ .

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ : ١٦١ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ، المقدمة للأزهري .

الأمالي وبين المحاضرات فهو أن الأمالي 'تملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب ، على حين تتلى المحاضرة من أوراق أعدت من قبل . وبعبير آخر أن المحاضرة صورة جديدة ومتطورة للإملاء تتم بالتركيز ووحدة الموضوع . وكثيراً ما كان يستعاض عن كلمة أملية أو إملاء بكلمة مجلس . وثمة كتب عديدة تحمل هذا الاسم أشهرها « مجالس ثعلب » وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، والتداخل بين هذين الاصطلاحين أيضاً شائع . ففي أمالي القالي مثلاً نجد مادة الكتاب مقسمة إلى مجالس ، وواضح أن المراد بكلمة المجلس مايلقى في جلسة واحدة ولعله يشبه الفصل أو الباب . ومن هنا وتبعاً للمدلول الواسع لكلمة الأمالي كثرت الكتب التي تحمل هذا الاسم كثرة بالغة في تراثنا العربي على صعيد اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير ... الخ . وفي كتب التراجم والفنون مثل فهرست ابن النديم وفهرست ابن خير وكشف الظنون وسواها مصنفات لا تكاد تحصى وتحمل جميعاً كلمة الأمالي عنواناً لها . ولا يعنيها من هذه الكتب إلا ما كان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير نعدد منه ولا نعدده :

- أمالي ثعلب (- ٥٢٩١ هـ) .
- أمالي اليزيدي (- ٥٣١٠ هـ) .
- أمالي الزجاج (- ٥٣١٦ هـ) .
- أمالي ابن دريد (- ٥٣٢١ هـ) .
- أمالي أبي بكر الأنباري (- ٥٣٢٨ هـ) .
- أمالي الزجاجي (- ٥٣٤٠ هـ) .
- أمالي القالي (- ٥٣٥٦ هـ) .
- أمالي بدع الزمان الهمداني (- ٥٣٩٨ هـ) .
- أمالي المرزوقي (- ٥٤٣١ هـ) .
- أمالي المرتضى (- ٥٤٤٦ هـ) .

- أمالي أبي العلاء (- ٤٤٩ هـ) .
- أمالي ابن الشجري (- ٥٤٣ هـ) .
- أمالي الزمخشري (- ٥٣٨ هـ) .
- أمالي ابن الحاجب (٦٧٢ هـ) .

ولسنا ندري على وجه الدقة متى عرفت تسمية الكتب بالأمالي واختيرت لمصنفات بعضها ، ولكننا زجح أن كتب الفقه والحديث كانت أسبق من سواها في هذا الصدد . ونحن نرى مثلاً كتاباً في الفقه يحمل اسم الأمالي لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وهو صاحب أبي حنيفة (١) . وهذا يدل على أن التسمية عرفت منذ القرن الثاني ، ثم شاعت خلال القرنين الثالث والرابع . ولعل أول كتاب بارز في اللغة والنحو والأدب من هذه الزمرة كتاب « مجالس ثعلب » من رجال القرن الثالث ويبقى كتاب ثعلب هذا إلى جانب أمالي القالي وأمالي ابن الشجري أشهر كتب الأمالي في هذا الموضوع .

منزلة أمالي القالي :

أما كتاب الأمالي لأبي علي القالي البغدادي فهو أشهر كتبه ، وبه عرف في مضار التأليف . ولعله أشهر كتب الأمالي قاطبة . وكثيراً ما يطلق على أمالي القالي اسم (النوادر) . ولعل هذه التسمية من قبيل إطلاق الجزء على الكل . فالمعروف أن جزءاً من الكتاب يلي الأمالي كان مؤلفه قد ألحقه به وأسماء : « النوادر » كما أن الكتاب نفسه يعرف أيضاً باسم آخر هو « النوادر والأمالي » ، (٢) .

(١) طبع الكتاب في حيدر اباد سنة ١٣٦٠ هـ وقع في نيف وسبعين صفحة .

(٢) انظر إنباه الرواة ١ : ٢٠٥ .

ولكتاب الأمالي منزلة رفيعة في تراثنا العربي ، وقد عرف القدماء فضله وقدموه . يقول ابن خلدون في مقدمته : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم : أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

وفي تقديرنا أن كتاب الأمالي حظي بشهرة واسعة في الأندلس ، وكان له صدى بعيد في محافظها الأدبية ، لأنه أول كتاب من نوعه ألف في تلك الربوع (١) وغدا عمدة في موضوعه ونموذجاً يحتذى في غزارة المادة وغنى النصوص وإتقان الرواية ودقة الضبط . يضاف إلى ذلك ما أصاب أبا علي نفسه مؤلف الكتاب من حفاوة بالغة في إثر وصوله إلى الأندلس وخروج جمع حاشد من العلماء وجملة القوم لاستقباله ، على رأسهم الأمير الحكم نيابة عن أبيه الخليفة الناصر وما من ريب في أن نباهة شأن أبي علي على هذا النحو قد انعكست على ما كان عليه في قرطبة وبالتالي على كتابه « الأمالي » .

وكان من أصدقاء هذه الشهرة أن أبا عبيد البكري الأندلسي (٢) نشط

(١) ذهب الأستاذ أحمد أمين في مجلة « الثقافة » ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ إلى أن أمالي أبي علي النواة الأولى التي بذرها القالي في الأندلس من علوم المشرق . وفي هذا غلو ولا يتفق والحقيقة . وهذا الرأي قاده إلى الوهم حين قال إن مشهوري الأدباء في الأندلس ومنهم ابن عبد ربه قد تخرجوا في مدرسة أبي علي . وهذا يعني أن القالي أسبق وجوداً وتأليفاً وإن ابن عبد ربه بمثابة تلميذه ، على حين توفي ابن عبد ربه قبل بلوغ أبي علي الأندلس ، وقد ناقش هذا الرأي بدقة محمد سعيد الريان في تقديمه للمقد الفريد .

(٢) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري عالم في اللغة والأنساب والشعر والأخبار سكن قرطبة وتوفي سنة ٤٨٧ هـ .

لشرح الأمالي وتفسير نوادره في كتابين يحمل أحدهما اسم « اللآلي في شرح أمالي القالي » (١) ، والثاني « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » (٢) . وعلى الرغم مما يوحي به عنوان الكتاب الثاني من تحامل ومن حرص لدى البكري على تسقط هفوات أبي علي فإن هذه التعليقات زادت شهرة الكتاب استفاضة . وإن تصدي البكري للأمالي ينطوي في الوقت نفسه على إقرار بأهمية الكتاب وجلال شأنه .

كما أن أحمد بن عبد المؤمن الشريشي المتوفى سنة ٥١٩ هـ عمده إلى اختصار أمالي القالي . ومن جهة أخرى حرص بعضهم على احتذاء كتاب الأمالي والنسج على منواله ، كما فعل اللغوي الوافد على الأندلس أبو الملاء صاعد بن الحسن الذي ألف للخليفة الأموي المنصور كتاب « الفصوص » على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي (٣) . وكان أبو علي قد أملى كتابه من حفظه في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، ثم أهدى أماليه إلى الخليفة الحكم وأشاد بفضلها في خطبة كتابه .

نشر الأمالي :

نشر كتاب الأمالي أول مرة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ (٤) .

- (١) طبع في القاهرة سنة ١٩٣٦ م بتحقيق جيد من قبل العلامة الهندي عبد العزيز الميحي . والكتاب يزيد في حجه على كتاب الأمالي نفسه .
- (٢) عمل على نشره الأب أنطون صالحاني وظهر في أربعة أجزاء بدار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ، وطبع مع كتاب الأمالي نفسه ملحقاً بكتاب النوادر . انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٩ .
- (٣) انظر جذوة الفتيس لحميدي ٢٢٣ .
- (٤) ذكر محمد عبد الجواد الأسمي في خلال تصديره طبعة دار الكتب المصرية لكتاب الأمالي أن تاريخ نشره كان سنة ١٣٢٢ هـ ، على حين يذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٩ أن نشره الأول كان سنة ١٣٢٤ هـ ، ونظائره في ذلك عبد السلام هارون وهو في صدد تقديمه للأمالي الزجاجي . ونحن لم نوفق في الوقوف على الطبعة الأولى .

وقد صنع المستشرقان كرفكو وييفان فهارس للأشعار التي وردت في كتاب الأمالي وأصدرها في كتاب عام ١٩١٣ بمطبعة ليدن . ثم طبع الأمالي ثانية في دار الكتب المصرية عام ١٩٣٦ . وبعد ذلك أعيدت طباعته مرات في القاهرة ودمشق وبيروت ، وأكثرها كان بطريقة التصوير عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب . وطبعة دار الكتب تشير إلى أن كتاب الأمالي مؤلف من جزئين يليها جزء ثالث هو « ذيل الأمالي والنوادر » ثم جزء رابع صغير هو كتاب « النوادر » .

ويبدو أن تقسيم كتاب الأمالي لم يكن على هذه الصورة لأن كتب التراجم تفيد أن صاحبه جملة ستة عشر جزءاً للامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءاً^(١) . أما السيوطي فيقول في مقدمة (بنية الدعاء) انه اعتمد عليه في كتابه وأنه في خمسة مجلدات ، وقد كرر هذا القول في كتاب « الزهر » .

مختصر الأمالي :

قال أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر أبي علي مبارك لكتاب (الكامل) الذي جمعه البرد ، وابن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً »^(٢) . وقد وصف القفطي الكتاب أيضاً فقال^(٣) : « وهذا الكتاب غاية في مناه وهو أنفع الكتب ، لأن فيه

(١) انظر تراث الإنسانية ، المجلد الخامس : العدد الأول ، بقلم الدكتور أحمد كمال زكي .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٨ .

(٣) إنباء الرواة على أبناء النحاة ١ : ٢٠٥ .

الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر المتقني في كل معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد في شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ماهي في هذا الكتاب . وفيه القلب والإبدال مستقصى ، وفيه تفسير الإتياع وهو مما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد كثيرة .

على أن القالي نفسه يتكلم في خطبة كتابه على محتوى أماليه فيقول « وأودعته فنوناً من الأخبار ، وضروباً من الأشعار ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب اللغات . على أنني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته .

ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ . على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الإتياع ما لم يفسره بشر . فمادة الأمالي كما أرادها أبو علي أمشاج من الأخبار والأشعار والأمثال ، يتخللها شيء من تفسير القرآن وحديث الرسول . ويغلب على ذلك كله الطابع اللغوي الذي يميز الكتاب ، على حين أننا قلما وجدنا المؤلف يتعرض لقضايا في النحو ، وهو في ذلك يسير في « أماليه » وفي « بارعه » أيضاً على هدي أستاذه ابن دريد . ومن خلال سطور المقدمة هذه أيضاً يتجلى أبو علي مؤلفاً شديداً الثقة بنفسه معتداً بلمه وبخاصة في مجال التصريف . وليس هذا تبجحاً منه ، فما بين دفتي كتابه من نصوص قيمة أمر لا ينازع فيه ويدل على أن صاحبه حوى خطير علوم العربية في عصره .

مخرج الأمالي :

إن غزارة المادة في كتاب الأمالي سمة بارزة فيه ؛ فهو غني بنصوص الشعر والنثر مما يميز وجوده في كثير من كتب الأدب . وإذا تساءلنا

عن المنهاج الذي آثره القالي في كتابه القيم هذا خاب أملنا . إنه أشبه بمنجم من المعادن الثمينة تناثرت كنوزه وتوعرت إليه الدروب . وهذه السنة في التأليف التي تضيق بالتزام الموضوع وتحديد إطاره ابتدعها الجاحظ ووطد أسسها في كتبه ولما استطاع المؤلفون بعده أن يتحرروا منها . وكان جديراً بالقالي وقد عاش في القرن الرابع أي بعد المرحلة الجاحظية الرائدة بأكثر من قرن أن يعتمد إلى شيء من تنسيق الأشباه والنظائر في كتابه . فقد رأينا عدداً ممن عاصروه بل سبقوه كابن قتيبة وابن عبد ربه ينجحون إلى نوع من التبويب في مصنفتهم الكبيرة ، برغم بقاء ظاهرة الاستطراد فيها . ويمكن القول إن أبا علي مازال في عصره — القرن الرابع الهجري — يمثل الاتجاه العربي الخالص ، وينطوي على سمات المحافظة دون أن يسمع بمقدار كافٍ للمؤثرات الدخيلة لثوثر في منهجه ، على حين نجد بين معاصريه علماء كانوا في الطرف المقابل كقدامة بن جعفر الذي اسطنع في كتابه نقد الشعر ، تقسيمات شديدة التحديد .

لقد كان القالي حريصاً على التمسك بتقاليد العرب العلمية التي كانت ترتكز لديه على شعور الوفاء لشيخه العلماء وتبجلى في الرواية عنهم وإسناد المنقول إليهم . وهذه الظاهرة تبرز أمامنا في كتاب أبي علي وتشيع في سائر كتبه ؛ حتى إننا قلنا تقع خلال الأمالي على فقرة لا تبدأ بإحدى العبارات التقليدية المألوفة : (حدثنا ، أو ، أنشدنا ، أو ، قرأت على فلان ...) . حتى إن الرواية عن الآخرين تكاد تظني على ما عداها من أقوال المؤلف وآرائه . إن أبا علي في أماليه باهت الشخصية ، يصطنع مذهب رجال الحديث في الرواية والإسناد ، ثم يبدي أحياناً بدلوه بين الدلاء في تواضع جم .

إن طابع الإملاء واضح في كتاب الأمالي ، وكأني بأبي علي في مسجد قرطبة وحوله جمع غفير من المریدین والطلاب والمتأدين ، وقد أخذ يسترسل في إيراد الأخبار ويتدفق في إنشاد الأشعار ، ثم يجلو عويصها ويفسر غريبها ويشرح غامضها . وقد تدعو فكرة فكرة أخرى خطرت بباله ، أو قصيدة تذكره بما يشبهها في عبارة وردت فيها أو معنى عرض خلالها ، فإذا الرجل آخر الأمر قد ابتعد عن موضوعه الأول أشواطاً . ولم يكن هذا الاستطراد في ذلك العصر عيباً ، بل كان مزية يراد منها أن تذهب عن الطلاب السأم وتنتقل بهم أو بقراء الكتاب في جواء مختلفة الألوان والطعوم .

ولعل من أسباب ضعف التيوب وقلة التنظيم في كتاب الأمالي أن مؤلفه كان يعتمد على طريقة الإلقاء والإملاء من محفوظه وعن ظهر قلبه . ولا ريب أن في هذا اقتداراً ينتزع الإعجاب . وقد قال القفطي في كتاب أبي علي (١) : « وأملاه ظاهراً من قلبه ... وارتجل تفسير ما فيه » . وأبو علي نفسه بعند بوزارة محفوظه فيقول في خطبة كتابه : « فأملت (٢) هذا الكتاب من حفظي » . ويؤثر عن القدماء أنهم كانوا يرون أن الحفظ أعلى منازل العلم ، وأن الحفظ في أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين . لقد كان أبو علي من هذا القليل ، وهو يباهي بأنه حوى علوم السلف ، غير أنه لم يكن يحرص على تجاوز هذا النطاق . ويبدو هذا الاعتداد أيضاً في خطبة كتابه حيث يقول .

« لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حوت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارده ، ورويت نادره » . وهذا النص واضح الدلالة

(١) إنباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) أملت الكتاب على الكاتب إملاً وأملته عليه إملاء أي قلته له فكتب عني ، والأولى لنة الحجاز وبنى أسد والثانية لفة بني تميم وقيس . (المجلة) م (٧)

على حرص أبي علي على الجمع والاستيعاب ، شأنه في ذلك شأن أكثر المؤلفين القدامى . وقد ذكر ابن بسام (١) أن أبا علي كان يقول لأهل الأندلس : « إن علمي علم روائية وليس بعلم دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، وفي هذا القول ما يكشف عن طابع كتاب أبي علي فضلاً عن أنه ينم على تواضعه ، وهو ما هو بين العلماء في عصره .

وأغلب الظن أن أبا علي كان يأنس من أهل الأندلس وجمهور قرطبة شغفاً بأخبار المشاركة وإقبالاً على علمهم وأدبهم ، فيعمد من جهته إلى إرضاء هذا التطلع في نفوسهم ، ويحرص على أن يهرم بسعة محفوظه وغزارة علمه وكأنه يضع بين يديهم حصيلة ما حواه شيوخه وما آل إليه منهم . ومما يؤيد هذه الرغبة في نفسه أنه وهو الممدود على مذهب البصريين كان لا يتردد في النقل عن الكوفيين وأحياناً عن بعض الكوفيين غير الموثقين . وينبغي أن نقر في الوقت نفسه أن أبا علي لغوي كبير وعالم جليل ، انفتح ذهنه على المعارف كلها دون تمييز بين مذاهب أهلها . وفي فهرست ابن خير ثبت طویل بأسماء الكتب التي حملها أبو علي معه إلى الأندلس ، من بينها كتب لعدد من علماء الكوفة كما أن أبا علي يكثر في أماليه من الرواية عن أبي بكر بن الأنباري وينقل أيضاً عن الكسائي وعن الفراء وعن ثعلب وسواهم من الكوفيين ، وينقل في الوقت نفسه عن سائر اللغويين والنحاة البصريين كالبريد والأخفش وابن درستويه وابن دريد والزجاج .

وفي رأي المستشرق بروكلان أن أبا علي القالي كان أول من نقل علم الأدب إلى الأندلس (٢) وهذه منزلة رفيعة لم يبلغها أحد من المشاركة قبل

(١) انظر مقدمة كتاب الأمالي نقلًا عن جزء مخطوط من النخبة .

(٢) تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٧٧ .

أبي علي وبعده في مضمار اللغة والأدب ، ولا يضارعه فيها إلا زرياب في
الموسيقي والغناء .

على أننا قد نظم القالي إذا عددناه في كتابه جامعاً حافظاً للنصوص فحسب
فالحق أنه فقيه لغوي قل نظيره ، مقتدر على شرح العوبص من الألفاظ ،
غير أنه بالإضافة إلى ذلك بل فوق ذلك ذواقة للنصوص ، بصير بجميل
الشعر والنثر . ولعل قيمة كتابه الحقيقية إنما تكمن في هذه الناحية ، لأنه
حوى زبدة فنون القول وآداب العرب . إن كتاب الأمالي في جملته مختارات
أدبية رفيعة تتسم في الغالب بالأصالة والندرة ، وتنطوي في الوقت نفسه على
الفائدة والمتعة .

الدكتور عمر الدقاق



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة^(١)

- ٥ -

(حرف العين)

٢٨٤ - ص ١١٧٣ « عارف حكمت ... أسس مكتبة باستانبول ... » .
من الملاحظات : إن الموسوعة لم تذكر أنه نقل مكتبته إلى المدينة ،
وما تزال فيها ، ولها شهرة بمخطوطاتها .

٢٨٥ - ص ١١٧٤ « عائشة بنت أبي بكر ... كانت أديبة شاعرة . »
من الملاحظات : أنها لم تكن شاعرة ...

٢٧٦ - ص ١١٧٥ « عائشة بنت طلحة ... أديبة عالمة ، عرفت
بجمالها ... » .

في الحديث عن عائشة بنت طلحة تقدم مسألة الجمال على غيرها ، وقد
تكون عائشة أديبة بمعنى ما ، ولكن لا داعي إلى « عالمة » في موسوعة
ميسرة ولا سيما إذا وردت الصفة من غير تخصيص .

٢٨٧ - ص ١١٧٥ « عائشة التيمورية ... لها ديوان اسمه حلية الطراز
ولها كتاب نتائج الأحوال » أما ديوان شعرها التركي فاسمه كشوفة ...
وللأنسة مي دراسة مشهورة عنها حيث أطلقت عليها اسم شاعرة الطبيعة .

(١) نشر أول هذه الملاحظات في الصفحات التالية : ٢٨٥ و ٤٧٧ من المجلد (٤٢)
و ١٠٤ و ٣٤١ و ٦٢٧ من المجلد (٤٣) .

- أ - حلية الطراز - ط . نتائج الأحوال - ط . ب - كشوفه :
- شكوفه - ط . ج - ليست دراسة مي من الذبوع بحيث يمكن وصفها بأنها مشهورة . د - شاعرة الطبيعة : شاعرة الطبيعة .
- الكتيب في الأصل « محاضرة » ألقها مي في جمعية « فتاة مصر الفتاة » ونشرت فصولاً منها في المقتطف ... وأعدت دار الهلال نشر هذه الفصول وزادت عليها ما بقي مخطوطاً منها؛ وصدرت باسم « شاعرة الطبيعة » ... ويبدو أن التسمية من إطلاق دار الهلال مشتقة إياها من العوامل التي قدمتها مي لدراستها الشاعرة : « إن عائشة تيمور طليعة اليقظة النسوية في هذه البلاد ... » صدر الكتيب في سلسلة كتاب الهلال . العدد ٦٨ .
- ٢٨٨ - ١١٧٥ « العباس : عم النبي ... وإليه يصعد العباسيون ... » من الملاحظات : خير من « يصعد » : ينتسب (أو ينتمي) .
- ٢٨٩ - ص ١١٧٦ « العباس بن مرداس ... شاعر فارسي » : ... فارس .
- ٢٩٠ - ص ١١٧٦ « العباسيون ... قسم [الرشيد] دولته قبل وفاته بين أولاده : الأمين والمأمون والقاسم ... »
- أصح من هذا أن يقال بين أولاده : محمد وعبد الله والقاسم ... (أو الأمين والمأمون والمؤمن - إذا كان لا بد من ذكر الألقاب) .
- ٢٩١ - ص ١١٧٨ « عبد الله بن رواحة ... شاعر فارسي ... » : فارس .
- ٢٩٢ - ١١٧٩ « عبد الباقي العمري ... له ديوان الترياق الفاروقي ، وديوان أهلة الأفكار في معاني الابتكار و « زهوة الدهر في تراجم فضلاء مصر » .
- أ - الترياق - ط . ولا نعرف عن الكتابين الآخرين شيئاً يذكر .

ب - تكررت ترجمة عبد الباقي في ثلاثة أماكن من الموسوعة مرة تحت « عبد الباقي » ومرة « العمري » وثالثة « الفاروقي » . وأقل ما يمكن عمله في هذه الحالة أن يترجم له في مكان ، وبحال على هذه الترجمة في الأماكن الأخرى .

٢٩٣ - ص ١١٨٣ « عبد العزيز بن سعود ١٨٨٠ - ١٩٥٣ ... أسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب واضع المذهب الوهابي » .
لم يؤسس أسرته بنجد محمد بن عبد الوهاب ، فقد كانت قائمة قبل ذلك ، وكان أميرها محمد بن سعود في الدرعية . ومحمد بن سعود هو مؤسس دولة آل سعود وليس محمد بن عبد الوهاب . وأهم ما يذكر من الأمر أن محمد بن عبد الوهاب لما ضاق ذرعاً ببلدته الميينة لجأ إلى الدرعية وفيها تم الاتفاق بينه ومحمد بن سعود ...

٢٩٤ - ص ١١٨٦ « عبدان : مدينة ج . غ . إيران ... » : عبّادان .
٢٩٥ - ص ١٢١١ « المسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ... خلف ديوان شعر ، ألف عدة كتب في اللغة مثل : « التلخيص » وجمهرة الأمثال وشرح الحماسة ... وفي الأدب مثل « معاني الأدب » والمصون ... الخ .

أ - لم يصل إلينا ديوانه . ب - لم تميز الموسوعة ما وصل من كتبه وما لم يصل ، وما طبع وما بقي مخطوطاً . ج - المصون ، ليس للمسكري أبي هلال وإنما هو للمسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد . وهو مطبوع . (الكويت . تح . عبد السلام محمد هارون ١٩٦٠) .

٢٩٦ - ص ١٢٢٠ « العقاد ... غني بابن الرومي ، وكتب عنه كتاباً

كبيراً » : كتاباً

٢٩٧ - ص ١٢٣٦ « عمر أبو ريشة ... له عدة قصائد » : له ديوانان
وعدة قصائد ...

٢٩٨ - ص ١٢٣٧ « عمران بن حطان ... كان ثقة صادقا ... » :
... صدوقا .

٢٩٩ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن قميئة ... خرج مع امرئ القيس إلى
قيصر ، ومات في الطريق ... ذكره امرؤ القيس في معلقته .

لم يذكره امرؤ القيس في معلقته . وذكرت الرواية أن عمرو بن قميئة
هو المقصود بقول امرئ القيس : بكى صاحبي لما رأى اللرب دونه ... »
٣٠٠ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن كلثوم ... له ديوان أشهره معلقته ...
التي رددتها تغلب ... وأخذ شعراؤها يضيفون إليها ، فبلغت قريبا من
ألف بيت ، وصل إلينا جزء منها .

لا قيمة للخبر الأخير ، ولا داعي إلى ذكره - على أي حال - في
موسوعة ميسرة .

٣٠١ - ص ١٢٣٨ « عمرو بن معدي كرب ... شاعر فارسي » : عمرو
ابن معديكرب (وهذا الحظ أسير) شاعر فارس .

٣٠٢ - ص ١٢٣٨ « العمري ، عبد الباقي ... تزعم الأدب في أيامه ... » .

أ - مرت ترجمته على ص ١١٧٩ من الموسوعة وستم تحت الفاء (الفاروقي) .
ب - لم يتزعم الأدب في أيامه .

٣٠٣ - ص ١٢٤١ « عنبرة ... شاعر فارسي » : فارس .

(حرف الغين)

٣٠٤ - ص ١٢٤٩ « غ (غين) ... قيمته في حساب الجمل ١٠٠ » :

١٠٠٠

٣٠٥ - ص ١٢٥٤ « الغزالي ... درس علوم الفقهاء » : الفقيه .

٣٠٦ - ص ١٢٥٧ « الفلابيني ، مصطفى ... » لم تذكر له الموسوعة « الدروس العربية ، وجامع الدروس العربية » .

(حرف الفاء)

٣٠٧ - ص ١٢٦١ « فاجير ، ريتشارد ... » كما يعد من عباقرة الموسيقى فهو أيضاً في الصدارة من كتاب القصص .

مسألة الشطر الثاني من الحكم فيها نظر .

٣٠٨ - ص ١٢٦٢ « فاجيه ، أميل ... » : الصحيح فاگ [هـ] أو فاج [هـ] لأنه Faguer .

٣٠٩ - ص ١٢٦٢ « فارس أو فارستان ... » لا داعي لـ « فارستان » ولعلها غير موجودة .

٣١٠ - ص ١٢٦٤ « الفاروقي ، عبد الباقي بن سليمان العمري ... » شغف بالشعر الصوفي ومدائح الرسول ... له ديوان مطبوع باسم « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي ... » .

أ - تكررت الترجمة للمرة الثالثة . ب - من منشآت : في منشآت .

٣١١ - ص ١٢٦٧ « ... » وفيما يلي ثبت بأسماء سلاطين الفواطم ... »

أ - سلاطين : الخلفاء . ب - الفواطم : الفاطميين .

٣١٢ - ص ١٢٧٥ « الفتوة نظام أخذت به بعض البلدان العربية ، يستهدف إعداد تلاميذ المدارس الثانوية للحياة العسكرية » .

لم تشر الموسوعة إلى « الفتوة » في التاريخ العربي وهو أمر جدير أن يرمى ، ولا إلى الفتوة في المعنى الاصطلاحي لدى المتصوفة والشطار ، ولا إلى دلالتها في عهد الخليفة الناصر العباسي (تنظر مقدمة الدكتور مصطفى جواد على كتاب الفتوة لابن المهار البغدادي الحنبلي - بغداد - ١٩٦٠) .

- ٣١٢ - ص ١٢٨٠ « فرانس ، أناتول ... » لم تذكر الموسوعة بين ما ترجم له إلى العربية « الآلهة عطاش » (القاهرة ، ١٩٥٢) .
- ٣١٣ - ص ١٢٨٣ « فرح أنطون ... ترجم « أتالا ، لشاتوبريان » أتالا : Atala .
- ٣١٤ - ص ١٢٨٧ - ٨ « الفرزدق ... هو أحد الشعراء الثلاثة الذين عدّهم النقاد أمراء الشعر الأموي . تفوق على زميله في الفخر ... » .
- أ - من عدّهم أمراء ؟ أي من أطلق هذه اللفظة ؟ إنها ليست مما يطلقه القدماء . إنما هم فحول ...
- ب - الشعراء الثلاثة . من هم ؟ كان المناسب أن تنص الموسوعة على أسمائهم : جرير والفرزدق والأخطل .
- ٣١٥ - ص ١٣٣٢ « فورستر ... روائي انجليزي ... اشتهر بالنقد الأدبي وبخاصة في كتابه أوجه الرواية .
- ترجمت له مجموعة من القصص ، وترجم كتابه النقدي بعنوان « أركان القصة » .
- ٣١٦ - ص ١٣٣٤ « فوق الواقعية أو سيربالية ، حركة أدبية وفنية ... أسسها ... أندريه بريتون ... » .
- أ - سيربالية : Surréalisme . ب - كان المفروض أن يرف بها في حرف السين (سيربالية) لأنها هكذا عرفت وشاعت . فاذا وصلنا إلى حرف الفاء ، قلنا - إذا كان لا بد من القول - : فوق الواقعية ينظر سيربالية . ج - اندريه بريتون : أندريه [هـ] برتون André Bréton .
- ٣١٧ - ص ١٣١٣ « فلوير ... أصيب بمرض عصبي جعله يمكث طويلاً في كرواسيه ... » .
- كرواسيه : Croisset [هـ]

٣١٨ - ص ١٣٢٦ « فنون تشكيلية ... في العراق ... حافظ الدروبي ، وطارق مظلوم وجواد سليم وفاضل عباس واسماعيل الشبخلي ومحمود صبري » .
 أ - كان الأولى أن يدل تسلسل الأسماء على أمر نسي من المهم والأهم ، ويكون المناسب في هذه الحالة البدء بجواد سليم .
 ب - بين الأسماء التي ذكرتها الموسوعة من لم يبلغ درجة الذكر ووصفه بالقطب .

ج - أغفلت الموسوعة أسماء لامعة مبدعة مثل فائق حسن ، خالد الجادر ، جميل حمودي ، كاظم حيدر ، محمد غني حكمت ، ضياء العزاوي ...
 ٣١٩ - ص ١٣٠٢ « فضولي ... اتصل بسليمان القانوني ... فهناك بقصيدة كوفية عليها بجاهية شهرية ... » .

كلمة « ماهية » لالتيق بموسوعة وكان من الممكن استعمال : رسم أو مرتب أو راتب أو مشاهرة ...

٣٢٠ - ص ١٣١٢ « فلنسيا ... » : بلنسية .
 ٣٢١ - ص ١٣٥١ « فليبي ، ... عين ... وزيراً للداخلية في العراق (١٩٢٠ - ١٩٢١) ولكنه استاء من سياسة الحكومة البريطانية إزاء ذلك القطر فاستقال ١٩٢٥ .

أ - لم يعين فليبي - ولا أي انجليزي آخر - وزيراً للداخلية (أو غيرها) في العراق .

ب - إنما كان مستشاراً للداخلية (١٩٢٠ - ١٩٢١) ثم خرج من العراق لدى مجيء فيصل . ج - مسألة « استواء » فيها نظر .
 د - لم يبق في العراق بعد ١٩٢١ أي أنه لم يكن فيه حتى ١٩٢٥ .

٣٢٢ - ص ١٩٥٧ فيني ... فرنسي ... من أشهر قصصه ... شارتون ... ، شارتون مسرحية وليست قصة .

٣٢٣ - ص ١٣٥٨ « فئت ... مستشرق فرنسي ... حقق الجزء الأول من كتاب « الخطط » للمقرزي .
لقد حقق فئت أكثر من جزء .

حرف القاف

٣٢٤ - ص ١٣٦٣ « القالي ... ولد في منز اجرد بأرمينية ، منازل جرد (أو منازل كرد . قال ياقوت ، منازل جرد بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة ودال ، وأهله يقولون بالكاف ... » .

٣٢٥ - ص ١٣٧٢ « قدر البوايع » : « تتركب الأنظمة - الحديثة لنقل مياه القاذورات بالمدن إلى مجار من الحديد أو الخرسانة ... ينطلق فيها قدر البوايع من التركيبات الصحية إلى مجاري المنازل ومنها إلى مجاري الشارع » .

أ - هل يكون قدر البوايع مصطلحاً ؟ ب - لم التخصيص بالبوايع ؟ ج - البوايع : البلايع .

٣٢٦ - ص ١٣٧٣ « قرامة ... حمدان ولقبه قرميطي أي أحمر المينين ... » .

أ - قرميطي : القرمطي . ب - جاء لدى الطبري ، حوادث سنة ٢٧٨ ... وكان في القرية رجل ... أحمر المينين شديد حرمتها ، وكان أهل القرية يسمونه : كرميته لحرمة عينيه وهو بالنبطية أحمر المينين » .

٣٢٧ - ص ١٣٧٤ « قرائيون » : قراءون .

٣٢٨ - ص ١٣٧٥ « قرطاجة » : قرطاجة .

٣٢٩ - ص ١٣٧٦ « قرطاجة » : قرطاجة .

- ٣٣٠ - ص ١٣٧٩ « الفزويني ، زكريا ... كتاب عجائب البلدان
أو « آثار وأخبار العباد » وفي رواية ... آثار البلاد وأخبار العباد .
- ٣٣١ - ص ١٣٨٣ « قصة قصيرة ... ادجار آلن پو » : ألن Alan .
- ٣٣٢ - ص ١٣٩٣ « قم مدينة ... وسط إيران ... يحج إليها الشيعة » : يزورها .
- ٣٣٣ - ص ١٤٠٨ « قولي خان ، محمد هادي رضا خان » : رضا قليخان
هدايت ...

(حرف الكاف)

- ٣٣٤ - ص ١٤٢٨ « الكاظمي ... له ... ديوان شعر في جزئين ... » :
له ديوان صدرت منه مجموعتان (جزآن) وأعلن عن الثالثة .
- ٣٣٥ - ص ١٤٤٧ « كربلا ... يحج إلى كربلا الآلاف من الزوار
المسلمين » : يزورها .
- ٣٣٦ - ص ١٤٦٤ « الكعبة ... ترسل كسوة الكعبة من مصر كل
عام منذ عهد الملك الصالح نجم الدين إلى اليوم » : توقف الإرسال منذ حوالي
عشر سنوات وأقامت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً بكسوة الكعبة .
- ٣٣٧ - ص ١٤٧٦ « كلية ودمنة ... ترجمها عبد الله بن المقفع إلى العربية
وابتنى في ترجمتها إرشاد الخليفة المنصور إلى ما يجب أن يتمسك به من خلق » .
الرأي شخصي وخاص وليس مقررأ ، فهو لا يصلح أن يعرض في
موسوعة ميسرة ، وإذا كان لا بد من ذكره ، وجب الإشارة إلى ذلك
وسبقه بكلمة مثل : ربما ، ويظن ، ويمكن القول ... الخ .
- ٣٣٨ - ص ١٤٩٦ . « كوبيه ... من أم مسرحياته وفي سبيل التاج
... التي ترجمها المنفلوطي إلى العربية » .

أ - كوبيه : كوپ [٤] Coppée . ب - المنفلوطي لا يترجم ، ولا يعرف الفرنسية ، إنما يترجم له ، ويُلخص ويتصرف . ج - جاءت في اللغة العربية على شكل قصة .

٣٣٩ - ص ١٥٠٧ « كوكتو ... من أشهر مسرحياته « الأبناء المتعبون » ...
أ - مسرحياته : قصصه . ب - الأبناء المتعبون (بكسر العين ، إذا كان لا بد من الاحتفاظ بالترجمة) لأنها Les Enfants Terribles .
٣٤٠ - ص ١٥٠٩ « كولد أدبية فرنسية ، أم رواياتها « عزيزي » .
عزيزي : عزيزي (إذا كان لا بد من الاحتفاظ بترجمة الموسوعة .
وإلا فهي حبيبي إذا أريد معناها ، وهي شيري Chéri إذا طلبت الدقة والصحة
فانقد استعملت اللفظة علماً للفتى الذي أحته بطلة القصة الكهله Léa . وبهذا
الاسم أي (شيري) نقل القصة إلى العربية محمد بدر الدين خليل (القاهرة .
مسلسلة الروايات العالمية - الدار القومية -) .

٣٤١ - ص ١٩١٩ « كونديه أسرة أمراء فرنسية » : كوند [٥] Condé .
٣٤٢ - ص ١٥٣١ « كيمياء قديمة (الخيمياء) » ، لا معنى لـ (الخيمياء)
هنا ، ولا سبب .

(حرف اللام)

٣٤٣ - ص ١٥٣٨ « لاروشفوكو ... شهرته الأدبية تمزى إلى الحكم والأمثال التي برع في نظمها .

أ - إنها خطرات وأقوال أكثر منها (حكماً وأمثالاً) . Réflexions ...
ب - في نظمها : في كتابتها ، لأنها شر وليست شعراً .

٣٤٤ - ص ١٥٥٩ « لغة العرب ... الأب أنستاس ماري الكرمل -

أصدر جريدة العرب » .

لم يصدر «العرب» الكرملي ، وإنما أصدرتها السلطة الإنكليزية المحتلة ، واختارته محرراً لها ...

٣٤٥ - ص ١٥٧٧ «لوساج» ، ابن رينيه ... كتب قصة «مغامرات جيل بالاس ...» .

أ - ... رن[ه] René . ب - قصة جل بلاس Histoire de Gil Blas .

(حرف الميم)

٣٤٦ - ص ١٦٣١ «الأمون» ... ولم ينتقل الأمون من مرو إلى بغداد قبل ست سنوات . العبارة غير مستقيمة قد يكون أفضل منها : لم ينتقل الأمون من مرو إلى بغداد إلا بعد مضي ست سنوات على بدء خلافته ...

٣٤٧ - ص ١٦٤١ «متحف الآثار المصرية» .

كان المناسب في موسوعة عربية أن تعرف - إلى جوار تعريف متحف الآثار المصرية - بمتاحف الآثار الأخرى ، كالمراقية والسورية ... الخ .

٣٤٨ - ص ١٦٧٠ «مدحت باشا» .

ليس من المعقول أن تتحدث موسوعة عربية عن مدحت باشا دون الإشارة إلى تاريخه في العراق .

٣٤٩ - ص ١٦٧١ «مدرسة» : ليس أدل على حب المصريين للعلم من أنهم أطلقوا على دور العلم والمعرفة : بيوت الحياة . وبيت الحياة علم عند الفراعنة على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة ... وكلها تابعة للعبد ...

... ولا نظن أن المدرسة في مصر القديمة اختلفت كثيراً عن مثلها أيام المصور الوسطى . فقد كانت كذلك في معابد اليهود ، ثم في كنائس النصارى ، وأخيراً في المساجد عند المسلمين .

أ - المفروض في كلام على مادة «مدرسة» أن يبدأ - أو أن يتضمن

في الأقل - تعريفاً لها وتحديداً لنشوء اللفظة تاريخياً عند العرب - ولكن شيئاً من هذا لم يقع . ب - بل إن الموسوعة لم تتعرض - كما يجب - إلى المدرسة عند العرب والمسلمين ، وبكفي أنها لم تقترب من اسم « النظامية » و « المستنصرية » ... ج - وليس المهم الاقتصار على الزمن الفرعوني وإهمال العهد العربي الإسلامي ... د - مسألة « بيوت الحياة » فيها نظر ...

٣٥٠ - ص ١٦٨٠ « مرجليوث ... مستشرق انجليزي ... حقق ونشر

« ديوان الحماسة » ...

كلام به حاجة إلى التحديد .

٣٥١ - ص ١٦٨٨ « مرميه ، پرسپر ... تعزى شهرته إلى القصص

القصيرة التي كتبها ، ومنها كولومبا ... و كارمن ... »

أ - مرميه ، پرسپر : مرم - [٤] (أو مرم - [٤] ، پرسپر

. Mérimée , Prosper

ب - كولومبا و كارمن منقولتان إلى اللغة العربية .

٣٥٢ - ص ١٧٣٠ « المقتدر بالله ... وأسس الفواطم دولتهم » :

الفاطيون .

٣٥٣ - ص ١٧٥٥ « منصور فهمي ، فيلسوف وباحث عربي ... » .

ليس منصور فهمي فيلسوفاً وإن درس الفلسفة والأخلاق بالجامعة المصرية .

٣٥٤ - ص ١٧٨٠ « موسوعة ... وكان تطور التأليف الموسوعي

الذي يعتمد على الترتيب الأبجدي بطيئاً ... أبجدياً ... أبجدياً ... ثم ظهرت بين

عامي ١٩١٣ - ١٩٣١ دائرة المعارف الإسلامية ... وبدأت سنة ١٩٥٤ لجنة من

المستشرقين المحدثين بإشراف كرامرز وجيب ورنارد لويس في إخراج طبعة

جديدة ... أبجدياً ... »

أ - كل « أبجدي » : هجائي ب - درست الموسوعة المبصرة مائت

ب عنوان « دائرة معارف » تحت حرف الميم (موسوعة) كأن الأصل هي

لفظة موسوعة وكأنها اللفظة التي لا توجد سواها ، وهذا غير صحيح ، لأن لفظة « دائرة معارف أشهر وأقدم ، ولذا حسن - في أقل تقدير - أن تكتب تحت حرف الدال : دائرة معارف تنظر موسوعة . ج - كرامرز : Kramers .

٣٥٥ ص ١٧٨٥ « الموطأ » : كتاب لابن مالك ... انظر ابن مالك ، أنس ص ٢٦ ... »

ابن مالك ، أنس : ابن أنس ، مالك (لأنه مالك بن أنس) .

٣٥٦ - ص ١٧٩٠ « مونتسكيو ... مؤلفه « الرسائل الفارسية » ... وروح القوانين ... »

أ - الرسائل الفارسية : رسائل فارسية Lettres Persannes - مترجم إلى العربية ب - روح القوانين - ت
٣٥٧ - ص ١٨٠٠ « مثنى ... وكانت تسمى منارة ... » : منارة (كانت ومازالت ...)

٣٥٨ - ص ١٨١١ « النابغة الجعدي ... هاجي ... أوس بن مراد » : مفراء .

٣٥٩ - ص ١٨١٤ « ناجي ، إبراهيم ... أصدر ديوانين « وراء النعام » ١٩٣٤ ، و « ليالي القاهرة » ١٩٤٤ ... »

نشر إبراهيم ناجي في حياته ديوانين من شعره ، هما : « وراء النعام » .. وليالي القاهرة ... ونشرت له دار المعارف بعد وفاته ديواناً ثالثاً هو « الطائر الجريح » ، ثم تألفت لجنة لجمع شعره في « ديوان ناجي » ، فصدر عن دار المعارف سنة ١٩٦١ ولكن لهذا الديوان مشكلة فقد ضمنه الجامعون شعراً لغير ناجي ... »

٣٦٠ - ص ١٨١٦ « الناصر لدين الله : لقب عدة أمراء زيديين في اليمن ... »

أهملت الموسوعة « ناصراً » مهماً جداً هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء المتوفى سنة ٦٢٢ من الخلفاء العظام - ولا يمكن أن يهمل .

(حرف النون)

٣٦١ - ص ١٨٢٩ « زفال » جيراردي كاتب فرنسي ترجم عن الألمانية كثيراً من المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية « فاوست » ١٨٢٨ وبعض الأقاويص مثل « بنات النار » ١٨٥٤ و « رحلة إلى الشرق » ١٨٥١ ، وأخيراً « أورليا » ١٨٥٤ .

أ - المقطوعات الأدبية ، منها مسرحية فاوست ... : الآثار الأدبية ، ولعلها في الأصل : المسرحيات . ب - يفهم من نص الموسوعة أن كل هذه الآثار المذكورة ترجمات وهذا غير صحيح لأن بنات النار ... الخ من تأليف زفال . ج - إذا كان تاريخ كتابة « رحلة إلى الشرق » سنة ١٨٥١ - وهو صحيح فلم تؤخره عن « بنات النار » ١٨٥٤ !

٣٦٢ - ص ١٨٣٨ النظامية ... وقام نظام الملك بالتعليم بالمدرسة ... وأساتذتها جميعاً من أهل السنة

أ - لم يكن نظام الملك معلماً ... ب - السنّة : الشافعية .

٣٦٣ - ص ١٨٥٦ « فوح باني سفينة فوح ... » .

لم تشر الموسوعة إلى أنه « نبي » .

٣٦٤ - ص ١٨٦٨ « نيكلسون ... مستشرق انجليزي ... ألف

« التاريخ الأدبي للعرب » : تاريخ الأدب العربي Aliterary his. of The Arabes .

م (٨)

(حرف الهاء)

٣٦٥ - ص ١٨٩٦ « هرون الرشيد ... ثار عليه الخوارج بقيادة الوليد بن طريف الشاربي » : الشاري .

٣٦٦ - ص ١٩٠١ « همدان : مدينة ... بفرني إيران : همدان .

٣٦٧ - ص ١٩١٤ « هورثون ثنائيل ... روائي وكاتب قصصي أمريكي ،

هورثون Hawthorne .

٣٦٨ - ص ١٦١٤ « هوجو . فكتور ... من أشهر مسرحياته

هرثاني ، الترجمة الإنجليزية ١٨٣٠ ... ومن أعظم رواياته : البؤساء ١٨٦٢

« عربها الشاعر حافظ إبراهيم » .. دفن في الباتيون .. »

أ - Hernani مهمة في تاريخ المسرحية الفرنسية (الرومنطيقية) ،

وعام ١٨٣٠ تاريخها بالفرنسية وهو أولى أن يذكر من تاريخ الترجمة ...

ب - حافظ إبراهيم لا يعرف اللغة الفرنسية ولم يرب البؤساء وإنما ظهر

باسمه تعريب لجزء يسير من هذه الرواية الضخمة . إن الذي عربها هو

منير بعلبي وجاءت مترجمة في خمسة مجلدات (بيروت . دار العلم للملايين

ج - الباتيون : الباتيون Panthéon .

٣٦٩ - ص ١٩٢٩ « هيكل ، محمد حسين ... ولد في قرية هيكل

بمركز السنلاوين بمصر ... »

جاء في كتاب « الدكتور محمد حسين هيكل » الذي أشرف عليه أحمد

لطفى السيد (القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٥٨) وكتب فيه حياة محمد حسين

هيكل الدكتور حسين فوزي النجار : « ولد .. لأبوين من صميم الريف

المصري بقرية كفر غنّام إحدى قرى مديرية الدقهلية . وكان أبوه حسين

أفندي سالم هيكل سيد قومه وعشيرته ... »

(حرف الياء)

٣٧٠ - ص ١٩٩٧ يونس بن حبيب لغوي ولد ببلدة (جبل)

بالمراق ، ، ، ، ، ،

جبل : جبّيل ، قال ياقوت : جبّيل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها
ولام) ببلدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي ، ، ، ، - وينظر
نور القبس المختصر من القتبس ص ٤٨ : « قيل إنه من أهل جبّيل » ؛
أنساب السمعاني (الجبّيلي) ، ابن خلكان (يونس) ٦ : ٢٤٥ .

الدكتور علي جواد الطاهر



كتاب «الجوهرتين»

Al Hamdani: Kitab al Gauhratain Al'Atiqatain Al - Ma'iatain
von Christopher Toll, Uppsala 1968 P. 389.

الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب لسان اليمن ، كما اختار أن يلقب نفسه ، طود من أطواد الثقافة العربية ، ومع شهرته لدى المستشرقين فانه يكاد يكون مغموراً بين بني قومه من العرب ، إلا منذ عهد قريب حيث تصدى لنشر بعض مؤلفاته أحد أبناء اليمن وعلمائها : الأستاذ المحقق محمد ابن علي الأكوع الحوالي الحميري ، فنشر الجزآن الأولين من « الإكليل » وقام بتحقيق « صفة جزيرة العرب » ، فأعدّه للنشر ، ومن قبل طبع هذا الكتاب طبعين ، وطبع الجزآن : الثامن والعاشر من كتاب الإكليل .

والهمداني كما قلنا في كلمة سابقة ، واسع جوانب المعرفة ، وهو مع ما قاساه في حياته من ضيق وحبس وتعذيب ، لم يترك مجالاً من مجالات العلم المعروفة في عهده إلا ألف فيه ، فقد ألف في الفلسفة « سرائر الحكمة » ، وصل إلينا منه الباب العاشر في التنجيم ، ويصف صاعد الأندلسي وابن القفطي الهمداني بأنه فيلسوف ، ويقول صاعد في « طبقات الأمم » ما معناه : إنه لم ينبغ في الفلسفة من العرب سوى اثنين : أبو اسحاق الكندي ، وأبو محمد الهمداني ، وقد عرفه علماء الأندلس قبل أن يعرفه المشارقة ، فوصلت إليهم كتبه ، واستفادوا منها - كما هو الحال مع أبي علي الهجري - قبل أن تصل إلى المشارقة .

ومن مؤلفات الهمداني غير « الإكليل » ، كتاب « الحرث والحيلة » وكتاب « الإبل » ، وكتاب « القسي والنبال » ، وكتاب « القوي » ، وكنت ظننت أن هذه الكلمة محرفة عن القوس ، غير أنني رأيت يذکر هذا الكتاب في مؤلفاته .
ومن أم كتبه : كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » ، ولعل هذا الاسم المسجوع الطويل مما نفر الباحثين عن العناية به ، وقد سبق أن تحدثت عنه في هذه المجلة (١) ، وتحدثت عنه في مجلات أخرى ، وقت بنسخه ، وهياته للنشر ، غير أن ذلك لم يتهيأ لي ، بل تهيأ لأستاذ غربي جليل هو (كريستوفر ثول) .

وقد قام بترجمة الكتاب إلى الألمانية ونشر الترجمة مع النص العربي ، في منشورات (جامعة أبساله سنة ١٩٦٨) بعد أن وضع للكتاب مقدمة باللغة الألمانية ، تحوي موجزاً عن تحصيل الناشر ثم ترجمة موجزة للهمداني فوصفاً للمخطوطات الثلاث المعروفة من الكتاب ، مخطوطة جامعة أبساله ومخطوطة مكتبة المستشرق الألماني (جلازر) في مكتبة ميونخ ومخطوطة مكتبة امبروزيانا في ميلانو في إيطاليا والأولى أوفى النسخ ، ثم دراسة مفصلة عن موضوع الكتاب . وقد بذل المحقق الناشر جهداً كبيراً في إبراز الكتاب بأوضح صورة استطاعها .

ولا يدرك ذلك الجهد إلا من اطلع على النسخ المخطوطة ، فرأى رداءتها ، وكثرة التحريف فيها وإيراد كثير من الكلمات غير معجمة ، ومنها كلمات لأسماء آلات في التعدين ، لا تحوي كتب اللغة التي وصلت إلينا ووصفها ، وأخرى كلمات أعجمية كان الهمداني يتلقاها مشافهة من المعدّنين في اليمن ، وكانوا من الفرس ، وكلمات عربية فصيحة يوردها الهمداني ، ولكنها مما تضمنت معجمات اللغة بإيضاحه ، والهمداني لغوي كبير مترجم في كتب اللغويين ، وشاعر تصدي العالم النحوي ابن خالويه ، لجمع ديوانه في ثلاثة أجزاء وشرحه .

(١) المجلد السادس والمضروب من ٥٣٥ - وما بعدها -

ولقد بلغ من حرص الناشر الكريم أنه عمد إلى الكتاب ، فنسخه بخط يده ، ثم صور ما نسخ ، لكي يسلم من هفوات الطبع ، وأشار في ذيل الصفحات إلى اختلاف النسخ ، وخرّج بعض الأشعار ، ورجع إلى مصادر كثيرة عربية وعجمية ، فاستحق بعمله التقدير ، «كل» التقدير ، من كل ذي غيرة على التراث العربي . ولعل من مظاهر التقدير لعمد هذا الأستاذ الكريم أن نشير إلى بعض ملاحظات قد تفيده أو يستفيد بها من يقتني مطبوعته ، مؤازرة في إخراج هذا الكتاب بأقرب صورة إلى الأصل ، وتدع الحديث عن موضوعه ، فقد أوضحناه في كلمتنا المنشورة قديماً في هذه المجلة .

آ - لقد استعصى على الناشر الفاضل فهم كلمات كثيرة من هذا المخطوط فاكتمى بأن وَضَعَ في أمكنتها قطعاً ، وأشار إلى صورها في الهوامش ، وكنا نرى إبقاء الصورة بموضعها من الكتاب ليكون أسهل للقارىء ، خاصة وان الناشر الكريم صور ما كتب تصوراً ، ولهذا لا يستعصى عليه أن يصور الكلمة الغامضة نفسها .

ب - ظهر لي عند مطالعة الكتاب أن الناشر الفاضل أورد كلمات على غير وجهها الصحيح ، فرأيت ذِكْرَ بعضها مما أميلُ إلى صحته ، أما الكلمات التي أخالف الناشر الفاضل في كيفية نطقها ، مما عول فيه على إحدى النسخ ، فإنني أترك ذكرها لوقت آخر . وسأشير إلى صفحات النص العربي حسب ترقيم الناشر الكريم .

١ - ص ١ : (فلم يفل) : (فلم يعل) . بالعين المهملة .

٢ - ص ١ : (يأكلون التراث...يجبون المال) : (وتاكلون التراث... وتجبون المال) آية قرآنية معروفة .

٣ - ص ٢ : (فصحاء يساكن العرب) : (فصحاء يساكن العرب) .

- ٤ - ص ٢ : (يقول العرب بينهم) : (تقول العرب بينهم) .
- ٥ - ص ٢ : (آتيته) : (أتَيْتُهُ) .
- ٦ - ص ٢ : (رِيضِيَّ عِيَوَظًا) : (رِيضِيَّ عِيَوَظًا) .
- ٧ - ص ٢ : (وكان أساوره ... الفرس) : (وكان أساوره ... الفرس) .
- ٨ - ص ٢ : (وجمله من أعظم ما في هذه الدنيا دينار) : أرى حذف كلمة (دينار) إذ لا محل لها .
- ٩ - ص ٣ : (وان كل ما) : (وإن كل ذلك كمالاً) . وهي آية قرآنية .
- ١٠ - ص ٣ : (ويقول العرب) : (وتقول العرب) ، والهمداني يكرر هذا التعبير كثيراً .
- ١١ - ص ٣ : (ولا ان بكلمة التقوى) : (ولا أن لنا بكلمة التقوى) كما في نسخة ابسالة وبها يستقيم المعنى .
- ١٢ - ص ٣ : (إن الذين يكتزون) : (والذين يكتزون) كما في القرآن الكريم .
- ١٣ - ص ٣ : (ثم ما يُشَدِّد الله ... ما يشدد) : (ثم ما تشدد الله ... ما تشدد) .
- ١٤ - ص ٣ : (وما أوتيتم .. لتربوا ... ربوا) : (وما آتيتم .. ليربو ... يربؤوا) آية قرآنية .
- ١٥ - ص ٤ : (عدى بن زيد) : (عدى بن بداء) . وانظر ضبط هذا الاسم في كتاب «الإكمال» لابن ماكولا ١ : ١٣٣ .
- ١٦ - ص ٤ : (من بركة ابن مارية) : (من تركه ابن مارية) .
- والقصة معروفة .

- ١٧ - ص ٤ : (ابن الرقيات) : (ابن قيس الرقيات) . الشاعر المعروف .
- ١٨ - ص ٤ : (وشروه وباعوه) : الصواب حذف الواو : (باعوه) .
- ١٩ - ص ٤ : (يَكْفُ المُنْتَقِدُ) : (يَكْفُ المُنْتَقِدُ) .
- ٢٠ - ص ٥ : (كانت بَشَارَةً وَنَهَارَةً) : (كانت تُشَارُهُ وَتَهَارُهُ) .
- والحديث معروف ، وانظره في « تاج العروس » ٣ : ٢٩٥ و ٥٣٨ و ٦١٩ .
- ٢١ - ص ٥ : (فزوجتُها حَوْرَانِيَا) : (فزَوَّجَهَا حَوْرَانِيَا) .
- ٢٢ - ص ٥ : (من نزالها) : (من بزالها) . انظر « التاج » ٧ / ٢٢٦ .
- ٢٣ - ص ٥ : (تُتَشَقِّقُ) : (تُتَشَقِّقُ) .
- ٢٤ - ص ٦ : (كل أَيْتَانٍ) : (كل لَيْتَانٍ) .
- ٢٥ - ص ٦ : (يُرَاجِعُ ماء الدَّرِ) : (تَرَاجَعُ ماء الدَّرِ) .
- ٢٦ - ص ٦ : (لا يَشْرَفُ) : (لا يَشْرَبُ) .
- ٢٧ - ص ٦ : (رَفِمْ وَجْهَهُ) : (رَقِمْ وَجْهَهُ) .
- ٢٨ - ص ٦ : (وما قرب منها) : (وما غزر منها) .
- ٢٩ - ص ٦ : (والجَيْدُ والعِراقُ) : (والجَبْدُ والعِراقُ) .
- ٣٠ - ص ٧ : (ما كان أعلاه) : (ما كان أغلاه) .
- ٣١ - ص ٧ : (محذوف) : (محذوف) أي مقصوص الذنب .
- ٣٢ - ص ٧ : (في مولد) : (في مولود) .
- ٣٣ - ص ٨ : (وقيل : إبل المسجد) : (وقيل : بئل العسجد) .
- ٣٤ - ص ٨ : (وثاني عسجد) : (وبآبي عسجد) . من أرجوزة الردامي التي وصف بها طريق الحج .
- ٣٥ - ص ٨ : (فياله بيتاً) : (فياله بيت) .
- ٣٦ - ص ٨ : (وجه العروس) : (وجنة العروس) .

- ٣٧ - ص ٨ : (وهي المذاهب) : (وهي المذاهب والمذاهب) .
- ٣٨ - ص ٨ : (تَضُمُّ اللام) : (يَضُمُّ اللام) .
- ٣٩ - ص ١٠ : (الأحول مدرها وهي النزاعة) : (الأملول مدرها ، وهي البراعة) .
- ٤٠ - ص ١٠ : (وسمي الرجال) : (وسمي الرجل) .
- ٤١ - ص ١٠ : (ومثل قول (. . .) وغيره : ما نأبأ مصمئل) : (ومثل قول التأبط : خَبَرْتُ ما نَأَبَأْتُ مُصَمِّئِلًا) وهذا شطر بيت من قصيدة تأبط شراً ، التي أولها :
- إِنَّ بِالشَّيْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلٍ دَمَهُ ما يُطْلَعُ
والهمداني يعبر عن تأبط شراً ، بقوله التأبط كما في شرحه لقصيدته الدامغة ، الورقة ٤٠ النسخة الخطية .
- ٤٢ - ص ١٠ : (أو دَقَّتْ عَلَيَّهَا) : (أو دَقَّتْ عَلَيَّهَا) . وقد فر الهمداني العلة في الكتاب .
- ٤٣ - ص ١١ : (واني شاري البعير) : (وأين شاري البعير ؟) .
- ٤٤ - ص ١١ : (فحسنة ما قلت) : (فحسنة ما قلت) .
- ٤٥ - ص ١١ : (في ما) : (في من) .
- ٤٦ - ص ١١ : (اسماء من اسماء) : (أسماء من أسماء) .
- ٤٧ - ص ١٢ : (الفلال) : (القلال) .
- ٤٨ - ص ١٣ : (وكل ناقٍ من الجواهر) : (وكل ناهي من الجواهر) وكلمة ناهي يستعملها الهمداني .
- ٤٩ - ص ١٤ : (دائمة مستديعة) : (دائمة مستديعة) .
- ٥٠ - ص ١٤ : (جلجلت الأرض) : (خلخلت الأرض) .
- ٥١ - ص ١٥ : (وناسبه اتصالاً طبيعياً) : (وماسبه اتصالاً طبيعياً) .

- ٥٢ - ص ١٦ : (من اوجه بين) : (مزوجة بين) .
- ٥٣ - ص ١٦ : (تسعة درجات) : (تسع درجات) .
- ٥٤ - ص ١٦ : (فكذلك) : (فذلك) .
- ٥٥ - ص ١٦ : (فصارت رأس الحمل) : (فصارت من رأس الحمل) .
- ٥٦ - ص ١٦ : (الحلاوة فيه) : (الحرارة فيه) .
- ٥٧ - ص ١٧ : (حَرَّان) : (حَارَّان) .
- ٥٨ - ص ١٨ : (يسر اجزاء الحجر) : (يشده أجزاء الحجر) .
- ٥٩ - ص ١٨ : (القمر من هذه الحجارة) : (الفيهر من هذه الحجارة) .
- ٦٠ - ص ١٨ : (قبول صدقه) : (قبول صدقة) .
- ٦١ - ص ١٨ : (كالحجر التي) : (كالحجرة التي) .
- ٦٢ - ص ٢٠ : (على الذات والدوام) : (على الدأب والدوام) .
- ٦٣ - ص ٢٠ : (ما لا اتقض له) : (ما لا اتقضاء له) .
- ٦٤ - ص ٢٠ : (وفسادها) : (وفساده) .
- ٦٥ - ص ٢٠ : (النيازك والذوائب) : (النيازك والذوائب) .
- ٦٦ - ص ٢٢ : (بقي الحرارة) : (نفى الحرارة) .
- ٦٧ - ص ٢٢ : (حرارة الاج) : (حرارة الأجسام) .
- ٦٨ - ص ٢٢ : (البخارات المتجدد) : (البخارات المتجددة) .
- ٦٩ - ص ٢٣ : (في اجزاء نفسه) : (في أجزاء اليبس) .
- ٧٠ - ص ٢٣ : (يملان مكة) : (يميلات مكة) .
- ٧١ - ص ٢٤ : (الأعرّج) : (الأعرّج) .
- ٧٢ - ص ٣٤ : (افقمة) : (أفقيعية) وهو منهل معروف . ويسمى
(أفاعية) أيضاً .
- ٧٣ - ص ٢٤ : (وابناء شمام) : (وابنا شمام) وما اثنان .

- ٧٤ - ص ٢٥ : (يعلمونه) : (يعملونه) .
- ٧٥ - ص ٢٥ : (بخار) : (بخارى) .
- ٧٦ - ص ٢٦ : (مدحج) : (مدحج) .
- ٧٧ - ص ٢٧ : (حجرته) : (حجزته) .
- ٧٨ - ص ٢٧ : (معروفًا) : (معروفًا) - بالقاف .
- ٧٩ - ص ٢٧ : (وتعصد) : (وتفصد) .
- ٨٠ - ص ٢٨ : (لا تفرق) : (لا تعرق) .
- ٨١ - ص ٢٨ : (خلة التيسر) : (حلة التبر) .
- ٨٢ - ص ٢٨ : (على العرقين) : (على العرايين) .
- ٨٣ - ص ٢٩ : (وتبرأ منه الذهب) : (وتبين منه أسنة الذهب المتشزر) .
- ٨٤ - ص ٢٩ : (أو أن) : (أو أن) .
- ٨٥ - ص ٣١ : (ففقع اللهب) : (فبقع اللهب) .
- ٨٦ - ص ٣١ : (يجذو اللسان) : (يجوذ اللسان) .
- ٨٧ - ص ٣١ : (حتى ينقياها) : (حتى ينقياها) .
- ٨٨ - ص ٣٢ : (النار اذا انسفرت) : (النار إذا استمرت) .
- ٨٩ - ص ٣٢ : (يسبك) : (سبك) .
- ٩٠ - ص ٣٢ : (ثم (. . .)) : (ثم أحير الماء والهواء) :
- ٩١ - ص ٣٢ : (ولم . . . الماء والهواء) : (ولم ينقص احراراً شديداً يطير الماء والهواء) .
- ٩٢ - ص ٣٢ : (نصفى بيضة كينعتين) : (نصفاً بيضة كثيفتين) .
- ٩٣ - ص ٣٢ : (التضمدة . . . يضمد) : (التضمدة . . . يضمد) .
- ٩٤ - ص ٣٢ : (فاذا عم الصف الدواء) : (فاذا تتم الصق الدواء) .
- ٩٥ - ص ٣٣ : (تضايح لقوم) : (بضايح لقوم) .

- ٩٦ - ص ٣٣ : (الأذهاب والتنور) : (الأذهابُ والتبُّورُ) .
- ٩٧ - ص ٣٣ : (حتى يصل البرودة ويرتقي) : (حتى تصل البرودة وترتقي) .
- ٩٨ - ص ٣٣ : (خلة الزاج ودقته) : (جلة الزاج ودقته) .
- ٩٩ - ص ٣٣ : (بمائيه ذلك) : (بمائيه ذلك) .
- ١٠٠ - ص ٣٤ : (حدة الزاج على قدر حدته) : (حدة الزاج على قدر جيدته) .
- ١٠١ - ص ٣٤ : (كيلا نزل ... شيء) : (كيلا يزل ... شيء) .
- ١٠٢ - ص ٣٤ : (وان استحسن أحدها) : (وإن استحسن أحدها) .
- ١٠٣ - ص ٣٥ : (الجرش) : (الجرُس) .
- ١٠٤ - ص ٣٥ : (ما ينقص (.) واحدة ما (.)) : (ما ينقص في المعاد ، وأخذ ما يزيد) .
- ١٠٥ - ص ٣٥ : (بما صف ... المطرقة) : (بما صف الا بما رمى بأثر المطرقة) .
- ١٠٦ - ص ٣٥ : (من جهات فيها) : (من جهاتٍ : منها) .
- ١٠٧ - ص ٣٦ : (قدر مُرَازَةٍ) : (قدر مُرَادِهِ) .
- ١٠٨ - ص ٣٦ : (بما انفق) : (بما اتفق) .
- ١٠٩ - ص ٣٦ : (الشعث والكلام) : (الشغب والكلام) .
- ١١٠ - ص ٣٧ : (حبة واكثر) : (حبة ، حبة ، واكثر) .
- ١١١ - ص ٣٧ : (لنا ان نظير) : (لها أن تطير) .
- ١١٢ - ص ٣٧ : (ذلك يستوي) : (ذلك لأن يستوي) وانظر ص ٣٨ .
- ١١٣ - ص ٣٧ : (وآمن السباك أن يسوط) : (ومن السباك من يسوط) .
- ١١٤ - ص ٣٨ : (اثنان مستعملان ورأيته) : (اثنان : مُسْتَعْمَلٌ ، ورأيته) .

- ١١٥ - ص ٣٨ : (تبلغ قدرهن) : (يبلغ قدرهن) .
- ١١٦ - ص ٣٩ : (حذو القيدَة بالقيدَة) : (حذو القُدَّة بالقُدَّة) .
- ١١٧ - ص ٤٠ : (وايمها حذاءهما) : (وانها حذاءهما) .
- ١١٨ - ص ٤٠ : (كما يتبأ) : (كما نَبَّهنا) .
- ١١٩ - ص ٤٠ : (وايمها جذرها) . (وأنها جذرها) .
- ١٢٠ - ص ٤٠ : (الارادة) : (الإدارة) .
- ١٢١ - ص ٤٣ : (جادت النار) : (جارت النار) .
- ١٢٢ - ص ٤٣ : (فقد فيه) : (فقد أصبح فيه) .
- ١٢٣ - ص ٤٣ : (سوى فذلك) : (سواء ، فذلك) .
- ١٢٤ - ص ٤٤ : (خمسة في نسق سوى) : (خمسة ، في نسق ، سوى
- محمد بن ابراهيم بن محمد محمد بن ابراهيم بن محمد
- ابن عبد الرحمن ، من محمد عبد الرحمن بن محمد ،
- إلى محمد) . من محمد إلى محمد) .
- ١٢٥ - ص ٤٤ : (وان ما ذهبوا له) : (وان ما ذهبوا إليه) .
- ١٢٥ - ص ٤٤ : (لايسقط عن خطائين) : (لايسقط عن خطائين) .
- ١٢٦ - ص ٤٤ : (ولا يبين ضعفه) : (ولا يميز ضعفه) .
- ١٢٧ - ص ٤٥ : (فاذا استوت على انها) : (فاذا استوت ، علم أنها) .
- ١٢٨ - ص ٤٥ : (من الكفة الأخرى) : (في الكفة الأخرى) .
- ١٢٩ - ص ٤٦ : (كل ما يفرغ من هذه) : (وكل ما تفرغ من هذه) .
- ١٣٠ - ص ٤٧ : (أو رجحانات) : (أو رجحان) .
- ١٣١ - ص ٤٨ : (أو حزن كثيرة الوعث) : (أو طرق كثيرة الوعث) .
- ١٣٢ - ص ٤٨ : (يتأدى الى هذا) : (يتأدَّى إلى هذا) .
- ١٣٣ - ص ٤٨ : (من المياه إلى الريق) : (من المياه إلى الرقيق) .

- ١٣٤ - ص ٤٨ : (ما يستوى بين الناس) : (ما يسوي بين الناس) .
- ١٣٥ = ص ٤٨ : (اجر الساق البتراء وقدر بما) : (أختر الساق والسر ،
وقدر له بما) .
- ١٣٦ - ص ٤٨ : (على ما (. . .) إليه) : (على ما يغلب إليه) .
- ١٣٧ - ص ٥٠ : (ثم : باب حكومة) : (ثم : باب حكومة) .
- ١٣٨ - ص ٥٠ : (فينتني أن يعرف ذلك ، فأما) : (فينبغي أن يعرف
ذلك تماماً ، فأما) .
- ١٣٩ - ص ٥٠ : (فإن تصور) : (بآن تصوّر) .
- ١٤٠ - ص ٥١ : (فحينئذ تجبتي) : (فحينئذ يجبي) .
- ١٤١ - ص ٥١ : (تقابض من جنوبها) : (تقايض من جنوبها)
من قاض .
- ١٤٢ - ص ٥١ : (بصرف بئس) : (بصرف نفيس) .
- ١٤٣ - ص ٥١ : (فاذا استوت هندمة) : (فاذا استوت هندمت) .
- ١٤٤ - ص ٥١ : (ولا تندو به الجفنة) : (ولا يعدونه الجفنة) .
- ١٤٥ - ص ٥١ : (فنشع ما كان) : (فتبع ما كان) .
- ١٤٦ - ص ٥١ : (حي به) : (حبي به) .
- ١٤٧ - ص ٥١ : (يخل من القلة) : (نخل من القلة) .
- ١٤٨ - ص ٥١ : (ثخيناً ، لأن) : (ثخيناً ، لييناً) .
- ١٤٩ - ص ٥٣ : (لما في أول) : (كما في أول) .
- ١٥٠ - ص ٥٣ : (ثم يعتمد) : (ثم يعتمد) .
- ١٥١ - ص ٥٣ : (ثم عره عليه وعمد) ، (ثم عره عليه عزّ عرّة
غليظة ، وعمد) .

- ١٥٢ - ص ٥٤ : (إذا يصح) : (إذا نضج) .
- ١٥٣ - ص ٥٤ : (فورت) : (قُوِّرَت) .
- ١٥٤ - ص ٥٤ : (امرأته قد احب) : (امرأته فقال : أحب) .
- ١٥٥ - ص ٥٤ : (ففرغ) : (ففرع) .
- ١٥٦ - ص ٥٥ : (ليست بعده) : (ليست تقده) .
- ١٥٧ - ص ٥٥ : (عن بعض المفسدين) : (عن بعض المفسرين) .
- ١٥٨ - ص ٥٥ : (وجفت) : (وجفت بتين) .
- ١٥٩ - ص ٥٦ : (الثخان) : (التجاب) . والتجاب - كتاب -
ما أذيب مرة من حجارة الفضة ، أو الخط من الفضة يكون في حجر
المدن (اللسان) ، وهو المقصود هنا - كما يفهم من الكلام .
- ١٦٠ - ص ٥٧ : (النفيس الغزير) : (النفيس الغزير) .
- ١٦١ - ص ٥٧ : (الرداة) : (الرداة) .
- ١٦٢ - ص ٥٧ : (المشاش) : (الأمشاش) .
- ١٦٣ - ص ٥٧ : (ولا يشاءه) : (ولاشاه) . من الملائشة
- ١٦٤ - ص ٥٧ : (فعلى عصر ذلك) : (فعلى عكس ذلك) .
- ١٦٥ - ص ٦٠ : (المرتضاة الحروف) : (المرتضاة لأن أصلها الحروف) .
- ١٦٦ - ص ٦٠ : (ففي باهية) : (ففي ناهية) أي جيدة .
- ١٦٧ - ص ٦١ : (الجب وهو الجرة) : (الحيب وهو الجرة) .
- ١٦٨ - ص ٦١ : (في الارطال) : (من الأرتال) .
- ١٦٩ - ص ٦١ : (لأنها تهوى) : (كأغما تهوى) .
- ١٧٠ - ص ٦١ : (وقد تهرج) : (وقد يهرج) .
- ١٧١ - ص ٦٢ : (فغزل جلّه) : (فغزل ما به) .
- ١٧٢ - ص ٦٢ : (الاخلاص) : (الخلاص) .

- ١٧٣ - ص ٦٢ : (على حَدّه) : (على حَدِّه) .
- ١٧٤ - ص ٦٢ : (يلاما) : (تلامما) . من الملاممة .
- ١٧٥ - ص ٦٣ : (وبه نفس ، وأما الذي لا نفيس فيه) : (وبه نقش ، وأما الذي لا نقش فيه) .
- ١٧٦ - ص ٦٣ : (تعمد الطبخ) : (بعد الطبخ) .
- ١٧٧ - ص ٦٣ : (النطائق) : (التطابق) .
- ١٧٨ - ص ٦٤ : (اخوذ واللوز) : (الجوز واللوز) .
- ١٧٩ - ص ٦٤ : (مدلق بمرار البقر) : (مدّيق بمرار البقر) .
- ١٨٠ - ص ٦٤ : (استفرع) : (استفرع) .
- ١٨١ - ص ٦٤ : (كيه الحديد) ، (كيه الحديد) .
- ١٨٢ - ص ٦٤ : (ويسمر البائنة من الفلوق ... فيصرف فلقها) : (وتسمر البالية العلوق ... فيصرف علقها) .
- ١٨٣ - ص ٦٤ : (التفري) : (النضرة) .
- ١٨٤ - ص ٦٤ : (متصعد من بخاره) : (فتصعد من بخاره) .
- ١٨٥ - ص ٦٥ : (عند الناس منه) : (عند اليأس منه) .
- ١٨٦ - ص ٦٦ : (فتطلي ماشب) : (فتطلي ماشئت) .
- ١٨٧ - ص ٦٧ : (تحوذ .. وتقي) : (مجوذ .. وينقي) .
- ١٨٨ - ص ٦٧ : (ولوّن فتاب) : (ولوّن ، فبان) .
- ١٨٩ - ص ٦٧ : (كانت أقل اخذها) : (كانت أقل لأخذها) .
- ١٩٠ - ص ٦٧ : (شيء ما كان) : (شيء مما كان) .
- ١٩١ - ص ٦٧ : (سحائب زبد) : (سحائب ربد) .
- ١٩٢ - ص ٦٨ : (قد فني عنه) : (قد فئا عنه) .
- ١٩٣ - ص ٦٨ : (لين اللوز) : (لأن اللوز) .

- ١٩٤ - ص ٦٨ : (تكسر من .. ميمانه) : (تكسر من جيدته ميمانه) .
- ١٩٥ - ص ٧٠ : (تخسر وترفع) : (تحسّن وترفع) .
- ١٩٦ - ص ٧٠ : (تبين عتق الذهب) : (بين عتق الذهب) .
- ١٩٧ - ص ٧٠ : (وكما ما هو أخف) : (وكل ما هو أخف) .
- ١٩٨ - ص ٧١ : (اول الكواكب ضررا) : (أقل الكواكب ضررا) .
- ١٩٩ - ص ٧١ : (قصب المُصنّان) : (قصب المُضنّار) . وقد ذكره
في « وصفة الجزيرة » ص ١٩٣ .
- ٢٠٠ - ص ٧١ : (قوم يصونه) : (قوم يميّضونه) .
- ٢٠١ - ص ٧٢ : (اللواتي تحججن) : (اللواتي يحججن) .
- ٢٠٢ - ص ٧٢ : (وجعلوا ما في أرجل) : (رجمو الى ما في أرجل) .
- ٢٠٣ - ص ٧٢ : (بحال اليس) : (لحال اليس) .
- ٢٠٤ - ص ٧٣ : (الحدة .. خلق) : (الجدة .. خلق) .
- ٢٠٥ - ص ٧٣ : (في البقاء) : (في النقاء) .
- ٢٠٦ - ص ٧٤ : (اعظم يديتون به) ، (أعظم ما يديتون به) .
- ٢٠٧ - ص ٧٥ : (صدى المطرقة) : (صدأ المطرقة) .
- ٢٠٨ - ص ٧٤ : (من بعديومثذ) : (من بعد ، وبومثذ) آية قرآنية .
- ٢٠٩ - ص ٧٦ : (واما علة لأن) : (واما علة لين) .
- ٢١٠ - ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ : (النفيت) : (التفيت) .
- ٢١١ - ص ٧٧ : (لينبت الدينار) : (ليثبت الدينار) .
- ٢١٢ - ص ٧٧ : (فإنّ فيه الميل) : (بأنّ فيه الميل) .
- ٢١٣ - ص ٧٧ : (وان جل طوقه) : (وان كان جل طوقه) .
- ٢١٤ - ص ١٧ : (وسيرّ الوضعات) : (وشرّ الوضعات) .
- ٢١٥ - ص ٧٨ : (فمن صدر السكة وحفظها) : (فمن حدر السكة وخفضها) .

م (٩)

- ٢١٦ - ص ٧٨ : (ومن يضرب السكة ورفعها) : (ومن نصب السكة ورفعها) .
- ٢١٧ - ص ٧٨ : (يلقاها الراحة) : (تلقاها الراحة) .
- ٢١٨ - ص ٧٨ : (وما كان هشافي .) : (وما كان هشاً من وجه) .
- ٢١٩ - ص ٧٨ : (وجددة الاكرع مع بتاتها) : (وجددة الاكرع مع ثباتها) .
- ٢٢٠ - ص ٧٨ : (تحينا) : (ثخيناً) .
- ٢٢١ - ص ٧٨ : (يصلدم ما تحته) : (يصادم ما تحته) .
- ٢٢٢ - ص ٧٨ : (فيخرج الأسفل على...) : (فيخرج الأسفل على الثبات) .
- ٢٢٣ - ص ٧٩ : (فقد يصدأ ولكنه) : (فقد يُضيء ولكنه) .
- ٢٢٤ - ص ٧٩ : (بنقوش) : (يتنقوش) .
- ٢٢٥ - ص ٧٩ : (وقد يعرف الحديد) : (وقد يعرق الحديد) .
- ٢٢٦ - ص ٧٩ : (لأن البقار) : (لأن النعال) .
- ٢٢٧ - ص ٧٩ : (ثم ريزج وصل) : (ثم رُئِدِجَ وصليل) .
- ٢٢٨ - ص ٨١ : (النحلي) : (التخلي) اسم موضع في صفة جزيرة العرب ص ٢٤٠/١٩٠ .

محمد الجاسر



وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

(١) - ٢ -

ويمكننا أن نعتبر الحقل الرابع من شعر الصنوبري والذي سنقف عنده وصف المياه وما يجري هذا الجرى . ويستوقفنا هنا وصف الثلج ووصف البركة ووصف نهر حلب المسمى بقويق .

على سبيل العموم ، نلاحظ قلّة احتفال الصنوبري بوصف المياه من خلال المقطعات التي في الذيل . ولعل نهر قويق استنزف منه قريحته في هذا الموضوع فما خرج إلينا في سواء بغير العادي . والمياه توصف عنده عادة بالصفاء والرقّة ، وتشبهه بالفضّة والبثور ، وسطوح مجاميعها تنفضن إذ ما لمستها يدُ الريح كأنها الدروع الزردية .

ونحفل بوصف الثلج لقلّة ورود هذا المعنى في الشعر العربي ، ولا حرج . قلّة الثلج في العالم العربي أدت إلى ذلك ولا غرو . في مقطوعة برّد بها ذكر الثلج لم يأت الصنوبري على شيء سوى ذكر الثلج وتسميته وتشبيهه بالورد الأبيض :

وردُ الريح موزد والورد في تشرين أبيض

وله قصيدة أخرى في وصف سقوط الثلج ، يتصلّ الوضع الطبيعيّ فيها بالوضع الإنساني . فنَدَفُ الثلج يحدو الصنوبري لأنّه هيبّ بصحبه إلى اللهب والقصف . على أن ما يستوقف الناظر حال النهار الضاحك المتفتح بفلاحة من فضة . وهو ولا شك معنى مطروق من كلال شقّيه ليس لشاعرنا فضل سوى الجمع تحت عنوان جديد . وخلاف هاتين القطعتين « الثلجيتين » لا نثر له على شيء في الموضوع .

(١) نمر أول المقال في الصفحة ٨١٠ من المجلد (٤٣) .

- ٥٦٩ -

أما اختفالننا بوصف البركة فلورود معنى رافع فيه . وقد جاء خلال وصف الشاعر لرياض حلب الشهباء حيث يذكر أن وسط ساحات هذه الرياض بركاً ماؤها زجاج مذاب ، ولجّين مسبوك ، ولصفاء ماء هذه البرك تغدو :

هي الجوّ من رقّة غير أنّ مكان الطيور يطير السمك
لقد حاول البحري أن يقول قبل الصنوبري مثل هذا المعنى في قصيدته بوصف بركة التوكّتل :

يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مَجْنَحَةٌ كَالطَّيْرِ تَمْقُضُ فِي جَوْءِ خَوَافِيهَا
ولكنّه قصر عن معنى شاعرنا .

وأما الصنوبري ونهر حلب فينهما غرام وعشق . فهو لا يرى من هذا النهر إلاّ المحاسن والفضائل . رياض قويق نضرة مزهرة عقيقة ، تمخرّض على حثّ الكؤوس ، وماؤه تقيّ كالبلّور يلمع كلّمع اللؤلؤ ، وهو يأبى أن يحمل على ظهره السفائن ، وله من العلاجيم (١) ما يسبّح بحمد الله له . ولكنّ الذي أقضّ مضجع شاعرنا أن هذا النهر « إذا جدّ جدّ الصيف ، غادر الماء جسمه فبدأ شحياً . فيحاول الصنوبري أن يتحلل له العليل ، فيقول أولاً بمرضه :

قويق على الصفراء ركب جسمه رباه بهذا شهّد وحدانته
إذا جدّ جدّ الصيف غادر جسمه ضيلاً ، ولكنّ الشتاء يوافقه
ولكنّ المرض من الميوب ، وأيّ حسن يكمن في جسد ركب
على الصفراء ! فيذهب يلتئميس له العذر من العاطفة السامية ، الحب :

(١) العلاجيم جمعها : علاجيم ، وهو الضفدع الذكر ، وله معان أخرى . (المجلة)

وقد عابه قومٌ وكلّهمو له على ما تعاطوه من العيبِ، عشاقُ
 بهابُ قويقٌ أن يُملّ فأثما يقيم زماناً ثم يمضي فنشتاقُ ...
 كأنّ هذا النهر محبٌ خفيف الظلّ يزور غباً كي يزداد حبّاً :
 فلو دام في الحبّ الوصالُ ولم يكنُ فراقٌ ولا هجرٌ لما اشتاق مشتاقٌ ...
 ولكنّ قويقاً قويّ في الشتاء ، فما بالُ حُسادِهِ يعذّونه :

تذهبُ أمواجه كخيالٍ شقر لها وسطها ذهابُ
 وهل موجه كالخيل وحسب ، إنّه إن شمّ ربح الشتاء تاه وتكبّر :
 وناسبَ دجلة والنيل والفرات بهاءً وحسناً وطيباً

ولكنّ ماءهُ شحيح في الصيف . ما باله هكذا ؟ إن هذا ليؤلم شاعرنا
 ويحزنه . لا بُدّ وأن يعتذر لهذا . وما له من حيلة أو مخرج سوى
 الخفوت في الاعتذار . فيرثي له ويعتذر عنه ويثير الشفقة فيك عليك
 تصفح وتعفو :

وإن أقبلَ الصيف أبصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كشيبي
 إذا ما الضفادع نادينه قويقٌ ، قويقٌ ، أبي أن يجيباً

وهنا تكن الشاعرية .

اسم هذا النهر لا يوحى بالموسيقى اللفظية مطلقاً . ومن جهة أخرى ،
 يعتبر تقيق الضفادع مزججاً ممقوتاً . ولكن شاعرنا استعار الواحد للآخر ،
 ومزججها ، فأعطاك أبداع صورة وأدقّ تعبير تنقّ الضفادع له ... وهكذا تقول :
 قويق قويق ... ولكنه لا يجيب ! فهل هنالك من عاتب عليه بعد الآن ؟
 ولا حاجة لنا بعد هذا كلّهُ أن نشير إلى بلاغة التجريد والتشخيص

والوجدانية فيما مضى .

أما الحقل الخامس من شعر الصنوبري فهو وصف المدن والأماكن . وهو ضربٌ من الوصف لا يهمننا كثيراً إلا بالقدر الذي تناول فيه وصف رياض هذه الأماكن والمدن . وقد ألمعنا لذلك في مكانه حيث تحدثنا عن شعره في الرياض ، صناعيةً وطبيعيةً .

والحقل الأخير الذي سنشير إليه هو ذلك النوع من القصائد التي تحدثت بها على سجيته فصور شعوره النفسي تجاه الطبيعة وأظهر ذلك واضحاً جلياً . وهذا نهجٌ وجدانيٌ صرف .

الشعور العام الذي يرافق هذا الحقل في تلك القصائد واحدٌ في التسلسل ، واضحٌ لا لبس فيه ولا غموض . ولتتمثل على ذلك يعض المقاطع لنخلص إلى حكم عام بشأن هذا الحقل الأخير . يقول الصنوبري في إحدى قصائده بعد مطلع غزل :

لا تلمني بالرقتين ودعني إن قلبي بالرقتين رهينُ

يانديمي ألا تحنّ إلى القصف فهذا أوانُ بيدٍ والحنينُ

إلى أن يقول :

كم غدا نحو دير زكي^(١) من قلبٍ صحيحٍ فراح وهو حزينُ

وُتبيعه بسنة آيات في النزل .

ومن قصيدة أخرى يفتتحها بالوصف حتى يقول :

أيا متنزهي في دير زكي ألم تكُ نزهتي بك نزهتينِ

إلى أن يصل بقوله :

(١) ضبط المؤرخون كلمة : (زكي) بالزاي المفتوحة مع الكاف المفتوحة المشددة ،

ثم ألف مقصورة أو ألف ممدودة وكلاماً صحيح (الدارات للشابتي ص ١٣٩

ترانا واصليكَ كما عهدنا وصِلاً لا نَنفِعه يَبِينُ
 ألا يا صاحبي خُذا عِنائي هواي ، سَلَمَتَا من صاحِبِينِ
 لقد غصبتني الخُمسونَ فَتَكِي وقامت بين لذاتي وبيني
 وكان اللهُ عندي كَابنِ أُمِّي فصرنا بعد ذاك كَعَلَتِينِ

وبين الحين والحين يطلع علينا بيت كهذا :

حَتَّ الكُؤُوسِ فَإِنَّ هَذَا وَقْتُهَا وَصِلِ الرِّياضَ فَإِنَّ ذَا إِبَانُهَا
 أو كهذا :

ذَهَبْ كُؤُوسِكَ يَا غَلامُ فَإِنَّ ذَا يَوْمٍ مُفَضِّضٌ
 أو كهذا :

فاشربْ على ذَا الشَّقِيقِ كاساً تشرب عَقِيقاً على عَقِيقِ ...

الملاحظ أنه لو حصرنا كل شعره الذي في هذا الموضوع فإننا نرى قصائده الوجدانية المتصلة بالرياض ، تبدأ بالحنين إلى الطبيعة ثم إلى وصلها من أجل اللهو والقصف . فالأمر إذاً أمرٌ لذاتٍ وشهوات ، وما الطبيعة عنده إلا "مُنتَجَعٌ" للشربِ وحثِّ الكُؤُوسِ . فهل نَعْلُو إذا قلنا إن نزعته نواسية الجذور . ولكنه يشدد على الروض بدل التشديد على الحمر ومفهومها كما هي الحال عند زعيم هذه المدرسة ؟ هذا غلوٌ ولا شك ، ولكن لا بد أن يكون تحته شيء من الصحة والصواب .

* * *

(١) في العبارات من ١٤٠ ؛ لعتين ، وربما كان الصحيح : فصرنا بعد ذلك علتين . (المجلة)

ونختم هذا البحث بعد أن تدرّج بنا إلى هذا الحد . وقد كان بالإمكان أن يطول ويتشعب . نختمه بكلمة موجزة قصيرة حول أسلوب الصنوبري الشعري .

أول ما يلفت الانتباه سرعة العطاء الشعري ، وازدحام الصور الوصفية في محبلة الشاعر حتى تظني عليه ، فإذا به يذكر الأشياء ذكراً دون وصفها . والسرعة تورثه أحياناً التدفق في العطاء ، وهذا غير ما سبق ، لأنه يتأثى على الصورة ويتفنن في إخراجها والتعبير عنها فهو إن قال :

أقحوان وسوسنٌ وشقيقٌ وبهارٌ يُجنى وأذريونٌ

نلمس السرعة في العطاء الشعري حيث ازدحام الصور . وهو إن قال :

وكانٌ حمراً الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوتٍ نشون على رماحٍ من زبرجد

نلمس تدفق التعبير لصورة واحدة .

ومما يسترعي الانتباه أيضاً الجزالة وشدة الأسر في شعره مما يُنتج فكرة سرعة العطاء لديه وتدفق التعبير .

أمّا ألفاظه فسليسة على الموم ، وقلما تقع له على اللفظة النافرة أو الحوشية المخرّج . فكأنما الكلمات لسلاستها « يأخذ بعضها برقاب بمض ، » . انظر مثلاً هذا البيت :

وبدا النرجس البديعُ كأمثال عيون ترنو إليها عيونُ

حتى إن الوقفة القصيرة ما بين صدر البيت وعجزه قد اختفت في المديد من أبياته فيغدو البيتان أو الثلاثة أو الخمسة أحياناً لا يفصل بينها من ناحية

تدافع الألفاظ إلا هذه القافية المبرّتان . وإذا أنت أمام مقطوعة تسلبُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة

www.alukah.net

التنفس وتأسرُ الأعصاب . وأما تناسق اللفظ والمعنى من جهةٍ وتوافق اللفظ والمعنى والموسيقى الشعرية من ناحيةٍ أخرى فقد رأينا مثلاً راثماً على ذلك في نداء الضفادع لقويق .

وهناك ظاهرة بارزة بجلاء وهي إغراقه في استعارة ألوان الجواهر والأحجار الكريمة ، وتشبيه ألوان الزهر والنبت بها . وهذا ضرب من التشبيه الخيالي . فلو أخذنا وصفه للترجس حين يقول :

أقداح ياقوت تعاطيكمها أنامل من لؤلؤ رطب

نرى أنه جمع ما بين الأقداح والياقوت والأنامل واللؤلؤ الرطب . والأربعة متدرك بالحس العادي منفصلةً ، ولكن متى جمعت تعذر ذلك وأصبح يقع ضمن إطار الخيال . وأغلب خيالاته من هذا النوع ، قريبة المنال بعيدة عن النعوض والتكلف . وقتلما يقع شاعرنا في الغلو .

أما الصفة الغالبة على شعر الصنوبري من حيث منطوية الوصف فنحن لا نرى ذلك عنده كما نرى عند البحري مثلاً من حيث أخذ الأخير المعنى العام للموصوف ثم الدنو شيئاً فشيئاً إلى الجزئيات الدقيقة ، ولم يكن الصنوبري ممن يأخذ المعنى وبشتط في تقليبه على وجوه ، كما كان يفعل أبو تمام ، وإنما نرى معاني الصنوبري وصوره تستقل الواحدة عن الأخرى وتتقدم أو تتأخر دون إخلال بالاطار العام . على أن همه الأول كان دائماً نقل الصورة مستطرفةً إذا أراد التصوير الموضوعي ، وإذا أراد بث شعور التعاطف مع الطبيعة أغرق في الوصف الوجداني .

* * *

قبل أن تنتقل إلى القصائد المختارة في الذيل أودّ أن أسطرّ بعض الحقائق عن حياة الصنوبري .

هو أبو بكر أحمد بن محمد الضبّي (ونيس الصيني) الصنوبري . كان في بلاط سيف الدولة الحمداني بالموصل متسلّماً خزّانة كتب الأمير . وقد مدح كبار عصره ووجهاء دولته بالمديد من المطوّلات ، ناهيك عن مدائح آل البيت الشريف . ثمّ لما استولى سيف الدولة على حلب انتقل الصنوبري معه ، ومات فيها سنة ٣٣٤ للهجرة .

يُقال ، والله أعلم ، إن المتنبي كان من بعض تلامذته أو الناشئة الذين طلبوا رأي الصنوبري بشعرهم واستقوا آراءه في ذلك . ويقال كذلك إن سيف الدولة كان يزوره في جنةٍ كبيرة ابتناها وحشد فيها صنوفاً من الطير والزهر والمياه مما يفوق الوصف .

على أنّ حياة هذا الشاعر مجهولة للغاية ، وهو كإن الرومي ، ينتظر من يبعثه من رقاد الأجيال وينفض عنه غبار السنين .

فواز أحمد طوفان



محكمة المياه في بلنسية

قال انقرى* نقلا عن الجغرافي البكري «تشابه اسبانيا بلاد الشام بسحر مناخها وصفاء هوائها ، واليمن بمناخها المعتدل صيفاً وشتاء ، والهند بعطورها الزكية الرائحة ، وبلاد فارس بأهميتها مكوسها وعدن بمتوجات سواحلها ، .

وعلى ذكر متوجات سواحلها أقول بأن العرب في أقطارهم لا يعرفون اسبانيا معرفة تامة ، فقد رحلت إلى هذا الفردوس المفقود وشاهدت بأم عيني أرض الأندلس وسواحلها ، وكورها ومزارعها ، ومدنها وقصباتها ، وأهلها في حواضرهم وأريافهم ، وعانيت سخنهم وأشكالهم وعاداتهم وأخلاقهم .

وقد تبين لي : بعد أن زرت هذا القطر بأن اسبانيا في حاضرها مدينة للعرب بترائبها الحضارية وطابعها الأحيائي (البايولوجي) المتجسم في خلقه أبنائها ، وبوفرة إنتاجها الزراعي وجودته ، وكمثال على أثر الحضارة العربية على اسبانيا أذكر أعمال الري في منطقة بلنسية فإنها شاهد صدق على ما أقول .

لقد حوّل العرب بلنسية إلى بستان حقيقي رغم أن تربتها ليست فائقة الجودة ، كما أن ميزات مناخها ليست أفضل الميزات الزراعية إذ أن نسبة هطول الأمطار منخفضة جداً (٤٨٠ ملمتراً في السنة) . ولكن عرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها الغزير (نهر توريا) منذ ألف سنة أو أكثر فانشأوا السواقي العديدة تروي الأراضي القاحلة بمياه النهر فأحالتها إلى جنات تجري من تحتها الأنهار .

إن السواقي التي أوجدها العرب مازالت باقية حتى أيامنا هذه ، وهي تشكل عملاً هندسياً رائعاً بشهادة أبرز الشخصيات الفنية الحديثة ، فلا عجب ان أصبحت منطقة بلنسية اليوم عبارة عن بستان كبير كبير الخصب وافر المتوجات ، تلك المتوجات الزراعية التي حازت اليوم تقدير المستهلك وإعجابه داخل اسبانيا وخارجها .

إن هذه اللجنة التي يرجع عهدا الى أكثر من ألف سنة ، تجري فيها سبع سواقي تشير أسماءها إلى مصدرها العربي وهي : ساقية قوارت ، وابن عشار ، ومسلطة ، وفهارة على الضفة اليمنى وساقية الترمس ، ومستليسا وراسكانيا على الضفة اليسرى للنهر ، ويتفرع منها قنوات وافرّة تنقسم بدورها إلى فروع عديدة تشمل مساحة واسعة من أراضي الري .

هذا وقد أشاد الدكتور (روزيه) رئيس جامعة لوزان في سويسرا بهندسة الري العربية في بلنسية إذ قال (لقد طوفت بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الإعجاب ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فان أهل هذه الولاية من الأسبان اليوم يمشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأ أبناء جنسكم (ويعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي ذلك كثيراً من المعالم في أرض الأندلس ، على نفس هذه السكور على وادي الأحمر وغيرها وإلا لهلك ولا من يكبها قبح من قضا عليها (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء السابع من المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٢) .

مها يكن من أمر فان العرب لم يقتصروا على القيام ببناء القنوات على هذه الطريقة العجيبة بل نظموا أيضاً توزيعها بين المزارعين بشكل قانوني

ليستفيدوا جميعهم منها فأنشأوا هيئة تحكيمية تسمى « محكمة المياه » ، قام بمخلفها

الخليفة الأموي الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية آنذاك عبد الرحمن بن جبال ، وقد تأسست هذه المحكمة في أواخر عام (٩٦٠ م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر . وعندما فتح الملك خيمي الأول بلنسية احترم هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما احترمها جميع الحكام الذين استلموا زمام الأمور في اسبانيا حتى يومنا هذا . واعترف التشريع الاسباني بشرعية وقوانين المحكمة المذكورة اعترافاً صريحاً .

لقد كان عام (١٩٦٠ م) عام الذكرى الألفية لتأسيس « محكمة المياه » ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العدل الاسباني وبصحبته وزراء الزراعة والأشغال العامة ، وقد أشاد الخطباء في تلك الاحتفالات الباهرة بالحضارة العربية وبآثر العرب الرائعة في الأندلس ، وبما يلاحظ بأن تكفير الاسبان عن خطاياهم التي ارتكبوها ضد العرب قد جاء متأخراً جداً .

أما محكمة المياه هذه الطارفة التليدة فتقام في المراء كل خميس في مدينة بلنسية منذ تأسيسها من قبل العرب حتى اليوم ، وانتخب يوم الخميس من بين أيام الأسبوع لتجري فيه محاكمات المياه لأنه اليوم السابق للعطلة الإسلامية (الجمعة) ويتم اجتماع المحكمة عند مدخل كاتدرائية بلنسية التي كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب .

تتألف المحكمة من سبع قضاة ينتخبهم الشعب من بين المزارعين المنتجين ، قاض عن كل ساقية . واختصاص هذه المحكمة هو الفصل في الدعاوى الناتجة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الأكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذي يعتبر نفسه مغبوناً ، فيقدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه أمام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ، ويجوز إحضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكفي غالباً ببرد الواقع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجري بصوت منخفض بين أعضاء المحكمة يعلن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف .

لمحكمة المياه ميزات فادرة ، تجري المحاكمة في العراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية ، وعلى القضاة أن يرتدوا اللباس الرسمي - وهو عبارة عن قميص أسود - (وهذا الزي تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية بالنقد المتداول ، ولكنه يجب الإشارة الى قيمتها بالليرات القديمة . ويتقاضى الرئيس عادة نصف ليرة من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل خاص مشهور بلنسية يكلف بإعدادها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوانين التي تطبقها المحكمة مقتبسة باكثرها عن قوانين الري التي كانت سارية ببلبك في القرن الثامن الميلادي ، وبعضها مقتبس من مجموعة قوانين (حمورابي) التي ترجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ، وهذا يعني أن أقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كاتدرائية - مسجد - بلنسية .

إن قوانين ببلبك وشرائع حمورابي دخلت إلى أسبانيا عن طريق الجيش العربي الذي جاء لنصرة طارق بن زياد ، وشارك في فتح بلنسية التي استوطن فيها .

في خلال الحرب العالمية الثانية كان أحد سفراء الدول العظمى بمدير يد ذا ثقافة عالية وميل شديد إلى الدرس والتنقيب في البحوث التاريخية ، حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشأتها وبمد أن اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر أن هذه المحكمة خالدة إلى الأبد ، ويظهر أن العرب لم يتركوا الأندلس نهائياً بعد .

اقول أجل ان هذه المحكمة خالدة خلود التراث العربي في الأندلس وباقية بقاء السمرة العربية الظاهرة على ملامح الأسبان في الفردوس المفقود .

الدكتور فيصل دهبوب



مجتمع الهمداني

من خلال مقاماته

بحث بحل المقامات ويستف من

ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٤ — (١)

٣ - في الدور والأسواق

(الدور - المساجد - البيارستانات - الحمامات - المطاعم -

الحوانيت - الحانات - الأسواق ..)

الدور في التاريخ : لسنا في حاجة إلى ذكر ما كان القوم عليه من
عناية بالعمران وتفنن في هندسة الأبنية وزخرفتها ، فهذا أمر معروف عن
حضارة القرن الرابع ، والحق أن كتب الحضارة وصفت لنا كثيراً من
الأبنية والقصور ، وإن كانت قد اقتصر على قصور الخلفاء والمساجد
حيث كثر الإنفاق أو ظهرت آثار الفن وروعته ، وأما دور الشعب ومساكن
الطبقة العامة فقد لا نعرف عنها الكثير من خلال تلك الكتب . ولعل
أكثر ما نعرفه عنها مقتبس من بعض الكتب الأدبية التي تعرضت في مناسبات
مختلفة ، لوصفها ككتاب « الأغاني » و « المقامات » .

الدور في المقامات : لسنا نكتم أن الهمداني لم يوف الدور حقها من
الوصف ، وأن حديثه عنها كان موجزاً وسريعاً ؛ إنه يذكر ما كلفت من

(١) نشر أول البحث في الصفحات ١٢٤ و ٦٠٥ و ٨٢٦ من المجلد (٤٣) .

— ٥٨١ —

أموال ، وقد كانوا يتفاخرون بكثرة الإنفاق ، وبذكر أحياناً ما يتصل بدقة الصنعة وجمال الشكل .. وهو إذا فصل في وصف باب أو حلقة ، وليس في وصف البيت وتخطيطه ، ومن الحق أن نشير إلى أن حديث الهمداني عن الدور ووصفها لا يقارب ما نقله « آدم متز » مثلاً في الموضوع نفسه (١) قال الهمداني على لسان أبي الفتح : « واتهينا إلى باب داره ، فقال : هذه داري ، كم تقدر يا مولاي أنفق على هذه الطاقة ؟ أنفقت عليها والله فوق الطاقة ، ووراء الطاقة . كيف ترى صنعتها وشكلها ؟ أرايت بالله مثلها ؟ انظر إلى دقائق الصنعة فيها وتأمل حسن ترميمها فكأنما خطَّ بالبركار ، وانظر إلى حذق التجار في صنعة هذا الباب ، اتخذه من كم ؟ قل : ومن أين أعلم ؟ هو ساج من قطعة واحدة لامأروض ولا عفن ، (٢) .

وواضح من هذا أنهم يصنعون أبواب بيوتهم من الخشب ويتخذون على الباب حلقة تدور بلول يُطرق بها الباب ، وبالجملة كان الخشب يستعمل كثيراً وكان أحب أصنافه عند السراة خشب الساج الهندي (٣) .

ويتابع الهمداني حديثه عن الدار فيقول « وهذه الحلقة تراها ؟ ... فيها من الشبه ستة أرطال ، وهي تدور بلول في الباب ... ثم قرع الباب ودخلت الدهليز فقال : عمرك الله يادار ، ولا خربك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، وأقوى أسامك ، تأمل بالله ممارجها ، وتبين دواخلها وخوارجها .. (٤) ، وقال : « فقلت ، فقال : أين تريد ؟ فقلت : حاجة أقضيها . فقال : يا مولاي تريد كنيفاً يُزري بريعي الأمير

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) المقامة المضيرية : ١١٣ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٠ .

(٤) المقامة المضيرية : ١١٤ .

وخربني الوزير ؛ قد جصّص أعلاه وصُهرج أسفله ، وسطح سقفه ،
وفُرشت بالمرمر أرضه ، يزلّ عن حائطه الدرّ فلا يعلق ، ويمشي على أرضه
الذباب فيزلق ، عليه باب غير أنه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين أحسن
ازدواج ، (١) .

وقد كانت الدور موضعاً للاجتماع والدمر ؛ ففيها يجتمعون للدمر
والطرب ، قال « وجعلت للدار حاشيتي النهار (٢) » ، وقال « بت ذات ليلة في
كتيبة فضل من رفقائي فتذاكرنا الفصاحة ، وما ودعنا الحديث حتى طرق
علينا الباب (٣) » . . .

المساجد في التاريخ : غير خاف أن المساجد من الموضوعات التي عنيت
بها كتب الحضارة الإسلامية ؛ فوصفت بناءها وفتها وزخرقتها ، وذكرت
عدد العاملين في بنائها ومدى ما أنفق عليها . . . وزاد بعض المؤرخين
فتناول أحوال القوم فيها ؛ قال المقرئ . . . إنهم كانوا يجتمعون في المساجد ،
وقد يولون فيها وينامون . . . وروى لنا قصة حدثت بها الأمير عليّ تاج
الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي ذكر أنهم اجتمعوا ليلة في مسجد
فعملوا أسماطاً وأكلوا ثم تحدّثوا وناموا . . . وكانت ليلة باردة فناموا عند
المنبر . . . (٤) وكذلك نقل آدم متز كثيراً من أخبار المساجد واجتماع انبهم
فيها ليلاً ونهاراً (٥) .

المساجد في المقامات : لا يقف الهمداني بنا خارج المسجد ليصفه لنا
ولمّا يأخذ بأيدينا إلى داخله ليطلّنا على ما يحدث فيه ويسمنا الأحاديث

(١) المقامة المضيرية : ١٢٢ .

(٢) المقامة الفريضية : ٩ .

(٣) المقامة الناجية : ١٩٩ .

(٤) المخطوط والآثار ٢ : ٣١٩ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ٨٥ وما بعدها .

التي تدور في حلقات القوم ؛ فقد كانوا يجتمعون في أفنية المساجد وتدور بينهم الأحاديث المختلفة ويمرّ بهم المكذّبون ...

لقد حدثنا الهمداني عن إقبال القوم على الصلاة في المساجد وإجاباتهم داعياً ، وعن عادة بعض الأئمة في إطالة الصلاة ، وعمّا يحدث بعد انقضائها من مفاجآت المكذّبين ، وقد حدث مرة أن « نودي للصلاة نداء سمعته وتعيّن فرض الإجابة ، فانسالت من بين الصحابة أغنم الجماعة أدركها ، (١) وكانت صلاتهم طويلة » تقدّم الإمام إلى المحراب فقرأ فاتحة الكتاب ، بقراءة حمزة مدّة وهمزة ... وأتبع الفاتحة الواقعة ، (٢) وانتهت الركعة الأولى .. وقام الإمام إلى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى بها عمر الساعة ، واستنزف أرواح الجماعة ، فلما فرغ من ركعته ، وأقبل على التشهد بلحيّته ، ومال إلى التحية بأخذه ، وقلت : قد سهّل الله المخرج وقرب الفرج ، قام رجل وقال : من كان منكم يحبّ الصحابة والجماعة ، فليعزني سمعه ساعة . قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لعرضي . فقال : حقيق عليّ ألاّ أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق ... ، (٣) ويتابع حديثه حتى يصل إلى مطلوبه فيذكر حاجته إلى المال !..

وكذلك يذكر الهمداني تلبية الدعوة إلى الصلاة في المقامة الحزبية حين « ثوب منادي الصبح ... فإدركنا إلى الدعوة وقتنا وراء الإمام قيام البررة الكرام . (٤)

(١ و ٢) المقامة الأصفهانية ٥٦ و ٥٧ .

(٣) المقامة الأصفهانية : ٥٨ .

(٤) المقامة الحزبية : ٢٤٥ .

وأما دخول المكديين إلى المساجد فقد مرّ ذكره في المقامة التجارية حيث يقول : حدثنا عيسى بن هشام قال أحلّني جامع نجاري معهم وقد انتظمت مع رققة في سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستلى طفلاً عُريانا . . . (١)

ويشير الهمداني إلى أنهم كثيراً ما كانوا يعرّجون على المساجد تخفيفاً لمشقة أو فراراً من حرّ فيقول في المقامة الرصافية : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة ، وحرارة القيظ تبلي بصدر الفيظ ، فلما نصفت الطريق اشتدّ الحرّ وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سرّ . . » (٢)

البيمارستانات : إن اتخاذا الناس للبيمارستانات أمر قديم ، وقد ذكروا أن هذه الأماكن كانت منتشرة في القرن الرابع (٣) ، بل هي معروفة قبل ذلك التاريخ إذ قيل إن أول من بنى المارستان هو أحمد بن طولون بناء في مصر سنة ٢٥٩ هـ . وكانت أمور المارستانات بيد ذوي المناصب الرفيعة ، حكى ابن الأثير أنه توفي سنة ٣٩٦ عبد الرحيم المرزباني الأصبهاني قاضي خراسان وقال « وإليه كان أمر البيمارستانات » (٤)

وأما الهمداني فيأخذ بأيدينا إلى مارستان البصرة ويسمنا كلام بعض المجانين من نزلائه ، وقد سمعناه في بحث الردّ على المعتزلة (٥) ، وذلك حين

(١) المقامة التجارية : ٨٧ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٤٧ وما بعدها .

(٤) الكامل ٩ : ٦٦ .

(٥) انظر ما سبق في ص : ٨٤٦ من المجلد ٤٣ .

دخل المارستان مع أبي داود المتكلم^(١) ، ورأينا أن الخطرين منهم كانوا يقيّدون خوف أذاهم إذ أن أحدهم ما هو « إلا شيطان في أشطان » ،^(٢)

الحمّامات : كانت الحمامات معروفة منذ القديم ، ولكن عناية الناس بها زادت بعد الإسلام ، وذكر الطبري أنه لم يكن للفرس عهد بالحمامات قبل الإسلام . أما عند المسلمين فقد شاعت وانتشرت وتنافست البلاد في كثرتها ، على أن ذوي الورع لم يمدحوها ، ونقل عن علي^(٣) أنه قال : « بش البيت الحمّام ، تكشف فيه العورات وترفع فيه الأصوات ، ولا تقرأ فيه آية من كتاب الله » . وقد بلغ عدد الحمامات في النصف الأول من القرن الرابع في جاني بغداد عشرة آلاف حمام^(٤) ، ولم يفصل الهمداني ذكر الحمامات في مقاماته وإنما تحدث عنها وذكر عناية القائمين عليها بزائريها من المستحمّين . لقد طلب ابن هشام أن يرشده إلى حمام « واسع الرقعة نظيف البقعة ، طيب الهواء معتدل الماء »^(٥) فأشار إلى ما كان الناس يتوخونه في الحمام ، ثم دخل ابن هشام الحمام وقال « وأتينا فلم نرقوامه ، لكني دخلته ودخل على أثري رجل وعمد إلى قطعة طين فلطّخ بها جيني ووضعها على رأسي . . . »^(٥) ثم يتابع حديثه عما جرى له وكيف تشاجر عليه اثنان من المستخدمين كل « يدعي أنه له » وما لبث أن دخل الأول فحيا أخذع الثاني بمضمومة فقت أنيابه ، وقال : بالكع مالك ولهذا

(١) المقامة المارستانية : ١٢٧ .

(٢) المقامة المارستانية : ١٣٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦٢ .

(٤) المقامة الحلوانية : ١٨٠ .

(٥) المقامة الحلوانية : ١٨١ .

الراس وهو لي ، وعطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابها ، وقال :
بل هذا الراس حقّي ، وملكي في يدي ، ثم تلاكبا حتى عيبا . . . (١)
وكان الهمداني قد أدخلنا حماماً وأطلعنا على ما يحدث فيه ، وكيف
نستقبل لو ذهبنا إليه ، وأشار إلى أخلاق أصحاب هذه الحرفة . . . ولسنا
ندري سبب الخصام بين المستخدمين في الحمام ولكن لعلّه أراد أن يشير
إلى أن كلاً من المستخدمين كان يشتغل لحسابه الخاص ، أو أن صاحب
الحمام كان يحاسبهم على « الراس » !

المطاعم والحوانيت والمآكل : تحدث كتاب « الوزراء » عن بعض
ولائم القوم وعاداتهم فيها ، ووصف لنا مثلاً وليمة دعا إليها الوزير ابن
الفرات جماعة من أصحابه ، وجاء في الحديث ذكر لبعض أنواع الطعام
والمعادن ، إلا أنه وغيره من أخبار التاريخ غير كاف لمرض صورة عن
أسواق القوم ومطاعمهم الشعبية وما فيها من المآكل ؛ نعم نحن نجد فيها
أخبار ولائم المظاء ونسمع أسماء أطعمة عربية وغير عربية ولكننا لا نستطيع
تصوّر تلك الأطعمة لأنها سردت لنا أسماءها دون أن توصف لنا .

وأما بديع الزمان فقد استطاع بوصفه للجزئيات أن يضع أمامنا
صورة للسوق وما فيها من حوانيت ومناظر ، وللمطاعم وما فيها من
مآكل . . . ولترك الهمداني أن يأخذنا إلى تلك الأماكن كما أخذنا إلى
الحمام ، وأن يمرّ بنا عبر الطرقات ويقدم لنا بعض المآكل :

يصل الغريب الى البلدة فيشعر - كما شعر السوادي في بغداد -
بالجوع يستولي عليه ، فيقدمه الهمداني أو ابن هشام إلى مطعم شعبي

(١) اللقمة الحوانية : ١٨١ .

(٢) الوزراء : ٢٤٠ .

انتشرت منه روائح الشواء ... وفي هذا المطعم نجد اللحم والخبز والحلوى
وكأننا في مطعم من مطاعم احيائنا الشعبية في حي السيدة زينب بالقاهرة أو
باب الجابية أو الدرويشية بدمشق .

وإصف الهمداني لنا ما في هذا المطعم الشعبي من أطعمة فيفصل ويجيد
إجادة تجعلنا أمام ذلك الطعم أو تجمله أمامنا ، بل يقدمه لنا حتى نكاد
ندوقه ونعرف أنه يذوب كالصمغ قبل المضغ . . يقول الهمداني « ثم أتينا
شواء يتقاطر شوائه عرفاً وتتسايل جوداباته مرقا . فقلت : افرز لأبي زيد
من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الأطباق
وانضد عليها أوراق الرقاق ورش عليها شيئاً من ماء السمّاق ... ،
فانحنى الشواء بساطوره على زبدة تنوره فجعلها كالكحل مسحاً وكالطحن
دقاً ... وقلت لصاحب الحلوى : زن من اللوزينج رطلين ، فهو أجرى في
الحلوق وأمضى في العروق (١) ، وإن كنا لاندرى ماللوزينج فالهمداني
لا يتركنا كما يتركنا كتاب التاريخ أمام اسم مبهم الدلالة ولكنه يصفه ويوضحه
فيقول « وليكن ليلى العمر يومي النشر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ،
لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ قبل المضغ ... (٢) .
ويذكر الهمداني الماء المثلج فيقول : « ماأحوجنا إلى ماء يشمع
بالتلج ليقمع هذه الصارّة ويفنأ هذه اللقم الحارّة ... (٣) ، والماء المشمع
بالتلج ألدّ ما يتناوله الناس في الصيف ، ويحكى أنه يوم تولى ابن الفرات
الوزارة ، وكان يوماً شديداً الحر ، سقى في داره أربعون ألف رطل من
التلج في يوم وليلة (٤) .

(١) المقامة البغدادية : ٦٥

(٢ و ٣) المقامة البغدادية : ٦٦ .

(٤) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٤ .

ويذكر الهمداني في مقامات أخرى كثيراً من أنواع الأظعمة ؛ ففي
المقامة الساسانية مثلاً يقول زعيم المكدين :

أريد منك رغيفا	يملو خوانا نظيفا
أريد ملحاً جريشا	أريد بقلأ قطيفا
أريد لحماً غريضا	أريد خلاً ثقيفا
أريد جدياً رضيعا	أريد سخلاً خروفا
أريد ماءً بثلج	ينشى إناءً طريفا
أريد دنّ مدام	أقوم عنه زيفاً (٢)

وفي المقامة المضيرية يحدثنا عن المضيرة وبعدهد المواد التي طبخت
بها (٢) ويذكر أن الخبز عندهم كانت أرغفته رقيقة واسعة ينضجونها في التنور
فهي « أوراق الرقاق » (٣) أو هي « صلائق كأنها القباطي » المنشر أو الفوهي
المصّر ، (٤) تطلع من « تنور مسجور » (٥) ويذكر من مآكلهم البقل
والسمك والباذنجان والتفاح والأتقال ... يقول في المقامة المجاعية ، فما
قولك في رغيف وبقل قطيف إلى خدل ثقيف وخردل حرّيف وشواء
صفيف ، وأوساط محشوة وأكواب مملوءة وأتقال معددة ... ولحم طري
وسمك نهري وباذنجان مقلي وراح قطربثلي وتفاح جني ... (٦) كما يذكر

(١) المقامة الساسانية : ٩٧ .

(٢) المقامة المضيرية : ١٢٢ .

(٣) المقامة البغدادية : ٦٥ .

(٤) المقامة التهديّة : ١٨٩ .

(٥) المقامة البغدادية : والأرمنية : ١٩٦ .

(٦) المقامة المجاعية : ١٣٣ .

التمر مع الزبدة التي هي « نهيدة فرق كهامة الأصلع » (١) وربما شربوا معها الحليب في « أقعب قد احتلبن من الجلاذ الهرمية » (٢) . ومنها نوع يصنع من الدقيق الذي يعجن بالحليب ويشوى ويصنع على أشكال مختلفة كالكمك ، ثم يصب عليه المسل ويشرب معه الحليب ، وهو يبيّن لنا طريقة صنعه ، ويصفها خطوة خطوة (٣) ، ومن ذبائحهم المتاق النجدية تقدّم مع الخبز وبعض مايقوي الشبيّة كالخردل والأصباغ (٤) .

ومن طعام فقرائهم الخبز اليابس والتمر الرديء وهو ماقدّم لابن هشام إذ يقول « فأتتنا ابنته بطبق عليه جيلفة ووحثالة وتويّة » (٥) .

وأما الأغنياء وأهل اليسار فقد ذكر ابن هشام بعض ماناله عندهم من لذيذ الأكل والشرب فقال « فلم نزل في صبح وغبوق تنغذني بالجدايا الرضع ، والطباهجات الفارسية ، والمدققات اليراهيمية ، والقلايا المحرّفة ، والكباب الرشيدي ، والحملان ، وشرابنا نبيذ المسل ... وتقلنا اللوز المفشّر ، والسكر والطبرزد ... » (٦) « وكانت لنا طبّاخة حاذقة فآخذت عشرين لونا من قلايا محرّقات .. » (٧) .

وهكذا دخلنا مطاعم القوم وشهدنا بعض ولائهم وعرفنا بعض ماكلهم ، وما يزال الهمداني يتقدّمنا في الأسواق حتى وقف بنا أمام بائع الفواكه حسن الذوق جيد الترتيب فهو قد « أخذ أصناف الفواكه وصنّفها ، وجمع

(١ - ٤) القامة النهديّة ١٨٥ وما بعدها .

(٥) القامة النهديّة : ١٨٩ . والجلفة : قطعة الخبز اليابسة . واللويّة : ما يجبأ .

(٦) القامة الصميريّة : ٢١٦ .

أنواع الرطب وصفتها ... (١) ثم وقف أمام بائع الألبان الذي صنف الأواني النظيفة وفيها أنواع الألبان ... (٢) .

وأما صاحب الخبز فهو يعني بنظافة رغفانه ويرمي ماشك في نظافته حتى استغل ذلك أبو الفتح على نحو ما جاء في المقامة الأرمنية حين قال : وسرنا في طلب أبي جابر فوجدناه يطلع من ذات بطن تُسجر بالنضا ، فعمد الاسكندري إلى رجل فاستماحه كفاً ملح وقال للخباز : أعرفني رأس التنور فياني مقرر ، ولما فرّج سنامه وجعل يحدث القوم بحاله ويخبرهم باختلاله وينثر الملح في التنور من تحت أذياله يوهمهم أن أذى بثيابه . فقال الخباز : مالك لا أبالك ؟ اجمع أذيالك فقد أفسدت الخبز علينا . وقام إلى الرغفان فرماها وجعل الاسكندري يلقطها ويتأبطها ... (٣) .

الحانات : وما زال نسير مع الهمداني حتى يقبل الليل وتبدأ الحانات بفتح أبوابها واستقبال زبائنهما ، ولكل حانة باب وكلاب ومستخدمون يتكفلون بدواب الزبائن ، وصبايا حسان ، ومطربون ... في المقامة الحمرية أنه لما حشرج النهار أو كاد نظرنا فإذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السراء وتناشرنا بليدة غراء ووصلنا إلى أفخمها بابا وأضخمها كلابا ... فدُفئنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألاحظها أحييت أفاظها ، فأحسنت تلقينا ... وأسرع من معها من الملوغ إلى حطّ الرجال والروج ... قلنا هذه الضائقة وأييك

(١) المقامة الأرازية : ١٤ .

(٢) المقامة الأرمنية : ١٩٧ .

(٣) د د : ١٩٦ .

فمن الطرب في ناديك ؟ قالت : إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف
المجون ... ، (١)

في الطرقات : ولا يكتبني الهمداني بأن يربنا ما على جوانب الطريق من
مطاعم وحوائيت وحمات وحنات وحلاقين ... وإنما يربنا أيضاً ما يعترض
سبيل المارة في عرض الطريق ، فمن قوم تحلقوا حول قرّاد ، إلى صبية
يستهنئون بالمارة ... ففي المقامة القرديّة يقول « بينا أنا في مدينة السلام
أميس ميس الرجل على شاطيء الدجلة ... إذ انتهيت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوي الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقني
الحرص إلى ما ساقهم حتى وقفت بسمع صوت رجل دون رؤية وجهه
لشدة الهجمة وفرط الزحمة فإذا هو قرّاد يُرقص قرده . » (٢) وفي
المقامة المضيرية أن أبا الفتح حين فرّ من وليمة صاحبه وجمل يعدو أخذ
صاحبه يعدو خلفه ويصيح « يا أبا الفتح المضيرة ... فظن الصبيان أن
المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، (٣) وأخيراً ينبغي لنا أن نذكر أن هناك
جزئيات تافهة ومع ذلك لم يغفل الهمداني عن ذكرها ، وتلك ميزة أدبية
تساعد على التوضيح ، ولا يقوى عليها من الأدباء إلا من كان شديد الملاحظة
حادث الذكاء لا تفوته ملاحظة الأشياء الصغيرة كما لا يفوته الحديث عنها ؛
فالهمداني مثلاً يذكر أن بعض الناس كان يحمل ما يشتريه من السوق في
متدبل واسع كما يفعل بعض الناس اليوم ، وأن بعضهم كان يضع ما يشتريه

(١) المقامة الحزبية : ٢٤٧ .

(٢) المقامة القرديّة : ١٠١ .

(٣) المقامة : ١٢٣ .

في طرف إزاره كما في المقامة الأزاذية حين قبض من كل شيء أحسنه وقرض من كل نوع أجوده ، فجمع حوائج الإزار على تلك الأوزار ... (١) ، أدواتهم : مازالت الحضارة تقدم للإنسان اليوم الكثير من الأدوات والوسائل التي تملأ حياته راحة ورفاها ، وتيسر عليه العمل الشاق وتوفر له الكثير من وقته ... وألف الإنسان ما يستعمل حتى نبي ما كان يتخذه سلفه الأول من أداة ومتاع ؛ لقد ألف الكهرباء حتى نبي شكل السراج ، وألف السيارة حتى نبي شكل جدّه وهو على دابّته ... ولقد ذكرنا بديع الزمان بالكثير من أدوات القوم وأثاثهم ؛ أما الأغنياء فإنّ عندهم « حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وخيلاً مسوّمة ، وقناطير مقنطرة ، ومعدّة وعديدا ومراكب وعبيدا .. » (٢) وذكر أحدم ما كان معه فقال « ومعى جراب دنائير ومن الخريّ والآلة وغير ذلك ما لا أحتاج معه إلى أحد ، وعند بعضهم « صنان ، كل صنّ بأربعة آذان . » (٣) وقصاع كبيرة يذلّ عنها الطّرف ... (٤) ومن أدواتهم الخوان والإبريق والطست والمناديل المطرّزة ، وقد ذكرت في المقامة المضيّرة ، وكانوا يستنبرون بضوء السراج وهو حوت مصرور في بعض البحور مخطف الخصور يلدغ كالذنبور ويعنّم بالنور ، أبوه حجر وأمه ذكر ، ورأسه ذهب واسمه لهب وباقيه ذنب ، له في الملبوس عمل السوس ، وهو في البيت آلة الزيت

(١) المقامة الأزاذية : ١٤ .

(٢) المقامة القزوينية : ٩٤ .

(٣) المقامة الصيرية : ٢١٥ - ٢٢٢ والصن وعاء كبير يشبه السدّة .

(٤) المقامة المضيّرة : ١٠٩ .

شريب لا يتقع ، أكل لا يشبع ، بذول لا يمنع . ينمي إلى الصعود ،
ولا ينقص ماله من جود ، يسوءك ما يسرّه وينفعك ما يضرّه... (١)
أما المطبخ فلك أن تتخيّل ما لم يذكره من أدواته حين تدخله مع
أبي الفتح لترى المرأة فيه وهي تدور من التنور إلى القدور ، تنفث فيها
النار وتدق يديها الأزار... (٢)

وبما كان معروفًا عندهم المنزل ، وقد عرفناه في بعض دورنا القديمة ،
والأمشاط ، وقد ألغز فيها الهمذاني في المقامة المغزلية وأورد لكل من الغزل
والمشط كثيراً من الأوصاف (٣)

وكذلك ذكر في المقامة الساسانية بعض أدواتهم في مثل قوله :

أريد مشطاً وموسى أريد سطلاً وليفاً (٤)

الشطرنج : وهو من وسائل التسلية عندهم ، وقد كان معروفًا من
قبل ، وعُدَّ الصولي والخليفة الأأمون من المهرة فيه (٥) . أما الهمذاني فقد
ذكره حين أراد أن يصف يد أبي الفتح وجولانها بين الصحون فقال

(١) المقامة الابليسية : ١٩٣ .

(٢) المقامة المضيرية : ١١١ .

(٣) المقامة المغزلية : ١٧٤ .

(٤) المقامة الساسانية : ٩٨ .

(٥) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٨٧ .

إنها « تسافر على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقأ عيون الجفان » فهي « تجول في القصعة كالرخ» في الرقعة ، (١) والرخ من قطع الشطرنج ذو جودة وصوله وقوة ومنعة حتى سماه بعضهم بالقلمة .
 وورد امم الشطرنج أيضاً في وصية الاسكندري لابنه حين كان يلقيه أصول التجارة فقال له « كن مع الناس كلاعب الشطرنج ؛ خذ كل ما معهم واحفظ كل ما معك (٢) » .

الدكتور مازن المبارك

(يتبع)



(١) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

(٢) المقامة الرصية : ٢١٤ .

نافذة تطل على تاريخ الزيدية

منذ أمد طويل وأنا أتتبع ما يكتب ويقال عن الزيدية ، ولم تكن نفسي تطمئن إلى شيء من ذلك .

ومنذ أمد اطلمت على نص نفيس يكشف القناع عن هذه الفرقة وبوضوح تاريخها الذي اختلفت فيه الآراء ، وكنت أحاول نشره في مجلة المجمع العلمي العربي حينما اطلمت على ما كتبه الأستاذ محمود الملاح في المجلد الثامن والثلاثين ص (٣٣٤) وكانت الموائق تحول دون ذلك ، والآآن وقد كتب لي بعض الفراغ من الوقت فاني اكتب هذه اللوحة لتضاف إلى ما كتب عن هذه الطائفة الغامضة مقدماً عليها كلمة تمهيدية .

سياسة بني أمية ومعاوية وابنه يزيد :

كانت سياسة بني أمية تقوم على تقديس رجالاتهم والطمع في خصومهم خصوصاً الطالبين ، وهذا بديهي لا يحتاج إلى سرد نصوص تؤيد ذلك .

فمعاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والحجاج ابن يوسف الثقفي وأضرابهم كان لهم من القدسية والاحترام في العصر الأموي والى منتصف العصر العباسي مثل مالآل البيت النبوي في عصرنا .

يذكر المقدسي^(١) أنه دخل مدينة أصبهان فوصف له رجل معروف بالزهد والتعبد ، قال : فقصدته وتركت القافلة خلفي وبت عنده تلك الليلة ،

(١) أحسن التقاسيم ص (٣٩٩) والمقدسي هذا كان حياً سنة (٣٧٦ هـ) .

وجعلت أسأله إلى أن قلت : ما قولك في الصاحب (١) ؟ فجعل يلغنه ، ثم قال : أنه أتنا بذهب لانعرفه .

قلت : وما هو :

قال يقول : معاوية لم يكن مرسلًا .

قلت : وما تقول أنت ؟

قال : أقول كما قال الله تعالى (لا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، (٢ : ٢٨٦) أبو بكر كان مرسلًا ، وعمر كان مرسلًا ، حتى ذكر الأربعة ثم قال : ومعاوية كان مرسلًا قلت : لا تفعل ، أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكًا ، وقال النبي ﷺ : الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ، ثم تكون ملكًا ، فجعل يشنع علي وأصبح يقول للناس : هذا رجل رافضي ، فلو لم أتدارك القافلة لبطشوا بي ، ولهم [أي لأهل أصفهان] في هذا الباب حكايات كثيرة .

ويقول المقدسي أيضاً (٣) : ويغداد غالية يفرطون في حب معاوية .

وهناك نص يفيد بأن أهل الكرخ كانوا من جماعة معاوية وأنصاره ، فقد سب إبراهيم بن رستم معاوية ، فقال له رجل : لم لاتقول هذا بالكرخ ؟ فقال [إبراهيم بن رستم] ولم لاتصلي أنت على محمد - صلى الله عليه وعلى آله - بالقسطنطينية (٤) .

ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم (٤) : كنت يوماً بجامع واسط وإذا

برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه فاذا هو يقول :

(١) أي الصاحب ابن عباد .

(٢) أحسن التقاسيم ص ١٢٦ .

(٣) البصائر لأبي حيان التوحيدي ج ٢ ص ٤٢٠ تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ،

(٤) ص ١٢٦ .

حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ : أن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويفلفه بيده ، ثم يجلوه على الخلق كالعروس ، فقلت له : بماذا ؟ بحاربه عليا ؟ رضي الله عن معاوية وكذبت أنت يا زال . فقال خذوا هذا الرافضي فأقبل الناس عليّ ، فعرفني بعض الكتبة فكرروهم عني .

مثل هذا الاحترام والتقدير عند بعض الناس لمعاوية انتقل إلى ابنه يزيد فكان فيهم من يعتقد مثل هذا أو قريباً منه في يزيد ، وتفيد فتوى الشيخ الإمام أحمد بن تيمية (١) التي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي أن بعضاً من الناس في عصره يعتقد أنه كان صحابياً وبعضاً آخر يعتقد أنه كان نبياً وقد ردّ الشيخ ابن تيمية على هذين القولين وذكر اعتقاد أهل السنة في يزيد راجع (المجلد ٣٨ ص ٤٥٢) من هذه المجلة .

وبعد هذه المقدمة نعود إلى النص الذي أشرنا إليه في أول المقال وهو من طرائف النصوص النادرة .

التعريف بصاحب هذا النص :

هو أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ، ولد بمدينة ميفارقين في شهر شوال وعاش ما بين سني (٥١٠ - ٥٩٠) رحل خلالها إلى مدن الجزيرة والعراق والشام والمجم قابل فيها الخلفاء وأبناء الخلفاء والملوك والولاة والعلماء وكبار رجال الحكم ، وألف تاريخاً لمدينة ميفارقين نقل عنه ياقوت الرومي وابن خلكان وابن شداد في الأعلام الخطيرة .

(١) سؤال في يزيد بن معاوية لشيخ الإسلام ابن تيمية نشره مع جوابه الدكتور صلاح الدين المنجد في المجلد المذكور .

طبع جزء من هذا التاريخ بالقاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م ، وقام بتحقيقه ووضع مقدمة له دكتور بدوي عبد اللطيف عوض ، وهذا النص كما أثبتته الدكتور في هذه المقدمة ص ٤٢ لطرافته وهو :

في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة هجرية كان مؤرخنا في تفليس وأقام بها مدة ، وهناك اتصل بملك الابخاز وصاحب تفليس الملك ديمتري ابن داود ، ثم التحق بخدمته وبقي عنده مدة ، وسار في ولايته ورأى بلاداً وأماكن كثيرة لم تتح لغيره من المؤرخين والكتّاب .

ويسجل لنا ابن الأزرق في تاريخه بعض الحوادث الهامة التي وقعت له مع الملك فيقول ما ملخصه :

بينما كان يسير ذات يوم مع ملك الابخاز إذ وصلا إلى مرج واسع تحت جبل قلعة شامخة ، فتزلا هناك ، وعرفه الملك بأن في هذه القلعة رجالاً غريباً أسيراً من ولاية حلب ، ثم طلب منه أن يصعد إليه في باكورة الفد معتزماً أن يرجو الملك في إطلاق سراحه ، وبينما هو يتأهب للقاء الرجل وقت السحر وصل الخبر إلى الملك أن بعض الولاة قد ثاروا وتمردوا عليه فذعر الملك وارتحل لوقته وارتحل معه ابن الأزرق ولم يقدر له الاجتماع بهذا الرجل .

كما يسجل لنا حكاية طريفة وقعت له مع الملك أيضاً في مدينة الدر بند (١) : في سنة تسع وأربعين وخمس مئة رحل ابن الأزرق إلى مدينة الدر بند ، وفي ذات يوم خرج الملك ديمتري في عسكره وأخذوا يطوفون من جهة إلى

(١) ويسمى العرب أيضاً : الباب والأبواب - أو - باب الأبواب وهي بلدة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر وهي الساحل الوحيد لبلاد الداغستان . انظر معجم ياقوت مادة : باب الأبواب ، در بند ، خنليق ، وترجمة دائرة المعارف الإسلامية مادة : در بند داغستان . م (١١)

أخرى ويتنقلون من موضع إلى آخر في الولاية ، ولما نزلوا في ولاية الدربند ، وهو الدربند خيزران الذي بناه كسرى ، ترك الملك العسكر في مرج (١) تحت الجبل وأتى إليه الأمير أبو المظفر ملك الدربند ، وكان صهره على ابنته ، واستقبله استقبالاً كريماً وحمل إليه من الخدم والضيافة والإقامة .

وبينا الملك وعسكره نازلين في هذا المرج ومعهم ابن الأزرق ، إذا بجماعة يأتون إليهم من ضياعهم ، فعبأ أحدهم إلى ابن الأزرق وتحدث معه بالعربية فعجب لذلك ودار بينها الحديث التالي .

من أين أنت يا فتى؟ ، إني مارأيت بهذه الأرض مستعرباً .

من تلك القرية وأشار إلى قرية على قمة في وسط الجبل .

ومن أين هذا الكلام العربي ؟

إن جميع من في القرية عرب ، ونحن جميعاً نتكلم العربية .

ومتى حلتم في هذا المكان ؟

منذ خمس مئة سنة .

ومن أي العرب أنتم .

نحن من بني أمية ومن كندة ومن قبائل أخرى

وما الذي جاء بكم إلى هذا المكان ؟

لا أعلمك .

ولماذا؟ — إني أرى أنكم من قتلة الحسين الذين انهزموا من وجه

الختار الثقفي وهربوا إلى هذه الجهات .

وكيف تعلم ذلك ؟

من المعلوم والثابت في الكتب أن جماعة من قتلة الحسين انهزموا أمام

الختار إلى الدربند .

ثم انصرف الفتى .

(١) في الأصل : يرج في الجميع ، وما أثبتناه هو ما رجحناه .

ولما مضت تلك الليلة وكان الغد حضر الفتى ومعه جماعة عند ابن الأزرق وتحدثوا ساعة ، وكان فيهم شيخ كبير يسمى محمد بن عمران أخذ ابن الأزرق يسأله عن مقامهم في تلك البلاد ، وكيف استقروا فيها ولم يعودوا إلى بلادهم الأولى ، وكيف احتفظوا بلغتهم العربية إلى هذا الوقت .

فقال هذا الشيخ : إن هذه البلاد أصبحت لنا وطناً ، ويوصي بعضنا بعضاً أن لا نترك العربية مطلقاً .

ونسأؤنا لا تكلم الأطفال إلا بالعربية لكي ينشأوا على اللسان العربي الفصيح .

فقال ابن الأزرق : وكيف أحوالكم هنا ؟

فقال له : في خير ، ما بيننا وبين أحد معاملة ، ولنا هذه الأرض التي مساحتها خمسة فراسخ في مثلها نحرث ونزرع ما نحتاج إليه وما يمارضنا أحد ، وهذا الأمير صاحب الدر بند يحسن إلينا ويوفر علينا مصالحنا وكل من ولي أمر هذه البلاد يحسن إلينا ونكون عنده في أحسن منزلة .

وبعد تلك المحادثة الطريفة أخبر محمد بن عمران الفارقي : أنهم حقاً انهزموا أمام المختار ، ولكنهم لا يعلمون أين صارت تلك الطائفة الأخرى وما هي أخبارهم الآن .

فقال له ابن الأزرق : إن العصابة الأخرى التي تقصدها انهزمت إلى الموصل ، وجبل الجزيرة (١) فأنفذ إليها إبراهيم بن الأشتر النخعي وطاردهم فانهزموا أمامه ، وهربوا إلى ولاية مياقارقين فأرسل إلى محاربتهم عبد الله ابن مساور ، فانهزموا أمامه إلى جبل السناسنة (٢) فوق مياقارقين ، وأقاموا

(١) الظاهر أنه يريد بهذا الجبل جبل سنجان .

(٢) السناسنة قبيلة من الأرمن لها حصون متينة تجاور خلاط (تاريخ مياقارقين ص ٧٥) .

عند ملك سنحاريب ملك السناسة وهم طائفة من الأمويين .
فقال محمد بن عمران : صدقت ، ثم قال له : وهل بقي إلى اليوم من
نسلهم أحد ؟

فقال له ابن الأزرق : نعم .

وحيث أنصرف هؤلاء الجماعة من العرب بعد أن قضوا مع ابن الأزرق
يوماً كاملاً .

وبعد فإن هذا النص لا بدع شكاً لمستريب في أصل الزيدية ، ويجب
أن يعاد النظر في تاريخ الزيدية على ضوء هذا النص النادر الطريف .

دمشق : محمد أحمد وهما



التعريف والنقد

كتاب (الأثيقون)

أو فلسفة الآداب الخلقية

تأليف : ابن العبري

ترجمه عن السريانية الملقان مار غريغوريوس بولس بهنام

عدد الصفحات (٤٤٠) من القطع المتوسط

مطبعة الشباب - القامشلي (سورية)

ما زالت الكنيسة السريانية تبدي نشاطاً كبيراً في إرشاد أبناء الطائفة
والمساهمة في الأعمال الوطنية والمحافظة على التراث السرياني .

ومن المعروف أن آثار العلامة (مارغريغوريوس أبي الفرج ابن
العبري) [سنة ١٢٢٦ - ١٢٨٦ ميلادية] تؤلف جزءاً هاماً من هذا
التراث الثقافي . فهو قد ألف ستة وثلاثين كتاباً في الديانة والفلسفة والطب
واللغة والتاريخ أكثرها بالسريانية وبعضها بالعربية كما ترجم إلى اللغة
السريانية كتاب الإشارات والتنبيهات في الفلسفة ، وقسماً من كتاب القانون
في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا . وقد سبق أن ذكرنا في مجلة مجمع
اللغة العربية^(١) كيف أن المستشرق الانكليزي (بوكوك) نشر النص
العربي لكتابه « تاريخ مختصر الدول » وترجمته إلى اللغة اللاتينية وأثرنا

(١) راجع الجزء الثالث من المجلد (٤٣) صفحة (٥٧٣) .

إلى القول الشائع في أن تسميته بابن العبري يرجع سببها إلى أن أباه كان يهودياً اعتنق المسيحية .

على أن نياقة الملقب (بهنام) ، مطران بغداد والبصرة ، الذي ترجم كتاب (الأثيقون) أو (فلسفة الآداب الخلقية) تأليف ابن العبري إلى العربية ينفي في مقدمة الكتاب هذه النسبة ويقول إن سبب التسمية هو أن أباه (أوجدّه) كان قد نزح من قرية (عبري) ، التي كانت قائمة يوماً على نهر الفرات بقرب مدينة (ملطية) . وفي الوقت نفسه تكرم قداسة بطريرك انطاكية وسائر المشرق فلفت نظرنا إلى هذا الأمر ، وأرشدنا إلى ما كتبه قداسته في العدد ١٦ / السنة الثانية من « المجلة البطريركية » ، يفند الأخطاء التي ارتكبها الأب (بولس مورتد) اليسوعي في ترجمة حياة العلامة ابن العبري في دائرة معارف (فؤاد افرام البستاني) ويرد بالأخص على ترده القول الشائع بين المستشرقين بأن ابن العبري من أصل يهودي . فرأينا من الضروري الإشارة إلى ذلك ...

يبحث كتاب (الأثيقون) ، كما يدل عنوانه اليوناني ، في الأخلاق وآداب السلوك وقد قسمه المؤلف إلى أربع مقالات كبرى تحوي كل منها أبواباً وفصولاً شتى . وموضوع المقالة الأولى هو ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه فيستعرض المؤلف هنا الصلاة وفضيلتها وآثارها ثم أعمال النسك والسهر وقوانين النوم وترتيب الزامير وتأثير الألحان وقوائد الصوم والعزلة والغربة وزيارة الأماكن المقدسة . وتبحث المقالة الثانية في أعمال الحياة الجسدية من طعام وشراب . وزواج شرعي وتربية أطفال وإعطاء الصدقات . وفي المقالة الثالثة يتكلم المؤلف على تنقية النفس من الأهواء الشريرة فيشرح معنى النفس ويبين قواها وخصائصها ثم يتعرض إلى ترويض النفس وإصلاح الماديات وعلاج السراهة واجتناب عثرات اللسان ، والابتعاد عن

الحسد والحقد والغضب وعن الشهوات وحب المال والرياء والكبرياء والخيلاء .
وأخيراً فهو يكرس المقالة الرابعة لموضوع تجميل النفس بالفضائل من علم
وإيمان وتوبة وصبر وشكر وتقوى وزهد وتوكل وصدقة وذكر الله ومحبه
والتفكير في الموت ...

إن طريقة ابن العبري في بحث الموضوعات الأخلاقية تشبه طريقة الإمام
الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين . فهو يستشهد في كل موضوع بأقوال
آباء الكنيسة والقديسين ثم يلجأ إلى التحليل النفسي والبراهين العقلية .
كذلك نلاحظ التشابه مع الإمام الغزالي في تطوره الفكري الذي انتهى به
إلى التصوف (١) فقد تحدث ابن العبري أيضاً في كتابه (الحمامة) عن اجتيازه
مرحلة قاسية من الاضطراب النفسي والتشكيك الى أن أشرفت عليه أنوار
الحقيقة وسار في طريق الصوفية وكيف أنه تأثر في ذلك بآراء ابن سينا
وأمثلة المتصوفين اليونانيين والمسيحيين . وتجلى نزعة ابن العبري الصوفية في
كتاب (الحمامة) وفي عدد من القصائد ثم في أكثر فصول كتاب (الأثيقون)
وعلى الأخص عند البحث في معرفة الله ومحبه والشوق إليه ، وعند
الكلام على مبادئ الزهد والنسك وأساليب الرياضة الروحية لتطهير
القلب ...

وفي الختام لا بد من التنويه بالجهود الصادقة التي بذلها نيافة المطران
(بهنام) في ترجمة كتاب (ابن العبري) النفيس بلغة عربية مشرقة ، واضحة
وسلسة ، كما أنه لا يسعنا إلا لبدء الإعجاب بالمقدمة الشيقة التي صدر
بها الكتاب وتكلم فيها بإسهاب على تصوف ابن العبري .

الدكتور كامل عباد



(١) كما وصف ذلك في كتابه « المقدم من الضلال » .

المعلم رفیق قیریش

حياته - آثاره

عنوان كتاب أهدت إلى مجمعنا نسخة منه - مشكورة - سفارة الجمهورية التركية بدمشق .

أعدت الكتاب - بمناسبة مرور مائة عام على مولد المعلم المشار إليه - أحد أبناء قيريش (فؤاد آرون) أصغر أنجال المرحوم ، وطبع في أنقرة (١٩٦٨) طبعا متقنا . والعنوان على الغلاف الأسود (بحروف سود بارزة) بالحروف التركية الجديدة على رقعة مستطية صفراء ذهبية اللون . عدد صفحاته ٢٤٤ . في أولى صفحاته صورة للربي القدير المرحوم حسين رفیق قيريش أخذت له في استانبول بعد إحالته على التقاعد ، وقد تجاوزت خدمته في التعليم أكثر من نصف قرن تخرّج على يديه إلى الوطن الألوف من النشء المتعلم بالإضافة إلى كثير من الأصدقاء .

كتب (المقدمة) السيد فؤاد نفسه ، برأ بوالده وتخليداً لذكرى أبيه الذي قارب الثمانين من العمر يوم غادر هذا العالم الفاني الى دار البقاء ، تاركاً بعده - إلى الذكر الحسن - مؤلفاته ، وما ترجمه من آثار ، وما نشره وما لم ينشره في عالم المطبوعات ، من المقالات والأشعار أو ما كتبه كمذكرات متناثرة بين أوراقه .

ولا عجب في عمل هذا النجل النبيل وهو الذي أخذ عن أبيه المعلم الحافلة حياته بالتعليم والإرشاد والوعظ - بله حرصه على تعليم أولاده وتهذيبهم وإرشادهم - الرعاية لحقوق الوالدين برأ بهما ، وهو نوع من اتصال عمل المتوفى ،

الكتاب ، قصة حياة واقعية ، مثيرة فيها عظة ؛ حقيق أن تكون مثلاً يحتذى به جيل صاعد راغب في سلك التعليم .

القصة : تسرد بصدق وبساطة حياة معلم جليل القدر ، واسع الصدر ، تلقى صدمات الدهر وعقباته بثبات ورضى ، واجتاز مراحلها بعزم وحزم ، وهو يتنقل في أرجاء الوطن من وظيفة إلى أخرى في التعليم . ولقد أفنى من عمره نصف قرن في التعليم ، فإدارة معاهد علمية من الولايات العثمانية سابقاً منذ سنة (١٨٨٨) [في الشام ، في اللاذقية ، في بغداد ، في كربلاء] فالولايات التركية [سيواس ، وان ، قونية ، استانبول] . قام بوظيفته التعليمية أحسن قيام وخرج منها يوم أُحيل على التقاعد ، ناصح الجبين مرتاح الضمير ، فخوراً بما قدّم للوطن من هذا العدد العديد من الشباب اتعلم ، إلى يوم لفظ أنفاسه الأخيرة مودّعاً هذه الدار الخلابة المظاهر ، بين ليف من أفراد أسرته وأقاربه الأذنين .

وأروع ما في الكتاب وأدعى للتأثر والاعتبار : ما كتبه في آخر أيامه وهو في سرير المرض بعنوان (في فراش المرض) (ص ١٨٣) يخاطب نفسه ، شعراً ونثراً استلهمه عن إيمانه العميق ، وبخطه وتوقيعه (١٥ شباط ١٩٤٥) . وهي قطعة بليغة حقاً ، فيها تتجلى : التقوى والعقيدة المتينة ، والإيمان الصادق الراسخ في قلب مؤمن مخلص لله تعالى . وبها عظة وعبرة لابن آدم هذا المخلوق المعدّ للفناء ، المغرور المتكبر ، على عجزه ، من غير تعقل وتفكير ، الذي تصرعه حمة جرثوم تلقيه في دمه (برغشة) ضئيلة !

أثارت مطالعة الكتاب في الذكرى - والذكرى تشوق - إلى ربوع العاصمة التركية القديمة الجميلة ، المليئة بالأحداث التاريخية الهامة التي لقبها شاعرهم المبدع (توفيق فكرت) بـ (العجوز الفتانة الأرملة البكر) في قصيدته المصاه الرائمة بما اشتملت عليه من حسن الوصف ، والتي رفعته

إلى قمة الشعرية وعنوانها (الضباب (*)) في يوم غشى الضباب الكثيف العاصمة ، أقول أثارت في نفسي الذكرى والحنين إلى العاصمة أستانبول ، القديمة وأكثر ماورد ذكره في الكتاب من أحيائها هو مما تفتحت عيناى منذ طفولتي ، على أرجائها وعشت فيها أعواماً طوالاً .

فمرت أمام عيني مرور الصور على الشاشة السينمائية ، كما مرت المدارس التي تلقيت دروسي الأولى فيها ، والأسواق والطرق التي نجتازها إلى المدرسة (المكتب) ، والحدائق التي كنا ورفاق المدرسة نلعب فيها ، فرحين دون أن ندري ما يخبؤه المستقبل .

وشخصت أمام بصري أشباح المعلمين الأتراك الذين أخذت عنهم بلغتهم ، منذ الطفولة ، من (الابتدائي) و (الرشدي) و (السلطاني) وهم لا يزالون من نفسي في محل الإجلال والإكبار .

ومما يلفت النظر - زيادةً عن كل ماورد عن حياة المعلم المرحوم من جلائل الأعمال تعليماً وإدارةً - ما كان يتحلى به من التقوى والصالح والحرص على أداء الفرائض الدينية ، والنصح والإرشاد .

دخل المعلم رفیق ، سلك التعليم في الدولة العثمانية (سنة ١٨٨٨) بالشام (مركز ولاية سورية آنذاك) معلماً للإملاء ، في مدرسة (الرشدية العسكرية) بعد نجاحه في المسابقة التي أجريت لذلك ، وكان في الشام عمه (حسين أفندي) منفيًا ، نفاه عبد الحميد الثاني ، الذي لم يرق له أن يبقى في أستانبول أحدًا ممن كانت لهم صلة بسراري السلطان مراد الخامس . ووالي ولاية الشام إذ ذاك هو أحمد مدحت باشا .

(*) (ميس) بالتركية : ألهمه إياها ضباب يوم ، كثيف ، غطى العاصمة ، وهو مظل من شرفة بيته العليا في (بك) ، الذي أسماء (آشيان) ومعناه (عش الطير) تشبيهاً منه ، نفسه - وهو الشاعر الصداح - بالطير المفرد من عشه . وبعد الأدباء الأتراك مؤسس مدرسة الشعر الحديث في الأدب العثماني السابق :

وعلى الرغم مما عُرض عليه من الوظائف الملكية الأخرى آثر البقاء في سلك التعليم ، فعلم في الشام ثم في اللاذقية التابعة لولاية بيروت في ذلك العهد ، ثم في مدارس بغداد ، ثم في (سيواس ، وان ، قونية ، استانبول) . ففي بعض منها قام بالتعليم ومعاوناً للمدير ؛ وفي بعض منها كان مديراً . ثم عُيّن مديراً للمعارف ، فمديراً لشعبة الحقوق من دار الفنون . ولطول إقامته في البلاد العربية معلماً ، أتقن اللغة العربية تكلماً وكتابة . كما تعلم اللغتين الفرنسية والفارسية فبلغ فيها درجةً تمكنه من التكلم والكتابة بها .

في الكتاب صور شتى خارج المتن ، عدا الصورة الأولى للمرحوم ، صور تذكارية في أعوام مختلفة . وخريطة لولاية سينوب فيها اسم القرية التي ولد فيها المرحوم (*) .

منها بين الصفحتين (١٦ - ١٧) صورة له حين كان بالشام معاون مدير للإعدادية الملكية سنة (١٨٩٢) ، وصورة أخرى له في المدرسة نفسها مع طلبته وهو يلقي عليهم درساً في الهندسة وتطبيقات المسح (١٨٩٣) . وبين الصفحتين (٤٨ - ٤٩) صورة له وهو ملتحج ، بعد أن عُين مديراً لإعدادية اللاذقية وعاد مأذوناً لدمشق (١٨٩٧) . وبين الصفحتين (٦٤ - ٦٥) صورة له حينما كان مديراً للمعارف ببغداد ، وصورة أخرى بجانبها وهو بالزري البغدادي بالعباءة والمقال (١٩٠٦) . وصور شتى له في مدارس الولايات التركية واستانبول أخيراً .

(*) ولد عام (١٨٦٨) في قرية (گوللي كوي) في ناحية (گرزة) في ولاية سينوب الواقعة على البحر الأسود . وتوفي باستانبول (حي بشكطاش) حزيران ١٩٤٥ ودفن في مقبرة (يحي أفندي) ، في حظيرة الأسرة .

وفي الصفحتين (١٤٦ - ١٤٧) رومٌ لدعاء خطبة الجمعة بالنص العربي وبخط رقمي مشكول ، جميل (يجيد المرحوم الخطين الرقمي والديواني) .
وفي الصفحتين (١٥٦ - ١٥٧) رومٌ قصيدةٍ امرؤ الرصافي بعنوان (سعادة رفيق بك) يوم كان المرحوم مديراً للمعارف في بغداد وكان الرصافي معلماً للعربية (١٩٠٦) بخط رقمي جميل بالحروف العربية [بعد ذلك ترجمة القصيدة إلى التركية بالحروف التركية الجديدة] .

يشكر نجله الفاضل (فؤاد آرون*) لعمله الجيد هذا في تخليد ذكرى والده المربي المناضل تقدمه الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .
وتشكر سفارة الجمهورية التركية بدمشق ، لهديتها لمجمعتنا نسخة من هذا الأثر التاريخي المتعلق بالعلم والتعليم ، لعله يكون مثلاً جميلاً عن حياة طويلة تقضت بشرف وأمانة ، لمن يطالعه من الجيل الصاعد فيقتدي به إذا انخرط في سلك التعليم .

الكواكب

ملاحظة . — لم يرد ذكر قصيدة الرصافي المتعلقة بالمرحوم في ديوان الرصافي المطبوع سنة ١٩٣١ فرأيت من المفيد إثبات نصها هنا خدمة للتاريخ والذكرى .
(ص ١٥٦ - ١٥٧)

(*) ولد السيد فؤاد آرون (سنة ١٩٠٩) في يوم تصيب السلطان رشاد ملكاً على عرش السلطنة ، جد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرشه (ص ٥) .
وهو حالياً مقيم في (يكنيشهر - أنقرة) أمداً الله في عمره وأكثر من أمثاله من الأولاد النجباء البررة الأوفياء .

سعادة رفيق بك

معارفنا منك استنارت بدورها
وقد أصبحت أفلاكها مستديرة
وكان بنوها يشكون انحرافها
سميت إلى تقويمها سمي قادر
محباً لآبائه حوت حجراتها
فكنت لها كالغيث باكر روضة
فأضحت بها الأزهار ربنا نديرة
تنسى عسير من طريق رقيتها
أشار إلى غاياتها بدلالة
له ذل من أرض السياسة صعبا
تأمل في أحكامها بفراصة
فألقت إليه بالأمور واثه
وصارت مقاليد الرياسة رُجماً
إذا ما طربق للنجاح توغرت
وأقلامه في الطرس إن هي أعملت
تلوح بها الأفكار بيضاً وجوها
رأت سعة في الفضل منك وفي النهي
وماجت بنا في بُعد فضلك مثلما
وكم لك آراء حكين كواكباً
أعيدك بالصدق الذي أنت أهله

على حين قد كانت سراراً شهورها
بحسن انتظام حيث أنت مديرها
فما جئت إلا واستقامت أمورها
بسورة عزمٍ يستحيل فتورها
رفيقاً بأبناء تضم حجورها
ذوت لانتقاطع النيث عنها زهورها
تنسى على الأغصان فيها طيورها
ولولا رفيق ما تنسى عسيرها
فياجذا الغايات وهو مشيرها
فلو شاء لانت في يديه صخورها
فبانت له أعجازها وصدورها
جدير بأن تلقى إليه أمورها
إليه ألا نعم المصير مصيرها
وسار بها عادت سهولاً وعورها
يروع قلوب المنشئين صريرها
إذا انتظمت في الصحف سوداً سطورها
أمانيتنا حتى استطال قصيرها
بموج بأبعاد الفضاء أنيرها
يشق عمى الأبصار بالحق نورها
من القوم إن القوم يخدع زورها

فديتك إن القوم صالية الحشا بنيران حقد لا ييوخ سميها
فكم سلكوا بي في مفاوزَ للقبلي عليّ تلتظي بالعيداء هجيرها
فله أشكو ثم لله معسراً يُضام بتضييع الحقوق عشيرها
ولستُ بأحداث الليالي مبالياً أهبت صباها رخوةً أم دبورها
أدامك ربّ الناس للناس ناصراً إذا عزّ في دار الهوان نصيرها

بغداد في ٣ مارت سنة ٣٢٢ الداعي

معروف الرصافي

[٣ مارت سنة ٣٢٢ توافق سنة ١٩٠٦ م]



نظرة في معجم

(الطحانة والخبازة والقرانة)

أعدّه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي
بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
بالدار البيضاء — المغرب

في علم الآليات والحركات (الميكانيك) مبدأً يقول (الحركة الدائمة في الطبيعة شيء مستحيل) . . . على أن ما يبدو في (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) في العالم العربي ، في الرباط - المغرب ، يكاد يجعلني أقول (إن الحركة الدائمة) ليست بشيء مستحيل . وها هو ذا المكتب يحقق هذه الحركة المباركة المستمرة بما يقوم به من جليل الأعمال بنشاط نادر المثال ، واتصال دائم مع سائر الأقطار العربية العلمية ليُخرج للناس أحسن ما عمل من ثمرات جهود جبارة تذكر فتشكر . أليس كل هذا (حركة دائمة) دون انقطاع ؟ !

إن ما أخذته على عاتقه هذا المكتب الفذ من عمل ضخيم وشاق وما بذله وبذله في هذه السبيل من تضحيات مادة ومعنى لجدير بالإعجاب والإكبار .

لقد أخرج (المكتب) أخيراً (معجم الطحانة والخبازة والفرانة) وصلت إليّ منه نسخة مطبوعة على الطابعة ، إعداداً للطبعة النهائية بالمطبعة ، وهي حاوية من المصطلحات الجديدة الجديرة بكل تقدير لمن عمل على وضعها وانتقائها من بين ما وُضع لها ، ورتبها فأحسن ترتيبها ، ونسّقها فأجاد تنسيقها الملائم للغرض (وعددها ٤٨٩ كلمة) بمدّ المشاهدة رأي العين لأجزاء مختلف الآلات والأجهزة في أكبر مطحنة في المغرب وأرقاها وأكملها تجهيزات ، في زيارة دراسية لمطاحننا ، تحقيقاً وتدقيقاً وتفهماً للغرض الذي ابتكرت له ، لتأتي مصطلحات هذه المهنة متوافقة مع مدلولها ، وهي المهنة التي تتوقف عليها أسباب الحياة وأعني الأغذية وعلى رأسها الخنطة فالدقيق ، من طحن ونخل ونخب وعجن وخبز . وهذا حقاً عمل منطقي طريف منطبق على الواقع المشاهد عياناً ، تهنئاً عليه اللجنة .

هذا وقبلاً ، أخرج هذا المكتب (الديناميكي) معاجم في مختلف الشؤون والعلم والفن . فالشكر والتقدير لنشاط أركانه ولمن يتولون إدارته ويسهمون في أعماله بنيرة وحماس عجيبين .

وإذ قد رغبت لجنة المكتب إلى المطالع إبداء رأيه وملاحظته حول ما ورد في المعجم من المصطلحات رأيتُ - تلبيةً لهذه الرغبة - أن أذكر على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي مما وجدت فيه ما يلاحظ عليه من المصطلحات ، خدمةً للمعجم نفسه ، فمسي أن تنظر إليها اللجنة بعين الرضى . وفقنا الله جميعاً لما فيه مصلحة لفتنا الحبيبة إلى قلوبنا ، من ناحيتي العلم والفن ، وهدانا للصواب .

وإيكم الآن الملاحظات :

الصفحة	الرقم
٢	٧
٢	٨
٣	١٣
٤	١٧
٤	٢١
٤	٢٣
٥	٢٥
٥	٢٦
٦	٣٣
٧	٣٩
٩	٥١
٩	٥٢
١٠	٥٤
١١	٥٥

م (١٢)

الصفحة	الرقم	
١٣	٧٥	الجمجمة : Bruit de Moulin كما وردت في معجم كليرفيل الفرنسي (انظر النسخة الفرنسية العربية) .
١٣	٧٦	المِدْوَك Pilon d'agate تخصيصاً .
١٥	٨٤	الفَصَّالَة لما يقابل Séparateur أصلح .
١٩	١٠٥	المُفَرَّجِيَّة Brosse à blé الآلة التي تعمل عمل الفرجون .
٢٣	١٢٢	الدِّمُوك ، صفة* . فالأصلح أن يقال (رحي' دموك) كما وردت في القاموس .
٢٤	١٣١	المِسْحَلَة أو المِسْلَخَة ، بالخاء . فيجب تصحيح الخطأ الطبعي .
٢٥	١٣٢	المِخْلَطَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) التي جرت عليها مصلحة التعريب .
٢٥	١٣٣	أليس الأصلح : (مَبْلَغ الاستخلاص) فقد ورد في الرقم ١٤٩ : استخلاص مقابل Extraction .
٢٥	١٣٣	مكرر و (الجاروشة Moulin à bras) .
٢٨	١٤٤	Bluterie : مَنَحَلَة وزان مَفْعَلَة للمكان ، والمعجم الفرنسية لم تذكر استعمال bluterie اسماً لما يُنخل به !
٢٩	١٥٢	مَبْلَغ (السفسفة) مقابل taux مثلما ورد في الرقم ١٣٣ .
٣٢	١٦٢	Silo : هو الكُنْدُوج تخصيصاً . أما (المُرِّي) فهو (بيت يجمع فيه طعام السلطان) كما في القاموس .
٣٣	١٦٨	المِكْيَسَة (اتباعاً لوزن مِفْعَلَة) ؛ أو (مَكْيَسَة ، على التفعيل ، كما ورد الفعل نفسه في الرقم ١٦٩ .
٣٤	١٧٤	Treuil هو المَنَجَنون ، والمَنَجَنين .

الصفحة	الرقم	
٣٥	١٧٨	Etiquette : يَفْتَجُّ (عَرَبَتُهَا عن التركية يَافِتُّه) كما (وردت في مصطلحاتي العلمية - طبعة ثامنة ١٩٥٩) والاشتقاق منها سهل . أليست هذه أصلح من (البطاقة) التي هي (الرُقْمَة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت كذلك لأنها تُشَدُّ بِطَاقَةٍ من هُدْبِ الثوب ؟! - القاموس) .
٣٥	١٧٩	Etiquetage : يَفْتَجَّة .
		[يَفْتَجُّ étiqueter ؛ مِيَفْتَجُّ étiqueté الخ] .
٣٥	١٨٠	المُقَطُّ (وهو الخيط الذي يُصطاد به الطيور) أصلح من اللِقَاط ، بكسر الميم ، فهو الجبل يُشَدُّ به .
٣٦	١٨٦	الباضعة الرَّدْفُ أو الرَّدِيفَة (بدلاً من : المدبورة) . وفي الشرح : باضعة تردفها ، كنصر ، أو تردفها من أردف) . كل هذا من (الرَدْفُ كالرديف وهو الراكب خلف الراكب ، كما في القاموس) .
٣٧	١٨٧	الباضعة المردوفة أو المُرْدِفة تميزاً لها من الرقم ١٨٦ .
٣٧	١٩٠	لعل الأصلح (اليدْرَعة ، وهي الثوب يُتمدرج أي يلبس) ، بدلاً من (الميدعة كاليدع ، المكان الذي يُصان فيه الثياب وهو الصَّوَانُ Garde · robe) .
٣٩	٢٠١	فوق أكسيد الآزوت (بدلاً من بيروكسيد الآزوت) .
٤١	٢٠٦	Issues : مُقَايَات (ومثلها Déchets) كذلك .
٤٢	٢١١	ومثلها (الخُشَالَة ، بالشين) كذلك .
٤٦	٢٥٥	Moississures هو : (العَقْن ، المفنات) كما ورد في معجم كليفييل (انظر النسخة الفرنسية العربية) .

الصفحة	الرقم	
٤٨	٢٣٦	Ergot هو (أرغوت ، تعريباً) [وميهاز الجودار : ergot de Seigle كما وضعته لجنة المصطلحات الطبية ، انظر النسخة الفرنسية العربية - معجم كليرفيل] .
٥٠	٢٥٠	وكذا (ناشطة) بمعنى .
٥٠	٢٥١	وكذا (نشوظ) بالمعنى نفسه وهو نبات الشيء من أرومته أول ما يبدو حين يصدع الأرض .
٦٨	٣٤٣	يكنفى بكلمة (الميرقاق) . و (الشوبق ، معرب مشهور) وتترك الباقيات لما يجد من آلات التريق .
٧٥	٣٧٥	المخمر ، على اسم المكان ، من الثلاثي وهو ترك العجين حتى يجود .
٨١	٤١٢	الفنمة [بدلاً من (الملاط) الذي له معان شتى] من الفنم والتفانم .
٨٢	٤١٤	(التحميم بحام ماري) باضافة حمام ماري ، تخصيصاً باسم مبتكرة الطريقة والجهاز المسمى باسمها .
٨٣	٤١٦	خبز فطير هو بالفرنسية : Pain azyme .
٨٤	٤٢٨	الميرتنة تقابل Tartine .
٨٤	٤٢٩	الخبز المقمّر (والكلمة مشهورة) وأحسبها من (القمرة) وهي البيض فيه كدرة . فهي أصلح من (المشوي) . فالخبز لا يشوي بل يجعل على النار لتلوه كدرة ، وهو نوع من التحميص .
٨٥	٤٣٤	Biscottes هو البقسماط أو الخشكان (من الفارسية) على ما أذكر .

الصفحة	الرقم	التعريف والنقد
٩١	٤٧٢	الأصلح (صَمَّغَ ، بَلِّمَ) بدلاً من (صَبَّغَ ، بَالَّأ) إذ ليس هنا صَبَّغَ بصباغٍ ما . إنما هو (تَلْمِيع) والصمغ تَمَّاع مَلْمِيع .
٩٢	٤٧٧	مُهَلِّمَةٌ Gelée ، من الهَلِّامة gel [وهذه من الهَلِّام . والاشتقاق منها وفيه : géification تَهْلِيم ، se géifier تَهْلِيم] بدلاً من (مُجَعَّدَةٌ) .
٩٢	٤٧٨	مُرَائَةٌ ، بدلاً من (خَيْصَةٌ : empoi) .

السكواكبي



مدينة دمشق

عند الجغرافيين والرحالين المسلمين
وضعه الدكتور صلاح الدين المنجد

استشهد المؤلف في تضاعيف كلامه بقول البحري :
أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفي مطربها بما وعدا
يشي السحاب على أجيالها فرقا ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا وادياً خضراً أو يانماً خضياً أو طائرأ غردا
نعم ! هذه دمشق الفناء ، وهذا كتاب ابنها البار الصلاح المنجد فيها ،
نأى عنها غير مختار ، فما خفف البعاد شيئاً من تعلقه بها ، وصبوته إليها .
كان من بضع هذا الهيام بها ، والحنين إليها ، أن بلغ ما أخرجه من
كتب تتعلق بها ، وتتصل بتاريخها وأحداثها ، ثلاثين كتاباً ، كان آخرها
هذا الكتاب الذي نتحدث عنه : «مدينة دمشق» ضم بين دفتيه (طائفة

كبيرة من النصوص التي وردت في تواريخ الجغرافيين الرحّالين والعلماء الذين وردوا إلى دمشق وكانوا غرباء عنها : من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري) جمعها من عشرات الكتب من مطبوع ومخطوط .

بلغ من نقل عنهم أربعين شيخاً : من عالم ومؤرخ وأديب . يبدأ بخلاصة عن حياة كل منهم : مولده ، ونشأته ، ومسار ما يعرف عنه مما وصل من خبره إليه . ثم يعقب على ذلك بما كتبه هذا الشيخ عن دمشق من ثمر وشعر .

ومن يبدأ بهذا الكتاب لا يملك نفسه أن يتركه قبل أن ينتهي إلى آخر صفحة منه .

تقرأ في هذا الكتاب الممتع المفيد من طرائف ولطائف تبدي لك عن محاسن هذه المدينة ، وعمما فيها من عادات وأعراف ، وعمما لاقته في حياتها الطويلة - وهي من أقدم مدن العالم إن لم نقل أقدمهن على الإطلاق - من رفعة وعزة ، وضعة وذلة ، واستقلال واستنهاد ، وما فيها من معاهد ومدارس ، ومن جوامع وكنائس ، ومن ضياع ورباع ، ومن متاجر ومصانع ، ومن أسواق وحمّامات ومن وقوفات ورباطات ، وما م عليه أهلها من لطف ولين .

وهذه المحاسن والحمد على شهرتها وشهرة أهلها بها ، لا تمنعه أن ينشر إلى جانب هذا المدح والثناء الحق ، ما قاله بعضهم في ذمها وتفضيل غيرها عليها .

فمن العادات المستحبة التي يذكرها عن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء والقضاة والخبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار وكبار السوق فعل مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبادية

فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدم وفي مسجد ، ويأتي كل واحد بما عنده فيفطرون جميعاً ، (١)

أدركنا ذلك في عهدنا يوم كان الرئيس محمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية يدعو إلى مائدته في رمضان الوزارات على التعاقب : وزارة وزارة : وزيرها ورؤساءها وأركانها ثم المتقاعدين والمحامين والوجوه والأعيان ثم أرباب المتاجر والمصانع بحيث لا تخلو مائدته في ليالي رمضان من عشرين إلى ثلاثين مدعواً .

جرى في هذا على سنة دمشق وعلى طريقة وزراء الدولة في الآستانة ، - وكان منهم - ثم هو يودع أضيافه على باب داره بكل ما أوتيته من لطف وتواضع .

وتبين هذه الأخلاق الدمشقية في ناحية ثانية من نواحي الآداب الاجتماعية . فأت قل أن تعرف صديقاً رفضته الأقدار إلى منصب لم يكن ليحلم به إلا شمع بأنفه ، وتعالى عمن كان يعرفهم ، ونجد الدمشقي وقد بلغ أسمى المراكز - رئاسة الجمهورية مثلاً - لا يزال على كثير من الوضع الذي كان عليه من قبل ، ويظل في كثير من مجالسه على ما كان عليه من ظرف ولطف ونكته .

(١) وحافظت دمشق على عاداتها هذه فكان وجوهها وأعيانها يدعون في جملة من يدعوهم إلى إفطار رمضان كبار الحكومة . وما كنت أحب هذه الدعوة لرجال القضاء . وكان يزعمني أن أرام جماعة جماعة في سوق الأروام ينتظر بعضهم بعضاً حتى إذا تكامل عددهم ذهبوا إلى حيث هم مدعوون . فطلبت إليهم أن يمتنعوا عن قبول هذه الدعوات فقد تجر إلى الخروج ، أو الاتهام بالخروج عما يتطلبه القضاء من تجرد وحياد . ففعلوا . فارتاحوا وأراحوا (ع)

هذه خطرات رأيت أن أشير إليها ونحن في الحديث عن مدينة كتب لي أن أعيش فيها قرابة أربعين سنة فلا عجب أن يولع بها أبناءها والمقيمون فيها ، وأن يمثلهم الأستاذ الصلاح في هذه الكتب المتممة .

وإذا كان كتاب « مدينة دمشق » قد جمع ما قيل في دمشق من قبل ، فلا بد أن يضاف إلى ذلك ما كان في هذه المدينة الجبارة من وطنية صادقة ، حمل السلطات الأجنبية في كثير من الأحيان أن تحنو أمامها رأسها . بدأت الحركة العزبية في بيروت : أدباً وسياسةً وحديثاً . والأدب فيها غاب على السياسة والعمل . فانتقلت إلى دمشق سياسة وأدباً وعملاً . والسياسة والعمل غالبان فيها على الأدب . كان يقع لهذه المدينة أن تضرب عن الأعمال إضراباً عاماً شاملاً ، يبلغ في بعض الحالات أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ، لا يخيفها تهديد ولا وعيد . وقضت في جهادها ربع قرن حتى جلا المستعمر عنها كما جلا عنها غيرهم من المستعمرين من قبل .

وبعد ، فإن لدمشق أن تفخر بصلاح الدين المنجد كما له أن يفخر بها ، مقيماً بها أو نازحاً عنها ، أحسن الله إليه قدر ما أحسن في كتابه هذا إلى وطنه وإلى العلم والأدب .

و (مدينة دمشق) طبع طبعاً متقناً على ورق صقيل ، مبوب أحسن توبيب ، وله فهارس قيّمة تعين على الرجوع إلى بحوثه وموضوعاته .

وقد وقع بعض أخطاء مطبعية كان الحق أن يستدركها المؤلف كما استدرك غيرها ، من ذلك ما جاء في الصفحة ٢٩٧ في بيتين لابن نباته :

دمشق في أرجائها مواضع يصبو إليها ناظر وسامع
ربوعها وقصرها والجامع فهي ثلاثة ما لهن رابع

والصواب : ثلاث ليستقيم الوزن .

وفي الصفحة ٣٠٨

باكر إلى قهوة مسكية فضحت ذكرى المدام وشتف لي الفناجينا
تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا
ولو أن ألف امريء طافوا بحاناتها قصد النجاة رأيت الألف فاجينا
وهذه الواو في البيت الأخير من خطأ الطبع لا يستقيم الوزن
إلا بحذفها .

السكري



الملكة زنوبيا

مسرحة شعرية للأستاذ عدنان مردم بك

يُخرج الأستاذ عدنان ، مسرحيات شعرية يُوفق في موضوعها
وفي أسلوبها .
وآخر هذه المسرحيات « الملكة زنوبيا » جعلها أربعة فصول ، وأهداها
إلى موطن البطولات ، ومهد الحضارات ، المدينة الخالدة : « دمشق » .
وقدم لها بتوطئة موجزة في تاريخ « زنوبيا » وذكر أن السبب الذي
حمله على وضع هذه المسرحية ، زيارة سبقت له إلى تدمر برفقة والده
العلامة الفقيه خليل مردم : رئيس المجمع العلمي الأسبق رحمه الله .
والمسرحيات الشعرية العربية قليلة . وقليل من وفق فيها ، حاشى شوقي .
وقد يكون الشيخ خليل اليازجي أول من فتح هذا الباب بروايته :
« المروءة والوفاء » . ثم جرى على خطاه ابن أخيه السيد نجيب الحداد
في روايته : « صلاح الدين » .

والصعوبة في المسرحيات الشعرية : أن الشاعر في موضوعه وفي أسلوبه

مقيد غير طليق ، على حين أن الشاعر في غير المسرحية طليق غير مقيد ، يذهب في قوله كل مذهب .

وفي رواية زنوبيا من المواقف الشعرية الموقفة ما يسيل رقة وعدوبة : لفظ فصيح في معنى صحيح ، من ذلك قوله :

الغرب في كل عصر للشرق مصدر شر
شرق وغرب لعمرى الضدان في كل أمر

ولعله لو قال « ضدان في كل أمر » لكان القول أكثر انسجاماً .
ومن مستجاد قوله :

الناس في كل العصور هم الضواري الكاسرة (١)
خضبوا الأكف بما أسالوا من دماء طاهرة
ومضوا يميثون الفساد قياصراً وأكاسرة
ومن الآيات السائفة :

إن بؤس النفس لو أنصفت من سوء السريرة
والعمى في الناس أصناف وألوان كثيرة
وأشدّ الداء خطباً حيناً تعمى البصيرة
خطأ أن تصف النور إلى عين ضريبة

وأمثال هذه الآيات الموقفة كثيرة .

وفي الرواية بعض ماخذ لا بد للمؤلف أن يتداركها في طبعة جديدة إن شاء الله .

والشكر للأستاذ عدنان على هذه الروائع التي يخرجها لقومه ، وهم بحاجة إليها وإلى أمثالها أسلوباً وموضوعاً .

ع . ن . ع



(١) ولنا نرى رأي من يخطئ نت الضواري بالكاسرة . وبحصر « الكواسر »
بجوارح الطيور .

كتاب الهفوات النادرة

تأليف

غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي* المتوفى سنة ٤٨٠

حقيقه وعلق عليه وقدم له

الدكتور صالح الأشر

هذا سفر نادر من أسفار الثقافة العربية ، ذو موضوع طريف في الأدب والتاريخ . اضطلع بتحقيقه أخي الدكتور صالح الأشر ، وطبعه في سلسلة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ . وقد قدم له بمقدمة طويلة جيدة ، عرّف فيها بالمؤلف ، ودرس الكتاب في موضوعه وأسلوبه وقيمه ، ووصف أصوله المخطوطة ، وشرح طريقته التي اتبعها في التحقيق . خرج الكتاب من يدي الدكتور صالح مصححاً منقحاً ، يفرى الناس بقرائه ، ويجتذب الباحثين إلى النظر فيه ، والإفادة منه في الأدب والتاريخ واللغة ، ولا سيما اللغة الحضارية واللغة الدارجة في بغداد إبان العصور العباسية إلى زمن المؤلف .

أضاف الدكتور صالح إلى الكتاب حواشي وتعليقات جيدة مفيدة في شرح الكتاب وضبطه ، وردّ نصوصه إلى أصولها ، والإشارة إلى وجودها في مصادر أخرى ، والتعريف بالأعلام والشعراء والرواة الذين وردت أسماءهم في متن الكتاب . وكل هذا ينير الكتاب ، ويوضحه . على أن من هذه الحواشي ما لا فائدة كبيرة ترجى منه ، مثل الإشارة إلى بحور أبيات الشعر الواردة في الكتاب . وهي كثيرة نكاد نجدتها في كل صفحة . وهذا مع أن المحقق الكريم قد ذكر بحور هذه الأبيات في فهرس القوافي . فكان له في ذلك معدى ومعدل عن ذكرها في حواشي الكتاب .

وألحق بالكتاب فهارس عديدة مفيدة أيضاً . والفهارس مفاتيح ذهبية يصوغها المحقق ، ويضعها في أيدي الباحثين والدارسين ، ليصلوا بها إلى المعلومات والأفكار المكنوزة في طيات الكتاب . على أن الدكتور صالح كلف نفسه فوق ما يلزم ، حين صنع (فهرس محتويات الكتاب) . فقد أجاز لنفسه أن يضع لكل خبر في الكتاب عنواناً يدل عليه ، وحشر هذه العنوانات في فهرس طويل شغل ما يقرب من ثلاثين صفحة . وهذا لا يفيد أحداً من القراء ، بله الباحثين والدارسين . وفي الفهارس الأخرى ، ولا سيما فهرس الأعلام ، غنى عنه .

* * *

جود الدكتور صالح تحقيق الكتاب وضبطه كما ذكرنا آنفاً . ولكن شاب عمله الجيد هنات معدودة ، و لا تعدم الحسنة ذاماً ، كما يقول المثل العربي القديم . وسوف نورد هاهنا أمثلة من هذه الهنات طمعاً بالزيادة في نقاء الكتاب وصحته .

قال الدكتور صالح في الصفحة ٥١ من مقدمته : « وقد ترجمنا لعدد كبير من الأعلام الواردة في الأخبار ، وعدد ضخم من الرواة الذين وردت أسماؤهم في أسانيد الأخبار . وأتبعنا كل ترجمة بذكر المصادر التي تترجم لصاحبها ، . ولكنه في الواقع ترجم لبعض الأعلام ، وأهمل بعضهم . ولم نعرف خطئه في ذلك ، ولم يذكر سبباً نعرفه .

ففي الصفحة ٩ من الكتاب ورد ذكر المدائني المؤرخ الراوية المشهور ، وعيسى بن موسى الباسي . فترجم المحقق للثاني منها ، وأهمل الأول ، فلم يترجم له مع أنه أحال على كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته له لي بن عيسى . والمدائني مترجم له في الأعلام أيضاً (١٤٠/٥) .

وفي الصفحة ١٠ من الكتاب ورد ذكر إبراهيم بن المهدي وطاهر بن الحسين . فترجم المحقق للثاني منها ، وأحال على كتاب الأعلام . وترك الأول ولم يترجم له ، وهو مذكور في الأعلام كذلك (٥٦ / ١ - ٥٦) . ومثل هذا كثيراً جداً في الكتاب .

وقد أحال الدكتور صالح في معظم التراجم التي أوردتها إلى كتاب الأعلام . وهو لمعري كتاب جيد في بابه . ولكنه ليس من المصادر الأولى ، لأنه كتاب حديث ، يأخذ عن المصادر القديمة في تراجم الأعلام القدامى . والأولى الرجوع إلى المصادر القديمة في الأول ، ثم الكتب الحديثة . فهذا أجدى وأقوم .

* * *

إن معظم الهفوات في الكتاب واضحة ، بينة المعنى والنكته . إلا أن عدداً منها لا يستبين معناه ، ولا يدرك موضع الهفوة والنكته فيه إلا بالشرح والبيان ، بسبب اختلاف البيئة ، وتغير الظروف الاجتماعية والتاريخية ، وتطور مدلول الكلمات وغير ذلك من الأمور . ومن الأجدى شرح مثل هذه الهفوات ، وبيان مواضع النكته فيها .

مثال ذلك الهفوة ٤٣ في الصفحة ٤٧ من الكتاب . فقد سأل أبو إسحق أبا سمد : « هذا الصبي ولد له ؟ » أي ولد الخادم . فأجاب أبو سمد : « ياميدنا ، خادم لا يكون له ولد ! » . وهذا السؤال هو موضع الهفوة ، والجواب موضع النكته . ويتقضي الخبر من غير إيضاح من المؤلف ، أو شرح وتعليق من المحقق . ويتساءل القارئ العادي ، وربما خاصة القراء : ولماذا لا يكون للخادم ولد ! ولا يعرف السر في ذلك . والسر أن كلمة الخادم صارت تطلق في المصور العباسية ، ولا سيما في بغداد ، على

الخصي من الخدم دون غيرهم . بل مُخَصَّت بهذا المعنى ، وصارت مرادفة لكلمة الخصي . ولا نجد هذا في معجمات اللغة ، وإنما نعرفه من كتب الأدب والتاريخ بالاستقراء .

ومثل هذا ما جاء في الهفوة ٣١٠ ، في الصفحة ٣١٢ من الكتاب :
« كان علي بن خلف النيرماني ينشد دائماً :

فميناك عينها ، وجيدك جيدها ولكن أخلاق الرجال تضيق ، .

وقال المحقق الكريم في الحاشية (٢) تمليقاً على هذا : « شطران من الطويل ، . وقوله هذا صحيح ، ولكنه لا يعني ، ولا يعني شيئاً .
والشطر الأول من هذين الشطرين صدر بيت معروف لمجنون بني عامر قيس بن معاذ العامري ، من شعر له ، وكان وقع في شراكه ظبية ، فأطلقها وقال :

أيا شبة ليلى ، لا تراعي ، فإني	لك اليوم من وحشية لسديق
ويا شبة ليلى ، لا ترالي بروضة	عليك حساب دائم وبروق
أقول ، وقد أطلقها من وثاقها :	لأنت ليلى ، ما حيت ، طليق
فميناك عينها وجيدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق

(انظر لسان العرب : روع) .

والشطر الثاني من الشطرين عجز بيت لعمرو بن الأهم المنقري ، من قصيدة له مفضلية مشهورة (انظر المفضليات ١٢٥ - ١٢٧ ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤) . وتغام البيت مع البيت الذي قبله :

وكل كريم يتقي الدم بالقرى	وللخير بين الصالحين طريق
لمعرك ما ضاقت بلاد بأهلها	ولكن أخلاق الرجال تضيق

* * *

في الصفحة ٥٨ السطر ١١ - ١٢ :

« وتقلني من الرئاسة والميالة . وهي المنزلة الزرية والرتبة الدنيصة . ولا يستقيم معنى الكلام بهذه الصورة . لأن منزلة الرئاسة والميالة ليست بزرية ، ولا رتبها برتبة دنية . إنما المنزلة الزرية ذات الرتبة الدنية هي منزلة اللب بالشرنج . فبين الجملتين سقط لم يشر إليه المحقق ، كما ترى . وفي بقية الخبر دليل على ذلك .

في الحاشية (٤) في الصفحة ٦٥ :

قال المحقق تعليقا على جملة « ويزهزه أفاظه » : « ولم نجد في المعاجم (زهزه أفاظه) بمعنى أن يقول . زِهْ زِهْ ، استحساناً عند سماع كل لفظة ، لكن ذلك هو ما يتطلبه المعنى هنا . ونقول : جاء في كتاب (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي ص ١٠٠ : « زهزهة : بمعنى تحسين ، مولدة من قول الفرس : زهي زهي » .

في الصفحة ٧٤ السطر ٧ - ٨ :

« وقيل : خرج عبد الملك بن مروان يوماً قاراً ، وعليه جباب خز متظاهرة ، على علي بن عبد الله بن العباس » .
قوله « قاراً » ها هنا تصحيف . والصواب : « ماراً ... على علي بن عبد الله بن العباس » . وقد خيل إليّ في بادئ الأمر أن هذا من الغلط المطبعي . ثم نظرت فإذا المحقق الكريم ثبت « قاراً » عن اختيار . ويعتبر « قاراً » الواردة في نسختي (أ) و (ح) تصحيفاً ، كما في الحاشية (٤) .

في الصفحة ٩٤ السطر ٨ :

« واتفق لي ، وهي تحدثني بذلك ، أن موسى وراء الباب » . في هذا القول غلط لم يصححه المحقق . والصواب : واتفق لي وهو يحدثني بذلك ... لأن الحديث كان بين جد القنائي وبين داود بن الجراح في منزل موسى ابن عبد الملك . وفي أول الخبر وبقية دليل على ذلك .

في الصفحة ١٣٢ السطر ١١ :

« وجلت اليانية تمض على شفاهها ، تظن أن قد هربت » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « ب : هويت » . وما في نسخة (ب) هو الصحيح . و (هربت) لا معنى لها هاهنا . و (هويت) معناها : هلكت ، وهو المقصود هاهنا .

في الصفحة ١٧٧ السطر ١٣ :

« ويحقق الأمر عنده كون الرجل وحده ... » . وفي الحاشية (٥) في ذيل الصفحة ما يشعر أن (يحقق) زيادة من نسخة (ب) ، وأنه كان فيها : « وتحقيق الأمر عنده لكون ... » . وما جاء في نسخة (ب) صحيح لا بأس به ، ولا زى وجهاً لتغييره كما صنع المحقق .

في الصفحة ١٧٨ السطر ٨ - ٩ :

« قسم الله أجله وتبر عمره » . وفي الحاشية (٣) في ذيل الصفحة : « تبره : أهلكه » . وفي ب : « بتر » . و (بتر) الواردة في نسخة (ب) ، وهي بمعنى قطع ، أصح وأجود هاهنا من (تبر) التي اختارها المحقق ، وأكثر انسجاماً مع (قسم) .

في الصفحة ٢١٥ السطر ٥ :

« وحدث عن ابن الزنقيلي ... » . وفي الحاشية (٥) : « ع : الزنقيلي » . وفيها تصحيف تصحيحه : الزنقيلي ، أو الزنقيلي نسبة إلى الزنقيلية أو الزنقيلة ، وهي فارسية معربة أصلها زَنْبِيلَه ، أي الزنبيل كما تقول العامة . (انظر نوادر أبي مسهل ٣٢٧ ، والمغرب ١٧٠) .

في الصفحة ٢٧٩ السطر ٢ :

« كان إسماعيل بن بلبل الوزير يفاوض المعتمد بالله في أمر ... » . الصواب : « المعتمد على الله » . وقد كانت في الأصل « المتضد بالله » .

فصوب المحقق كلمة (المعتضد) كما ذكر في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة ، ونسي تصويب كلمة (باقة) .

في الصفحة ٢٨٧ السطر ١٤ - ١٥ :

« وإنما يبقى لرب الضيعة صابة كصابة الإناء ، ووجه كوجه المرقوب » .
وقال المحقق في الحاشية (٦) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة (كوجه) :
« في الأصول : نخة ، ولعلها بحة ، ويقال : لم يبق في الإناء إلا بحة » .
وما جاء في الأصول هو الصحيح . وأصل هذا القول مثل من أمثال العرب معروف . جاء في لسان العرب (عرقب) : « وفي المثل : الشر ألبأ إلى منح المرقوب . وقالوا : شر ما أجهك إلى نخة عرقوب . يضرب هذا عند طلبك إلى اللثيم ، أعطاك أم منمك » . وانظر أيضا بجمع الأمثال ٣٥٨/١ ، وفيه : « والمعنى : ما أجهك إليها إلا شر ، أي فقر وفاقة . وذلك أن المرقوب لا منح له ، وإنما يُحَوَّج إليه من لا يقدر على شيء » .

في الصفحة ٢٩١ السطر ١ - ٢ :

« ولا أزال على حالي حتى تأخذه يبعاً صحيحاً ، لا شرط فيه ولا خيار ولا مثنوية » . وقال المحقق في الحاشية (٢) في ذيل الصفحة تعليقا على كلمة (مثنوية) : « كذا في الأصول » . وقوله هذا ينيء بشكه في صحة هذه الكلمة . ولا داعي إلى هذا الشك ، لأن سياق الكلام صحيح ، والمعنى مستقيم . ومعنى قوله « ولا مثنوية » : أي لا رد في هذا البيع (لسان العرب : ثني) . ومنه بيت النابغة الذبياني في قصيدته البائية في مدح عمرو بن الحارث النساني المعروف بالأعرج :

حلفتُ ميثماً غيرَ ذي مثنوية ولا علمٍ إلا حسنُ ظنِّ بصاحبِ

* * *

هذا وهناك أشياء أخر في الكتاب أقل شأنًا مما ذكرنا آنفًا ، أعرضنا عن الإشارة إليها ، لأنها هنات صغيرة تدرك بأقل نظر .

الدكتور حمزة حسن

م (١٣)

آراء وأنباء

تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي (١)

كانت الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٨ م موعداً لجلسة مجلس المجمع العلنية التي دعا اليها الدكتور طه حسين رئيس المجمع لتأبين المغفور له الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقد توفي في ١٤ من مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ م .

وقيل الموعد المحدد أقبل على دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، وهي المكان الذي تقرر عقد الجلسة فيه ، جملة من أساتذة الجامعات والعلماء والأدباء وأبناء الجمهورية السورية والبلاد العربية ، وعدد من فضليات السيدات وبعض أفراد أسرة الفقيد .

وكان في طليعة الحاضرين الدكتور حسني سبوح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق والدكتور شكري فيصل عضو المجمع ، وقد حضرا من دمشق إلى القاهرة خاصة للمشاركة في حفل التأبين .

ورأس الجلسة الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع نيابة عن الدكتور طه حسين رئيس المجمع المتذمر من التخلف لحالته الصحية ، وحضر الجلسة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام ولقيف من الاعضاء .

(١) الكلمات التي أقيمت في الجلسة الخامسة للدروة الخامسة والثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة في تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي .

وفي الموعد المحدد أعلن الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع افتتاح الجلسة وألقى كلمته في رثاء الفقيد ، ودعا بمدحا الدكتور عبد الحليم منتصر عضو المجمع لالقاء كلمته ، ثم تلاه الدكتور حسني سبوح رئيس مجمع دمشق فألقى كلمته ، ثم تلاه الأستاذ عزيز أباطة عضو المجمع فألقى قصيدة رثاء ، ثم أعقبته السيدة ثريا حافظ فالت كلمة الأسرة .

ثم قرأ الأستاذ شوقي أمين رئيس التحرير بالمجمع البرقية المرسلة من كريمي الفقيد بدمشق .

ثم أعلن الأستاذ زكي المهندس انتهاء الجلسة ، وكانت الساعة قد قاربت الثامنة مساء والكلمات والبرقية جميعها مرافقة لهذا المحضر .

★ ★ ★

كلمة الأستاذ زكي المهندس

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه حسين يود أن يشاركنا في تأيين الفقيه العظيم والعالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي ، ولكن حالته الصحية اضطرته إلى الاعتكاف والاعتذار ، فباسم المجمع أحييكم وأشكر لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأيين هذا الرجل العظيم ، وأخص بالتحية والشكر السيد رئيس مجمع دمشق ومن معه من الزملاء والأصدقاء الذين وفدوا إلينا لكي يمزجوا أحزانهم بأحزاننا ودموعهم بدموعنا في تأيين الزميل الراحل ، على أن الفجيرة في الشهابي ليست فجيرة مجمع القاهرة وحده ولا مجمع دمشق وحده ولكنها فجيرة الأمة العربية بأسرها ، وفجيرة العلم والملاء في كل قطر عربي .

نحن إذ نبكيه الليلة لا نبكي فيه رئيساً لمجمع أو زميلاً سابقاً في مجمع القاهرة وحسب ، وإنما نبكي فيه رجلاً عظيماً وعالماً جليلاً ، وعربياً أصيلاً من رجال الرعيل الأول الذين يفخر الوطن العربي وبيته بأسمائهم وتاريخهم .

حقاً أيها السادة لقد فقد العالم العربي في الشهابي ثروة علمية ضخمة ليس من السهل أن تعوض ، أما خسارة المجمعين فيه فخسارة فادحة ، فقد كان رحمه الله قوة علمية يوثق بها ويعتمد عليها ، وكم من مسألة علمية أو لغوية عرض لها المجمع في مؤتمراته فكانت للفقيه فيها جولة تم عن غزارة علم وسعة اطلاع وإحاطة تامة بأصول اللغة ، حتى في الشهور التي ينيب عنا فيها كان دائماً حاضراً معنا بذكراته التي كان يرسلها إلى المجمع حافلة بالتعليقات والمقترحات والتوجيهات النافعة المفيدة .

ولعل الشهابي يمد من طليعة هؤلاء العلماء القلائل الذين استطاعوا أن يوائموا بين القديم والجديد ، وأن يطوعوا اللغة للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث ، وعهدنا بكثير من العلماء الطبيعيين أن يضعوا المصطلحات من غير أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث في اللغة ، أو العناية بدراسة تراثنا العلمي العربي القديم للاستفادة منه ، ولكن الشهابي كان على خلاف ذلك ، كان كثير البحث في اللغة العربية قواعد وأصولها وطرق الاشتقاق فيها ، كما كان معنياً كل العناية بدراسة ما وضعه العلماء القدامى من أسماء ومصطلحات ، يفيد من هذا كله في وضع المصطلحات العلمية حتى كتب عنه (أمين العلوف) فقال : لم يكتب في الزراعة منذ صدر الإسلام بلغة أبقى وأصلح من لغة الشهابي . وكان الفقيه إلى جانب علمه وكفائته مثلاً للأخلاق العالية ، كانت له شخصية جذابة ساحرة ، تؤثر فيمن حوله وتحملهم على إجلالها واحترامها . كان هادئ الطبع كريم النفس عف اللسان . عامراً قلبه بالمعاني الإنسانية الكريمة ، كان يبدي بآرائه في تواضع العلماء ويحترم آراء غيره وإن كانت مخالفة لآرائه .

لقد زاملناه في الجمع أكثر من خمسة عشر عاماً . ولم أذكر أنني رأيته يوماً غاضباً من أحد ، أو ساخطاً على أحد ، بل كان محباً للجميع محبوباً من الجميع . رحم الله الشهابي رحمة واسعة وجزاه عما قدم للعلم واللغة بخير ما يجزي به عياده المخلصين الماملين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيطولي تأبين الفقيه نيابة عن الجمع الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر عضو الجمع ، وولييه السيد رئيس مجمع دمشق الأستاذ الدكتور حسني سبوح ووليها الزميل الشاعر الأستاذ محمد عزيز أباطة عضو الجمع فيلتي قصيدة في رثاء الزميل الراحل وبعد هذا كله تلقي السيدة ثريا الحافظ كلمة الأسرة ثم تتلى برقية كريمتي الفقيه إلى الجمع من دمشق .



كلمة الدكتور عبد الحلیم منتصر

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيمة في غفران زلاتي
أيها السادة الكرام أيها الزملاء الخالدون :

كأني بفقيدنا العظيم الخالد ، قد لخص حياته وجهاده في خدمة اللغة العربية في هذا البيت الرقيق من الشعر ، الذي نظمه ، وأوصى أن يكتب على قبره ، وحقاً لقد كانت حياته متميزة بطابع الجهد المضني ، الذي يبذله راضياً ، في خدمة اللغة العربية وتطويعها للعلوم المصرية ، تقدم صفوف حماة الفصحى ، الذابين عن حياضها ، المنافحين عن حوزتها ، الداعين إلى جعلها لغة العلم الحديث في مختلف فروع وفنونه .

عرفت الأمير مصطفى الشهابي ، في أروقة مجمعنا الموقر ، منذ نحو ربع قرن من الزمان ومنذ ذلك التاريخ ، وقد اتصلت بنا الأسباب ، وكانت آصرة الحماس للغة العربية ، والغيرة الشديدة عليها ، والحفاظ على سلامتها وبذل الجهد لجعلها لغة العلم ، بترجمة المصطلحات العلمية . أمضى آصرة وأقواها . ومنذئذ وقد اتخذت منه في هذا المجال معلماً وإماماً . ولعل الكثيرين منكم يذكرون ، ما كان يدور بيننا من نقاش حول هذا المصطلح أو ذلك ، وأشهد أنني كثيراً ما كنت أسلم بنصاعة حجته ، وقوة عارضته ، وسعة اطلاعه فأنتقاد للحق الذي يدافع عنه ويقنع به ، ويكون أغلب الأمر في جانبه ، فلم يكن يرضيه أن نلتزم باصطلاح استعمله أصحاب الصنعة خمسين عاماً مادام غير مطابق أو غير سليم ، فنأخذ بالتصحيح الذي يرضي اللغة ويرضيه ، ونترك ماشاع على ألسنة الدارسين ، وندعو إلى التزامهم به ، وكان في حرصه على ذلك يدعو إلى استعمال السلطان في نشر ما يقره

المجمييون من مصطلحات وكنت أرجوه أحياناً أن نترك إلى سلطان الذوق والاستعمال والقذوة الحسنة ، وأنه لاجمال في موضوع المصطلحات العلمية ، إلى تطبيق القول بأن « مايزع الله بالسلطان أشد مما يزع بالقرآن » .

وكان يقول ان توحيد هذه المصطلحات ، لا يتم ، كما يفهم الكثيرون ، بمقدد المؤتمرات والندوات أو صنع معجمات من لدن هيئة أو مؤتمر ، وإن أفاد ذلك جزئياً ، ولكن الرسالة أسمى من ذلك وأجل من أن يتطلع إليها فرد أو طائفة ، إذ يجب أن ينظر إلى هذا التوحيد على أنه عمل قومي كبير ، يهم البلاد العربية كلها ، ويستوعب الكثير من الجهد والوقت والمال وقد قدر لهذا العمل منذ ثلاث عشرة سنة ، مبلغ مائة ألف جنيه ، وحسب الزمن الذي يستغرقه بستين شهراً . غير أنه عاد أخيراً ، فضاعف المبلغ إلى مائتي ألف وأما الوقت فقد قال انه يستطيل بالحساب على الستين شهراً الذي سبق له تقديرها . ويرى في معنى توحيد المصطلحات أن يكون في كل الأقطار العربية « معجم فرنسي عربي » ، و « معجم انجليزي عربي على الأقل » ، لتلك المصطلحات ، تترف فيه الألفاظ بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً ، يناسب حجم المعجم ، على أن يشتمل المعجم على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تأخذ الحكومات العربية نفسها باستعمال الفاظه دون غيرها في وزاراتها ، ودوائرها وجامعاتها ومدارسها . وأن تصنيف المعجم يحتاج قبل كل شيء إلى أداة تميز المصطلحات بعضها من بعض ، وترجح بعضها على بعض وتستقر على الأصح والأصلح ، وتمضي على طريق واحدة ، ومن رأيه أن يجمعنا الموقر ، هو الأولى والأقدر على وضع هذا المعجم ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا العبء دون تأزر ومساندة من جامعة الدول العربية والعلماء والأدباء العرب ، الذين عرفوا بوضع المصطلحات العربية وتحقيقتها ، كل في دائرة اختصاصه وحدود ثقافته ، ورسم منهاج العمل ،

بأن تؤلف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى لجنة معجم المصطلحات العلمية ، يكون لها شخصيتها الاعتبارية واستقلالها المالي والإداري ، وأن يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذي يقدر لتصنيف المعجم ، ويأذن للجنة المذكورة أن تتصرف في انفاقه بمراقبة أمين الجامعة ورئيس المجمع ، وتتصل اللجنة بالمختصين بالمصطلحات في الأقطار العربية ، وتتطلب منهم ، وضع قوائم مصطلحات أعجمية عربية ، ضمن اختصاصهم لقاء مكافآت مجزية ، وتضع اللجنة من هذه المصطلحات والقوائم « معجم المصطلحات العلمية » ، وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية ، فيقر ألفاظه ويناقشها في حضرة واضعها من متخصصي الأقطار العربية ، لقاء مكافآت مجزية ، ثم يطبع مجمع القاهرة المعجم ، ويوزع نسخه على دول الأقطار العربية . وتبقى لجنة المعجم قائمة على عملها في مجمع القاهرة ، لإضافة ما يجد من المصطلحات ، وإعادة طبع المعجم وتوزيعه ... ثم يردد رحمت الله عليه قول الشاعر :

«مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ النَّاسِ وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
ثُمَّ يَرُدُّ قَوْلَ شَاعِرٍ آخَرَ :

إِكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَهَا إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ

وفي الواقع لقد كانت الخطوات العملية ، هي نفسها التي رسمها فقيدنا الراحل ، فيما عدا رصد المال اللازم ، عندما أخذت وزارة البحث العلمي على عاتقها وضع المعجم العلمي العربي الموحد مستفيدة من خبرات المختصين مما وضعته الجامعات والهيئات والأفراد من قوائم ومعاجم إلا أنها لم تجد بنسباً تخفص فيه من نفقاتها إلا البند الخاص بهذا المعجم ، فأوقفت العمل فيه ، بعد سنتين من الجهد المتصل من الخبراء والمختصين لم تزد النفقات على بضعة آلاف ، ونيفت المصطلحات التي روجت ونسقت ووضعت لها الجذاذات على الثلاثين ألفاً وقد كان رحمه الله متفائلاً بهذه اللجان التي ضمت ثلاثة وثلاثين عالماً

نحو نصفهم من أعضاء المجمع وخبرائه المختصين . وكانت تعمل جاهدة لتنفيذ قرار المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي عقد في بغداد سنة ست وستين وتسعمائة وألف .

ولم تكن حماسة فقيدنا للغة العربية ، واستعمالها لغة للتدريس في الجامعات ، والنهوض بها لتكون لغة العلم الحديث في مختلف فروعها ، لم يكن حماسه الفائق المتقد لينسيه أهمية التعمق في دراسة اللغات الأجنبية ، لمتابعة المسائل العلمية بلغاتها الأصلية ووضع لذلك أربع وسائل لا بد من اتباعها ، للنهوض باللغة العربية ، وجعلها مسارة لكل تقدم علمي ، وهذه الوسائل الأربع هي :
أولاً — إتقان تدريس لغة أجنبية حية كالفرنسية أو الانجليزية في المدارس الثانوية .

ثانياً — تدريس تلك اللغة في الكليات الجامعية .

ثالثاً — جلب أساتذة أجنبي ، يلقون دروساً ومحاضرات باللغة الأجنبية .

رابعاً — ذكر الألفاظ العلمية في أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الألفاظ مشتركة بين اللغات الحية .

ويقول انه يمتد أن بهذه الوسائل الأربع أو هذه التكافلات — على حد تعبيره — يستطيع الطالب الذي يدرس بالعربية في كليات الجامعة ، أن يوسع بعدئذ معلوماته ويمتدح في مهاد الاختصاص في البلاد العربية ، ويتابع البحوث العلمية في المجالات الأجنبية المتخصصة .

ويقول اننا نحن العرب ، لانستطيع التخلي عن لغتنا ، ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير ، ونحن جادون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، فنتمكن بذلك من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية وهو متوقن بأننا سنبلغ بإذن الله ما نريد .

لقد كان الأمير الشهابي محجة أولى العلم ، ينهلون من مورده المذب ، ويجدون لديه ما طالب من حديث في دقائق العلم ، ممزوجاً بالفكاهة الحلوة ، والسمر المذب ، وكان حفيماً باللغة العربية حفيظاً عليها ، وكانت عصبته للغة العربية ، عصبية كريمة قادرة ، لأنه ذو دراية واسعة بأسرار اللغة العربية ، ويقول أمين الملووف عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية ، « ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام » .

ولا ينسى له المجمعيون عامة ، والمشتغلون بعلوم الحياة خاصة ، تلك القواعد التي وضعها الفقيه لترجمة أسماء الأجناس والأنواع للمواليد والأعيان والتي أقرها المجمع منذ سنين وشاعت وزادت بين المشتغلين بالصناعة ، وغدوا يترسمونها في أعمالهم العلمية ومؤلفاتهم ودراساتهم المختلفة ، بالإضافة إلى ما وضعه من أسماء لحلقات التصنيف العليا والدنيا من نحو العالم والأمة والطائفة والرتبة والقبيلة والفصيلة والجنس والنوع والصنف أو الضرب والسلالة وما اتخذته من قاعدة للتصغير في الحلقات الوسطى ، بين كل حلقة وأخرى . ومن تعريب لاسم الجنس ، وترجمة لاسم النوع إن دل على صفة معينة ، أو تعريبه إن دل على اسم علم . ولا مرأى في أن الأمير مصطفى الشهابي من أعظم علماء الزراعة في العصر الحاضر ، ولا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة المربية الأوحده في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده ، كان الباحث المدقق ، يتحرى أصلح الألفاظ في المفاجم العربية ، وفي كتب النبات والحيوان القديمة ، قام بهذا العمل المضني خير قيام ، وحقق فيه عدداً كبيراً من المصطلحات المربية وضعها أمام المصطلحات الأجنبية ووضع لأسماء النباتات الأجنبية أسماء عربية أو معربة بطريقته الخاصة . وهي الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات . وترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام . وغدا الشهابي معروفاً في البلاد العربية

كافة بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم اطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات ، واعترف له كثير من أعضاء الجامعات العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات بأن كتابه المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، هو أنصع دليل وأوفى مرجع يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي تتبع في وضع المصطلحات العلمية بلغتنا العربية .

نسبه ونشأته وما تولى من وظائف وتقلد من أعمال :

وهو الأمير مصطفى بن الأمير محمد سعيد ، بن الأمير جهجاه بن الأمير حسين الشهابي ، من أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا الشام في الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ، وحكموا في حوران سنة ٥٦٨ هـ ، أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي ، ثم حكموا وادي التيم بלבنا حتى سنة ١٨٧٠ م وقد ولد في أول نوفمبر سنة ١٨٩٣ في حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم ، ودرس في المدارس السورية ثم في الآستانة ، ثم في فرنسا حيث تخرج سنة ١٩١٤ حاصلًا على درجة عالية في العلوم الزراعية ، وكان يتقن العربية والفرنسية والتركية ويلم بالانجليزية وبمدته عارفوه من أكثر الناس جلدًا على المطالمة والتأليف والمحاضرة .

وقد تقلد عدة مناصب عالية في الدولة ، كما تقلد الوزارة أربع مرات

على النحو الآتي :

- ١ - مدير الزراعة والحراج سنة ١٩١٨ - سنة ١٩٢٣ .
- ٢ - مدير الأملاك ١٩٢٣ - ١٩٣٤ .
- ٣ - مدير الاقتصاد الوطني ١٩٣٥ .
- ٤ - وزير المعارف ١٩٣٦ .
- ٥ - محافظ حلب ١٩٣٧ - ١٩٣٩ .

- ٦ - وزير المالية ووزير دولة ١٩٤٢ .
- ٧ - محافظ اللاذقية ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- ٨ - أمين رئاسة الوزراء ١٩٤٥ .
- ٩ - محافظ حلب مرة أخرى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .
- ١٠ - محافظ اللاذقية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ .
- ١١ - وزير العدل ١٩٤٩ .
- ١٢ - وزير مفوض ثم سفير سورية في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٤ .

وله في مناصب الدولة أعمال عمرانية كثيرة ، منها توزيع أملاك الدولة على الفلاحين لايجاد ملكيات صغيرة ، وتشيد دار الكتب الوطنية في حلب ، ودار الكتب الوطنية في اللاذقية، وهو من الرعيل الأول من العاملين في القضية العربية، وكان عضواً في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد ، وكان أحد أعضاء وفد المهادنة بين سورية وفرنسا سنة ١٩٣٦ ، وكان عندئذ وزيراً للمعارف .

وقد انتخب سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وفي سنة ١٩٤٨ انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً ، وانتخب عدة مرات عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وفي مجلس إدارة المتاحف والآثار ، وفي جمعيات علمية وأدبية مختلفة ، وعين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، ومثل جامعة الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الاجتماعية .

وفي سنة ١٩٥٣ انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنة المواصلة الدائمة وفي سنة ١٩٥٦ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق بالإجماع نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات ، وفي سنة ١٩٥٩ انتخب

بالإجماع رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق خلفاً للمرحوم خليل مردم بك ، فكان الرئيس الثالث لذلك المجمع ووجد انتخابه لرئاسة مجمع دمشق سنة ١٩٦٣ ، ومنح جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥ وهي أول جائزة تقديرية تمنحها الدولة السورية .

وفي سنة ١٩٦٤ انتخبته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية بلندن عضواً مشاركاً لمجلس هذه الدائرة .

وقد منحه الدولة السورية وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، كما منحه الحكومة المصرية الوشاح الأكبر من وسام النيل ، عندما كان سفير الحكومة السورية في مصر .

وقد عكف الأمير الشهابي على دراسة قواعد اللغة العربية ، وكتب اللغة وآدابها وأخذ يكتب في أم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً ، يمدّها المارفون من خالص الأدب الرفيع ، على أن الناحية العلمية واللغوية طغت فيه على الناحية الأدبية ، ولذلك فإنه يمد بحق في عداد العلماء وكبار المفكرين وقد أمضى سنين عديدة في دراسة نباتات سورية وحشراتهما واقتصادياتهما واستطاع أن يطبق العلوم الزراعية الحديثة في أعماله الحكومية أو في مؤلفاته الزراعية ، وقد اشتهر بتحريره لأصلح الألفاظ في المعاجم العربية ونشر كثيراً من إنتاجه في مجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة المجمع اللغوي بالقاهرة وفي مجلات المقتطف والهلال وغيرها .

مؤلفاته :

ليس من اليسير التعريف بما كتب الأمير الشهابي من مؤلفات ومقالات ووسائل ، فذلك في الواقع يحتاج إلى دراسة خاصة ، وكم أود بهذه المناسبة أن أعرض على المجمعين أن يعملوا على دراسة أعمال الأعضاء والتعريف

بها . وإني لأشير هنا إلى أم تآليف فقيدنا ، تاركاً الدراسة المتخصصة إلى فرصة أوسع ووقت أرحب .

كتاب الزراعة العلمية الحديثة ويبحث في الأتربة والأعمال الزراعية والري والصرف والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب والقطافي وبعض البقول ونباتات الكلاً والنباتات الليفية والدهنيه والصبغية .

وكتاب الأشجار والأنجم المثمرة ، يتناول دراسة ثلاثين نوعاً من أشجار الفواكه وجنبتها وأنجمها كالزيتون والكرم والبرتقال .

وكتاب البقول ، ويبحث زراعة أم الخضروات وعددها خمسون .

وله كتاب في الدواجن وكتاب الدفاتر الزراعية .

ويستبر معجم الألفاظ الزراعية ، وهو معجم فرنسي عربي لألفاظ العلوم الزراعية الحديثة كالزراعة العامة وزراعة البساتين وعلم الحراج وتربية الخيل والماشية والنحل والسمك والطيور الأهلية وماله صلة بالزراعة من نبات وحيوان وحشرات وآلات وصناعات واقتصاديات . ويستبر هذا المعجم من أعظم مؤلفاته يضم نحو عشرة آلاف مصطلح ، وضع المؤلف أمام المصطلح الأجنبي أصلح الكلم العربية وعرف كثيراً منها تعريفاً علمياً موجزاً ، ثم كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ومعجم المصطلحات الحراجية بالانجليزية والفرنسية والعربية وكتاب أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية يشتمل على تصويب نحو مائتي خطأ من الأخطاء الشائعة ، في هذا المجال ، وكتاب الشذرات ويشتمل على جانب مختار من بحوثه ومحاضراته ومقالاته العلمية والأدبية والفلسفية والقومية .

كما شارك الأمير الشهابي في وضع وتحقيق ألفاظ المعجم العسكري الذي أصدره الجيش بدمشق وكان رئيس اللجنة التي نقلت ألفاظ المعجم إلى العربية

كما أشرف على ترجمة كتاب تطور الزراعة في الشرق الأوسط لمؤلفه الدكتور « كين » إلى اللغة العربية .

أما بحوثه ودراساته ومقالاته فهي أكثر من أن يشار إليها ؛ منها نظرة في كتاب البلاغة الأندلسية لابن العوام ، وأسماء نباتات مشجرة ومصطلحات جيولوجية وأسماء الفصائل النباتية ، وجملة المصطلحات النباتية ومدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد ، وتأثير العرب والعربية في الفلاحة الأوربية . وقد نشر الكثير من هذه البحوث في مجلة المقتطف ، وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجلد والرسالة والثقافة وغيرها .

حياته وأراؤه العامة :

وقد عاش الأمير الشهابي حياته عيشة هادئة منتظمة ، وكانت أعماله الحكومية مرهقة أغلب الأمر ومع ذلك فقد كان يجد متسعاً من الوقت للمطالعة والتأليف وإلقاء المحاضرات ومتابعة الحركة القومية والاستقلالية في سورية والبلاد العربية ، وكان يقول إنه إذا عاش المرء عيشة منتظمة ، استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم على الأقل ، وذلك مما تكن مهته المعاشية شاقة : وكذلك استطاع الأمير الشهابي أن يشارك مشاركة فعالة في أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق وأن ينشر في مجلته بحوثاً علمية وأدبية ، وأن يضيف إلى لغة الضاد مئات من المصطلحات العلمية ، وأن يؤلف كتباً زراعية فيها دراسات خاصة كثيرة ، ومعجماً فرنسياً عربياً هو نسيج وحده في مصطلحات العلوم الزراعية والاحيائية والمواليد الثلاثة واستطاع كذلك أن يشارك مشاركة فعالة خصبة في أعمال جمع اللغة العربية في القاهرة . وقد جاء إلى القاهرة عدة مرات ، وفي كل سفرة تكون محاضراته في النوادي ومقالاته في المجلات والجرائد زينة لهذه

وتلك وكان في مقالاته العامة متابعاً الحركات العلمية والأدبية وداعية إلى القومية العربية وتضامن الدول العربية واتحادها وقد نال بذلك شهرة في مصر تعدل شهرته في سورية . كذلك رحل إلى بغداد عدة مرات بدعوة من وزارة المعارف العراقية حيث ألقى عدداً من المحاضرات العامة فيما هو بسبيله من نشر للمعرفة في أرفع صورها ثم عرفته أهواء القاهرة مرة أخرى منذ انتخب عضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً في مجعنا . وإذا بصوته الجمهوري يجلجل في ردهاته ومجالسه مدافعاً لا يلين عن قضية يرى فيها الحق أو الصواب فلا يجانبه أبداً ويصبر الأمير الشهابي من أقدم اللطاة إلى إنشاء جامعة الدول العربية . وأن تسير الدول العربية تدريجياً نحو الاتحاد فالوحدة وقد كتب في ذلك قبل إنشاء الجامعة العربية بيضع عشرة سنة .

وكان يقول ان نهضتنا الحديثة يجب أن تؤسس على القومية العربية ، وان تشمل العرب والمستعربين ، وأن العربي في رأيه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً .

وكان من رأيه أن الحكم البرلماني مظهر من مظاهر الاستقلال وعنوان لسيادة الأمة ومن الخير أن تقبل الحكم الديمقراطي والحياة النيابية ، بشرط أن نضمن انتخاب شيوخ ونواب مثقفين عارفين بواجباتهم يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وكان عدواً للاستعمار والمستعربين ، ويرى أن معظم الحروب الحديثة من جنائياتهم ، وألف كتاب الاستعمار ، لدحض نظرياتهم ، وبيان أضرارهم في المجتمع البشري .

وكذلك كان الأمير الشهابي من الداعين إلى القومية الوثيقة ، ووجوب حصر جهودنا في نطاقنا العربي خدمة للإنسانية كلها ، وليس من رأيه تفكيك عرى القومية عندنا بفكرة الدعوة إلى الإنسانية الشاملة مادام الغربيون الأخوياء يربون أبناءهم ويسيروا في معاملتهم للشعوب النامية على مبادئ

القومية المتطرفة ، بل والضميرية أحياناً ، وعلى قواعد الأثرة والاستعمار وعلى ذلك فمن رأيه أن مثالية النظرة الإنسانية لا تناسب شعوبنا التي قصارها الدفاع عن كيانها واستقلالها . وقد لخص رأيه في كتابة القومية العربية بقوله « ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً ، قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو إلى محبة الإنسانية وخير البشرية ، وحق كل شعب في تقرير مصيره .

وقد دعا الأمير الشهابي وعمل جاهداً على نشر التعليم العام والتعليم الفني خاصة ، وتعليم المرأة ، ورفع الحجاب ، مع الاحتفاظ بعاداتنا العربية والتعصب للفتنا وعاداتنا وثقافتنا ، واقتباس العلوم والمخترعات الحديثة والسير في جميع أعمالنا على الأسلوب العلمي القويم ، وكان يسفه في مقالاته ومحاضراته الذين لا يأخذون من المدينة الأوربية إلا قشورها دون لبها .

ولا مرأ في أن الأمير الشهابي من أعظم المثقفين العرب في هذا العصر ، ومن أغزرم اطلاعاً على العلوم قديمها وحديثها ومن أكثر رجالات العصر الحاضر تجارب في الحكم والوزارة والسياسة وتدل كتاباته على أنه مطبوع على الأدب ، قرأ أمهات الكتب الأدبية قراءة دراسة وتدبر ، كما قرأ في إيمان كتب أكبر الأدباء الفرنسيين ، ولذلك فانه يعد مثال المثقف بالثقافتين العربية والاوربية وقد اتسمت كتاباته بالأدب الرفيع ، وعد من الكتاب البرزين كما اشتهر بأنه من أفصح الكتاب وأقدرهم على معالجة الموضوعات العلمية بالأسلوب العلمي السهل الواضح فهو بلا شك أحد علمائنا الأدباء أو أدبائنا العلماء فقد جمع بين العلم والأدب ، ولذلك سماه شاعر القطرين العالم الأديب ، وقالت عنه الآنسة « مي » ، إنها ما استمعت مرة إلى بحوثه

م (١٤)

ودراساته العلمية والأدبية والفلسفية إلا وتمثلت لها « وحدة الوجود »
ولا شك أن الذي يطلع على كتابه الشذرات يمجب لبراعته في تناول
موضوعات فلسفية علمية دقيقة وقال فيه خليل مطران بمناسبة إصدار الأمير
معجمه :

يا أميراً أهدي إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حقيقته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا بجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في نفع هذا الحى وفي رفع شأنه
ويقول عنه شكيب أرسلان « انه لأمير العلماء حقاً ، وعالم الأمراء
فعلاً ، واني مع شيخوختي هذه لراض أن أنضوي تحت لوائه ، كما انضوى
شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة .

أما جلسات بجمعنا ومؤتمراته . فلنا حافلة ببارات التقدير والثناء والشكر
للأمير الشهابي على ما يقدمه من بحوث ودراسات ، وفي ذلك يقول السيد
رئيس المجمع في إحدى الجلسات « إنني لأعترف بأن كل ما قدمه الأمير
للمجمع وشارك فيه كان خصباً دائماً ونافماً دائماً ، واني لأكرر له الشكر
مع أني أعلم ان السيد الأمير لا يجب الشكر والثناء .

وأجمل القول إن فقيدنا العظيم عالم زراعي ألف في العلوم الزراعية كتباً
ثينة قيمة تمد من أصلح الكتب من نوعها وباحت أضاف إلى لغة الضاد عدداً
كبيراً من المصطلحات العلمية وكاتب مفكر له أثره العظيم في النهضة العلمية
والأدبية ، ورجل دولة ، خدم سورية ، خدمات عظيمة في الوزارات
والمناصب الكبرى التي وليها ، ووطني عظيم في القضية المربية ، ونشر
فكرة القومية المربية ومن الرواد الذين عملوا للاستقلال والوحدة ، ومن

الذين أثروا اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، وعملوا على نحوها والحفاظ على سلامتها وجعلها للغة العلم . ظل يعمل في هذا المجال زهاء نصف قرن من الزمان ، يزيد في إراثها لتواكب ركب الحضارة ، حتى قضى وهو يحمل لواء العلم في الرابع عشر من مايو ١٩٦٨ بعد أيام من كتابة مقال لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وآخر لمجلة بجمعنا عن رأيه في النسبة للكيمياء ، ومن رئاسة آخر جلسة للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فقدنا فيه عالماً غزير المعرفة ، مترفعاً عن الدنيا ، وسفاسف الأمور ، فيه تواضع العظماء ، وعظمة العلماء ومع وداعته قوي الشكيمة لا يعرف هوادة إزاء من يزيغ الحق أو يجافي الاستقامة .

أيها السادة الكرام _ أيها الزملاء الخالدون :

لست في حاجة إلى أن أحدثكم عن خلود العلماء في أعمالهم ، وفقيدنا العظيم مثال فريد في الخالدين ، الذين عبروا جسر الحياة في ثقة وإخلاص ، في جد وأدب ، وصبر ومصابرة ، مما يمد مثلاً يمتدى وكأنما أراد لشدة إيمانه ، بحقيقة الموت ، أن يضيء طريق الخلود لخلفائه حتى لا يضلوا من بعده أبداً . فكانت هذه الحياة الجادة الخصبية النافعة ، وكذلك هم العلماء يشترون خلودهم ، بما يقدمون من أعمال ، وما يتركون من نتاج قرائحهم وثمرات أفكارهم . . . وهم أشد الناس إيماناً بأن الموت غاية كل حي ، وأن كل نفس ذائقة الموت ، وأنه « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

ولكأنني بفقيدنا العظيم ، بعيد سيرة نفر كريم من العلماء العرب القدامى من أمثال ابن الهيثم والبيروني والبغدادي الذين كانوا يستملون بعلمهم ، ويزهدون

في الترف والسلطان ، ويعزفون عن الدنيا والصنائ . . . فقال ابن الهيثم قوله المشهورة عندما رد لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجراً لتعليمه ، قائلاً : « خذ أموالك بأسرها فلا حاجة بي إليها ، ولملك أحوج إليها مني عندما تعود إلى ملكك ومسقط رأسك ، يكفيني قوت يوم ، ورد البيروني للسلطان ما أرسله من جمال تنوء بأحمالها من نقود الفضة قائلاً : إنه إنما يخدم العلم للعلم ، كذلك فعل البغدادي أيام صلاح الدين الأيوبي حين قال إن العالم الحق يُسمى إليه وإذا اشتر المرء بعلمه وخلقه سُنِّي إليه ، وأنته الدنيا صاغرة وعرضه ودينه مصون .

ذلك هو قعيدنا العظيم واحد من هذه العصابة الكريمة الخالدة من العلماء أعترف بمجزئي عن إيفائه حقه من التأين الكريم ، وإن هذه الدراسة المجلى قاصرة عن الإحاطة بأعماله والتعريف بانتاجه الفكري والعلمي والأدبي وإني لأستشعر ضآلة ما قدمت بالنسبة لما كان مقررراً أن يقدمه أستاذنا الزميل الكبير المرحوم الأستاذ الزيات ، الذي كان قد اختاره المجمع لإلقاء كلمة التأين ، ولكن يد القدر كانت أسرع إليه ففقد بجمعنا عالين من أعلامه في أقل من شهر من الزمان . فواها للمجمعيين مما يرزأهم به القدر حيناً بمد آخر ، وإذا كانت قلوب الأصدقاء قبوراً حية لأصدقائهم الذين يختارهم الله فوالهني على قلوب المجمعيين من احتمال فقد هذه العصابة الكريمة من أولي العزم من الأصدقاء العلماء الخالدين .

نسأل الله أن يلمنا جميعاً الصبر ، وأن يعوض أمة العرب خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله

الدكتور عبد الحلیم منتصر



فقيدها الجمعيين : الأمير مصطفى الشهابي

كلمة الدكتور عسفي سبع رئيس مجمع اللغة العربية

إنني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أتقدم بالشكر الجزيل إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة لإقامة هذا الحفل التأسيسي ، إحياءاً لذكرى فقيه العربية ولغة الضاد المرحوم الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وأحسن عزاءنا به جميعاً .

وبعد ، فإنه لما يحز في النفس ويدعو إلى بالغ الأسى ، أن يقف المرء هذا الموقف الحزين ليرثي صديقاً وفاقاً له وزميلاً كريماً عليه ، أبلى أحسن البلاء في إعلاء شأن أمته وتوطيد دعائم وحدتها . وبذل أقصى الجهد في خدمة لغة القرآن الكريم وإغنائها ، وأنفق العمر كله يعمل على إمدادها بالكثير من المصطلحات العلمية حتى تكون هذه اللغة مواكبة للعصر الحضاري الذي نعيش فيه ، غير مقصرة عنه ومتبناة لتواكب العصور الحضارية التي يستقبلها العالم .

لقد ربطتني بهذا الصديق الوفي والزميل الكريم أوثق الروابط منذ عهد بعيد ، فكان لزاماً عليّ أن أقوم هذا المقام في أداء الواجب نحوه وإيفاء ذكراه حقها من التمجيد والتقدير فأتمحدث إليكم عن أطراف من معرفتي به طيلة هذه السنين المتصلات التي زاملته فيها وآخيته بحكم ما كان من عملي في الجامعة والمجمع وما كان من عمله في الوزارات التي وليها والمجمع الذي آلت رياسته إليه .

ويمعزني زملاء الجمعيين والايخوان المستمعون شهود هذا الحفل إذا أنا تجاوزت المآثر الكثيرة لفقيه الجمعيين ، فقد كفاني هذه المؤونة زميلي

الدكتور عدنان الخطيب بالكتاب الذي أصدره باسم مجمع اللغة العربية في دمشق إحياء لذكرى رئيسه المرحوم . فقد ترجم له ترجمة حافلة معدداً ما قام به من جلائل الأعمال وما تركه من خالد الآثار ، وما دبحه من بارع المقالات والمؤلفات وما ألقاه من محاضرات وما أوسد إليه من مناصب رفيعة في الدولة ، فأوفى بذلك الرئيس الراحل حقه ولم يترك زيادة لمستزيد .

لقد كانت أولى معرفتي بفقيدنا الراحل عن طريق ما كانت يكتبه من مقالات علمية ولنوعية وأدبية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجلة المقتطف في القاهرة ، وكانت كلها تشهد له بالمكان الرفيع الذي ارتقى إليه علماً ولغة وأدباً ، ولم يتح لي أن ألتقي به وجهاً لوجه إلا سنة ١٩٣٦ عندما كان وزيراً لمعارف الدولة السورية ، فقد استدعاني إلى مكتبه في قصر الحكومة مستفسراً عن بعض أمور الجامعة وكلية الطب خاصة ، فأكبرت فيه حسن اطلاعه مع حداثة عهد ، الكثير من الأمور الفنية الجامعية وسير التدريس فيها ، ثم كان لقائي الثاني سنة ١٩٤٣ عندما كان وزيراً للمالية وكنت رئيساً للجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) وذلك للبحث في موازنة الجامعة ، فسرني أن رأيت فيه طرازاً جديداً من القيمين على بيت المال غير الذين وصفهم المرحوم فارس الخوري في كتابه (علم المالية) نقلاً عن أحد علماء الغرب بقوله : على رب المال أن يكون فظاً غليظ القلب صدئاعاً . إذ أبدى تفهماً عميقاً لحاجات الجامعة وما ينبغي أن تزود به من مال كي تؤدي رسالتها على أحسن وجه . وتمدد اللقاء بمدئذ وتوثقت الصلات إلى أن كان أحد الزكّين لترشيحي وانتخابي عضواً في المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٦ وسرعان ما أتبع ذلك باقتراح انتخابي في معجم الموقر عضواً مراسلاً سنة ١٩٦٥ .

ورافقته مرة في السفر من دمشق إلى بيروت لشهود أحد المهرجانات الأدبية فيها فلم أشعر بطول الطريق بما أمتعني به من عذب الحديث كان ينتقل فيه في فنون الأدب والشعر والعلم . . . وحين أطل علينا جبل حرمون الذي يعرف بجبل الشيخ راودته ذكريات صباه لأن بلدة حاصبيا ، وهي مسقط رأسه ، تقع في السفح الغربي من الجبل المذكور فانطلق يردد كثيراً من الشعر الفصيح والعامي الذي يصف هذه المنطقة وما جباها الله من جمال وما جبل عليه أهلها من كرم ومزايا .

وعندما أحيل إلى المعاش استقر به المقام في دمشق بعد أن تكاثرت أسفاره في الأعمال المختلفة التي وكلت إليه محافظاً في اللاذقية وسفيراً في القاهرة ، وتسلم نيابة رئيس المجمع ثم رئاسة المجمع في دمشق ، كثر ترددي عليه في منزله فكانت زياراتي له أسبوعية تقريباً لأشرف على صحته الغالية وأواسيه فيما أصابه وأخفف عنه بعض ما يعانیه . وما كان لطيب عصرنا هذا أن يقتصر في طبه على تشخيص المرض ومضاعفاته بالاستناد إلى خبرته وإلى ما أتخفه به العلم من وسائل تكامل وتتطور يوماً بعد يوم ، ولا في علاجه على المقننات من قديمة وحديثة تكاد تتجدد شهراً بعد شهر ، بل عليه أن يستقصي نفس عليه ويسبر غورها وينفذ إلى أعماقها حتى يكون طبه ناجماً ، إذ لا بد من دعم الطب المادي بطب نفسي لا ندحة له من الركون إليه .

ولا أذيع سرأ مهنياً إذا قلت ان ما أصاب رئيسنا الراحل من داء حلو مر ، حلو اسماً ومر قولاً وفعلاً ، قد تغفل في صميم بدنه لم يوفر عضواً من أعضائه ولا نسيجاً من نسجه ، اللهم إلا تلك النفس الكبيرة والمنيعه التي لم يجد المرض إليها سبيلاً فنجت من ويلاته وظلت سليمة مصانة كأن البدن الذي يحويها ما يزال في ريمان الشباب . فلم يمنعه وقد اشتدت وطأة الداء

عليه في الأشهر الأخيرة ، من ممارسة عمله اليومي في المطالمة والمراجعة والكتابة والتأليف ، إلى جانب اهتمامه البالغ بواقع البلاد العربية وتأمله أشد الألم لما آلت إليه حالة الوطن الكبير من انقسام عرى الوحدة ، ثم من نكبة العدوان . وكان لا يفتأ يفكر ويتحدث عن السبيل إلى كشف الغمة ، والطريق إلى جمع كلمة الأمة ، هذا إلى سوانح لغوية كان يقيدها وشوارد يسجلها وملاحظات على حركة المصطلحات العلمية يناقش فيها .

ولم يكن ذلك كله يفت في عضده ، وإنما كنت أسمع في زياراتي المتواصلة يردد القول الفرنسي : *Il faut prendre la vie telle qu'elle est* : علينا أن نتقبل الحياة على علاتها ، وكأنه غير مترعزع ولا متدمر ولا متمهل من كل ما ألم به .

وما زرتة مرة إلا وألفيته منكباً على مكتبه وأكداً الكتب عن يمينه وشماله ، وإذا ما ألح عليه طارئ جديد وألزمه الفراش رأيت بعض كتبه ملازمة له فلا تفوته سائحة دون أن يركن فيها إلى المطالمة التي كانت سلواه المفضلة .

قلت ان نفسه العظيمة لم تطاوع بدنه في التواء تحت وطأة الداء بل تمردت عليه وتمنعت فسلمت مما أصابه ونجت من ويلات الداء فلم يتطرق إليها الخور ولا الإعياء ، لذا لم يتوقف عن إنتاجه الفكري بل ظل مستمراً ، مستمداً من ذاك المعين الذي لا ينضب من المعرفة ، حتى النفس الأخير ، ووالى الإشراف على شؤون المجمع العلمية والادارية ، وكان اذا ما تعذر عليه ترؤس الاجتماعات الأسبوعية للجنة الادارية في المجمع دعاها إلى الانعقاد في داره فلا يترك شاردة ولا واردة دون أن يناقشها .

ذلك هو الانسان الكامل وذلك هو العالم العامل ، وذلك ما عرفته فيه ورأيت منه . رحم الله فقيد المجمعين زميلنا الراحل وأسكنه فسيح جناته وعوض العربية من ينهض بها مثل نهوضه . وألهمنا وآله جميل الصبر والمزاء .



قصيدة للأستاذ عزيز أباطة

نبا عنا الغزاء أبا «ليس»
 ومثلك - أين مثلك - يوم يودي
 وبات الفاقدون كأن ليلا
 وصحبك - بالصحيح - رؤيتهم
 هو الموت الذي لا تتقيه
 إذا ما كره أعجز كل فر
 فليس تقيك شامخة الروابي
 ومن لم تطوهم اليوم المنايا
 وبين اثنين نحن فذو مضي
 ولم يرجع فينبأنا منب
 وهل لقيت لذيد الروح روح
 وهل وقمت على ألم مضيض
 وهل تتلو وهل وتسوق أخرى
 سيعيا العلم عن علم ويبقى
 وحسب الخلق أن الله لاق
 غداة نعتك للشرق النواعي
 تحبس الخلق بالكتز المضاع
 تردوا في دجاء بلا شعاع
 نواك . وكل وصل لانقطاع
 سرى فينا أذاه مع الرضاع
 وخف من البيطاء إلى السيراع
 ولا تحميك باذخة القلاع
 فهن إليه في غده سواع
 إلى السفر البعيد وذو زماع
 أذو ضيق تراه أم اتساع
 دعاها من طوايا الغيب داع
 بما نهته من رثق المتاع
 بقدر زمام أسئلة تباع
 على زحف الدهور قصير باع
 ذنوبهم برحمت وساع

★ ★ ★

مضى شيخ الثقات وفي يديه
 سعى للضاد محتشدا الساعي
 وقارع كل ذي ضنن عليها
 بقايا للطروس ولليراع
 فما أسماها . مسمى وساع
 بماضي المتن مرهوب القيراع

وزاد بمنطق العلماء عنها
وطوعها لحاجات المعاني
وقربها إلى العلماء روضاً
ووردها دافق الدفئاع ذلّت
مماجم صاغها فرداً فأغنى
جلاها خير ما تجلى عروس
ووصلها بماضيها وكانت
عجبت لحاقدين عدواً عليها
رموها غير مدخرين ومسمأ
وكانوا أمس يخفون الطوايا
فصالوا اليوم بالرأي المشاع
إذا استقووا فإن الحق أقوى
تعالى الله كالثها وواق

كنور الصبح مؤتلق الشعاع
فأبدع ثم في غير ابتداع
سخي الثبت منصور المراعي
مصدره لهم بعد امتناع
بهن غناء جمع واجتماع
عميق دراسة وطويل باع
إلى أن راضها ذات انقطاع
وملء نفوسهم أشرف الضباع
لقد نزلوا على أمر مطاع
على وغر بموئبي الخيداع
وبالخبر المذاع بلا قيناع
وأبقى والسراب إلى انقشاع
محارمها وراع أي راع

★ ★ ★

أيا ابن الكارين بنوا فأعلوا
قريشيين يقصر عن مداهم
علت بكم من العيرق المصفى
وأورثكم مفاخيرة عتيق
فنشأكم على خلق ودين
ومن ورث السموق وكان أهلاً
وجرة لقومه رس المعالي
نهضتم بالروبة مذ صباكم
وبين السابقين الصيّد كنتم
ألم يقتل أخوك شهيد رأي

صروح الهد باذخة اليقاع
وباعيم المرجب كل باع
مساع لانطاولها مساع
من الأبيات مقصود الرباع
وإسداء الجميل والاصطناع
له ضم ارتفاعاً لارتفاع
وزاد فقال غير المستطاع
بديري التدافع والدفاع
رجال السيف منهم واليراع
فأعلت روحه روح الصراع

فبيت أمة . وصحت ثنور
 وكنت لعارف (١) هارون تغشى
 فأين اليوم نحن ؟ لقد زلنا
 قطعنا العمر بين هوى وهوى
 نبيت إذا النوازل داهمتنا
 وتلبينا الحياة عن الأفاعي
 يداجي بعضنا بعضاً كأن لم
 وبغشانا عدو الله صفا
 يواثبنا بطل عن عيان
 ويطرقتنا بأفئدة جماع
 إذا الهون الذي ذقناه أفضى
 تسيناه وقلنا رب شر
 متى نجمع على صفو ورشد

★ ★ ★

بني سوربة اعتصموا بصبر
 مصابكم بصاحيكم ملهم
 لئن عاف الحفاوة وهو حي

فما ردد القضاء بمسطاع
 بكل متقف في المراب واع
 فقد صعدت إليه مع الوداع

★ ★ ★

فبا عنا المزاء أبا « ليس »
 جاك الله من حللو الدماغ (٢)

غداة نعتك للشرق النواعي
 بجنته ومن طيب المتاع



(١) هو الأمير عارف الشهابي شقيق الفقيه الذي أعدم سنة ١٩١٦ في سبيل القضية العربية .

(٢) الدماغ : به عصب الشجر .

كلمة السيدة ثريا الحافظ

عن أسرة الفقيه الأبر مصطفى الشهابي

حضرات السادة الأكارم :

باسم كريمي الفقيه ليس ونهله الشهابي وباسم آل الشهابي عامة أحبيكم
 وأتوجه بخالص آيات الشكر إلى رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين
 وإلى أعضاء المجمع الأفاضل وخاصة الدكتور عبد الحليم منتصر الذي أبّن
 الفقيه فوفاه حقه ، وإلى الشاعر الكبير الأستاذ عزيز باشا أباطة الذي رثاه
 بسحر بيانه ورقيق أشعاره وإلى كل من شارك وأسهم في هذا الحفل
 الكريم بحضوره ومواساته : سائلة المولى ليمنحكم الصحة والعافية وطول
 العمر والبقاء وليسبع على روح الفقيه الغالي الرحمة والخلود.... ولممري
 فالخلود غدا ضوءاً لماآثره القومية ومآتبه العلمية ، فقد وهب حياته كلها للعلم
 والبحث والتأليف حتى استدارت من حوله خصائص العظمة والمفاخر وشملتة
 فأكرمت مشواه وخلدت ذكراه .

ابه : ياروح عمي الحبيب يامن تركت في قلوبنا لوعة لن تجف ، وفي
 عيوننا دمة لن تجف ، ان مصر التي أحبتها بكل جوارحك ، مصر
 التي ناجيتها بأعذب شعر وأصدق عاطفة وأسمى بيان ، لن أنسى صوتك
 الدافئ بنبراته القوية وكلماته البليغة الفصحى وأنت تلقي علي بعضاً من
 شرك في مصر وشدة حبك ووفائك لها ، كنت تقرئي الأبيات وتستعيدتها
 حتى حفظتها . نعم مازالت نبرات ذلك الصوت الجهوري تتجاوب في
 أصداء سمعي وأعماق نفسي وأنت تقول :

ياساكني مصر لا تنسوا مودتنا
 أنتم بنو عمنا فاجفوا بساحكم
 إن الوفاء لكم أضحى لنا دينا
 في القلب ذكرى تناجيها فتحينا
 حمراء بالشر تفريكم وتفرينا
 حاكنت سوائله أخلاقكم لينا
 لله نيلكم الخضل شاطئه
 من قاسيون تحيات المشوقينا
 هلا أجبتم أخا ود يشكم
 يا روح قعيدنا الغالي اطمئن في مثواك وانعم في جنان الخلد ، لأن
 مصر الوفية أكرمت اليوم ذكراك ، لا لأنك عضو من أعضاء مجمع اللغة
 العربية فحسب ، بل لأنك علم من أعلام الأمة العربية جمعاء - أمة العرب
 التي تفخر وتباه بك وبأمثالك من علمائها وأدبائها العظام والسلام .



برقية كريمي الفقيه الأمير مصطفى الشهابي

مجمع اللغة العربية

اللغة العربية التي سجلها مجمع اللغة العربية الموقر بأحياء ذكرى قعيدنا
 المرحوم الأمير مصطفى الشهابي وطدت في نفوسنا الاعتزاز والوفاء وتلك
 مآثرة من آثار العلماء نتقدم بأوفر الشكر ونأسف لعدم تمكننا من حضور
 الاحتفال أدامكم الله وأبقاكم ذخراً لأبناء أمتنا .

كريمات الفقيه

ليس ونهزة الشهابي



كلمة الدكتور حسني سبج^(١)

حضرات الزملاء الأفاضل والسادة الكرام

يطيب لي أن أقدم في حفل الاستقبال هذا وجهاً علمياً كريماً من وجوه سورية العربية ، وأستاذاً من أساتذة العلم الحديث الذين يسمعون أن يكون أمثالهم من الأساتذة بين ظهرائنا . نحن الذين نعيش في عصر الذرة وغزو الفضاء .

إن لفتنا الضادية التي نذرنا النفس لخدمتها والارتقاء بها لتواكب حضارة هذا العصر ، ولتكون في مستوى حضارة العصر المقبل ، بأشد الحاجة إلى عالم مختص في هذا الفرع الجديد من علوم الطبيعة ليتحمل عبء هذا الواجب الكبير ، ولنفيد من معرفته الواسعة في اختصاصه ومشاركته الطيبة في الاختصاصات الأخرى ، وليسهم معنا إسهاماً فعالاً في إغناء لغة القرآن الكريم بما استجد ويستجد من مصطلحات ، وما أكثرها ؟ أفلا يكون حرياً بنا أن نحتفل إذن هذا المساء باستقبال هذا العامل العالم ؟

ولد السيد وجيه السهان في دمشق سنة ١٩١٣ وتابع دراسته الثانوية فيها ، وكان واحداً من أظهر شبابتنا ، لم يتميز باتجاهه العلمي فحسب ، وإنما امتاز كذلك بمشاركته في فروع المعرفة الأخرى الأدبية والاجتماعية .

وقد أتم دراسته العالمية في فرنسا ، وكان أول سوري استطاع الالتحاق بالمدرسة المركزية Ecole Centrale وتخرج منها سنة ١٩٣٧ مختصاً بالميكانكا

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور حسني سبج رئيس المجمع في الجلسة التي عقدت مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ لاستقبال العضو العامل الجديد الأستاذ وجيه السهان .

والكهرباء ، وحينما عاد إلى وطنه لم تجد له سلطات الانتداب عملاً يتكافأ واختصاصه ويلتقي مع مؤهلاته فكلف بالتعليم في المدارس الثانوية ، وقبل ذلك مضطراً ودرّس مادة الفيزياء في حلب ثم في دمشق تسعة أعوام ، ألف خلالها ثلاثة كتب في هذه المادة ظل أحدها ممتداً لطلاب الشهادة الثانوية (البكالوريا) مدة اثني عشر عاماً حتى كانت البرامج الجديدة

سنة ١٩٥٨

ولما تأسست كلية الهندسة في حلب سنة ١٩٤٦ عين أستاذاً مساعداً فيها ، ثم أصبح عميداً لها حتى سنة ١٩٥٩ ، ولا أزال أذكر زيارتي له مرة في حلب ، عندما كنت رئيساً للجامعة السورية وكلية الهندسة في حلب جزء منها ، الأثر الطيب الذي خلفه في نفسي كعامل عالم وإداري منظم وإنسان يحرص على مثاليته أشد الحرص ، وتبدي لك غيرته على القيام بعمله بأحسن قيام ، فقد أبلى بلاء طيباً في تأسيس الكلية مع الصعاب الشديدة التي لقيها سواء في إيجاد المدرسين أو في تكوين المخابر واستيفاء تجهيزاتها بالأدوات اللازمة .

ولم يقتصر عمله في تلك السنوات على الاضطلاع بأعباء التدريس والإدارة وإنما أسهم في الأعمال الفنية لمشروعين كبيرين : مشروع مرفأ اللاذقية ومشروع جر مياه الفرات إلى حلب .

ودعي إلى الإشراف على شركة الجر والتنوير في دمشق والتي أمت سنة ١٩٥١ وآلت مؤسسة مستقلة فعيّن مديراً لها ، ونهض بأعبائها وأحلها من مؤسسة ابتدائية لحماً ودماً إلى مؤسسة عربية الوجه واليد واللسان .

وعين في أواخر عام ١٩٥٧ عضواً في مؤسسة الانماء ، ثم نائباً لرئيسها (وهي مؤسسة تعنى بتصميم مشاريع التنمية وتنفيذها) ثم أسندت

إليه وزارة الصناعة المحدثه عام ١٩٥٨ ققام بتأسيس هذه الوزارة أحسن قيام ، واستمر وزيراً لها ثلاث سنوات حتى أواخر ١٩٦١

وأحيل بعد ذلك إلى التقاعد ، وحرصت كلية الهندسة في جامعة دمشق على الاستفادة من عمله فهدت إليه بالتدريس بصفة أستاذ محاضر وهو اليوم يتابع جهوده العلمية العربية في المؤسسات المختلفة التي يشرف عليها أو يشارك فيها : فهو عضو في المجلس الأعلى للعلوم منذ تأسيسه عام ١٩٥٩ ، ومقرر لجنة النشر العلمي فيه ، وسبق له أن كلف بالإشراف على إدارته خلال السنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ويرأس جمعية الفيزيائيين السورية والاتحاد العلمي السوري ويدير مجلة العلوم التي تصدر في دمشق .

وإذا تجاوزنا إلى مؤلفاته التي أشرت إليها المدارس الثانوية ، فإننا نجد السلسلة من الكتب العلمية القيمة التي انطوت على لغة طيبة سليمة ، وأداء عربي صحيح ، ومصطلحات علمية جديدة في مثل :

كتاب الصواريخ والأقمار الصناعية وقد طبع عام ١٩٦٢ .

وقصة الذرة وقد طبع ١٩٦٤ .

وكتاب الطاقة الذي ترجمه عن الانكليزية .

وكتاب في مجلدين كبيرين في الكهرباء ترجمه بالاشتراك مع زملائه من

جامعة دمشق عام ١٩٦٣ .

هذا عدا عن عديد من البحوث والمقالات العلمية التي نشرت في مجلة

المعرفة والعلوم ، وأماله التي تضم محاضراته في كلية الهندسة والتي لم

تطبع بعد .

هذا هو تعريف موجز بالمهندس الأستاذ وجيه السهان الذي نستقبله في هذا الحفل ، ونذكر أن انضمامه إلى حلقتنا يسد ثغرة اشتد شعورنا بها ، تمثل في العناية باللغة العلمية بعلوم هذا العصر ، آملين أن يشتد به أزرنا ، ومقتنعين أنه سيخصص لهذا المجمع الذي يحتضنه بفخر بعضاً من وقته ليسهم معنا في تحقيق غاياته في اقتراح المصطلح العلمي .

لاني باسم مجمع اللغة العربية بدمشق أرحب بك أيها الأستاذ الكبير عضواً جديداً وزميلاً كريماً في مجتمعا توتجماً لجهودك في التعريب وامتكاملاً لهذه الجهود ومتابعة لها .

وقفنا الله إلى ما فيه خير الرب والعربية في ثقافتها ولغتها وعلومها .

الدكتور حسني سبع



م (١٥)

كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان

عن سلفه المرحوم فارس الخوري^(١)

سيدي الرئيس ، سادتي

سلام الله عليكم ورحمته ، ونحية عاطرة إلى جمعكم الكريم معقل اللغة العربية وملاذها ، وقد شارف التحسين من عمره الحافل بخدمة هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم ، لغة المدينة العربية ذات التاريخ المجيد الطويل والحكمة الواسعة والمجد التليد ، ذات الأدب الرفيع في ثمره وشعره ، لغة حضارة لمعت دهرأ بأسطع بريق ، وسادت وسيطرت وانفردت بمكاتها السامية أمداً مديداً .

لقد وكل إليكم ياسادتي أمر الذود عن تراث هذه اللغة وتقاليدها وقواعدها وإحياء علومها وجمع ماتفرق منها في بطون المكتبات في مختلف أنحاء العالم ونشر كنوزها الدفينة واستيلائها بكل جديد تحتاجه على مر الأيام وتجدد العصور ، وإعادة نضارتها وبهايتها كلها اغبر ثوبها أو ضاق عن استيعاب مولدات الحضارة الحديثة . فيا لها من مهمة كبرى ورسالة عظيمة تقومون بها على قلة في العدد والمُدد .

إن أبناء الأمة ينظرون إليكم بنظر الإكبار والإجلال والتقدير . فخليق بمن أوليتموه مثلي شرف الضم إلى ناديكم والانتساب إلى جمعكم أن يكبر لكم هذه اليد وأن يعمل جاهداً بقسطه من الواجب لتحقيق ماوضع في هذا المجمع من أمان وآمال . فاسمحوا لي أن أثبت لكم هنا شكري الخالص الذي لا أجد برهاناً عليه سوى صدق المزية في خدمة هذا المجمع ، والعمل على تحقيق أهدافه السامية بما أستطيع من قوة وعزم .

(١) الكلمة التي ألقاها المهندس الأستاذ وجيه السمان مساء الخميس في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٩ في حفلة استقباله في مجمع اللغة العربية بدمشق .

ويقضي واجب الإخلاص أن أرسل من موقعي هذا تحية الخلف المترف بالفضل إلى أعضاء المجمع الراحلين الذين سبقوا باداء الرسالة ، وكان لهم شرف وضع أسس هذه المؤسسة والنهوض بها ، وأخص منهم الرئيس الراحل الأمير مصطفى الشهابي صاحب الأيدي البيضاء ، تفمده الله وإخوانه برحمته وأحسن لهم الجزاء على ما أسدوه من خير وحسن صنيع ، وجعل لنا في خلفهم الرئيس الحالي وإخوانه الأعضاء أفضل الميوض .

مهتي اليوم أيها السادة جد شاقة . يدعوني الواجب إلى الكلام عن العلامة المرحوم فارس الخوري ، العضو الراحل الذي تفضلتم بدعوتي لشغل المقعد الذي خلا بوفاته . وفارسنا من التوابغ الذين لا يجود الدهر بأهالهم على أمة من الأمم إلا في الندر . وان من يتأمل في حياته الحافلة الطويلة المريضة وفي أعماله ومآثره العديدة الكبيرة ، يدهش من غناها وازدهارها .

كان رحمه الله متمدد الشخصيات ، كأنما تجمعت في شخصه عدة رجال نابهن عبقرين . متنوع النشاط رفيعه ، زاخر المرفقة جيدها ، كأنما يفرغ من بحر ، موهوباً موقفاً . فهو الطالب النجيب المصامي الذي لا يعول إلا على نفسه في كسب القوت وتديير وسائله ، ثم هو الأستاذ المجيد والخطيب الفصيح البليغ والكاتب والشاعر المطبوع والسياسي الحاذق ورجل المجالس النيابية ورجل الدولة ، ثم هو فارس منتديات السياسة ، المدافع عن حقوق أمته وبلاده أمام جهاذة القانون الدولي ونوابغ السياسة . وهو أستاذ القانون القدير المعب والمستشار الحقوقي الماهر والاقتصادي الناجح والمفاوض البارع ورجل الأزمات يلجأ إليه عند كل ملمة وخطب ، ثم السياسي العالمي تفتحت أمامه ميادين الأمم المتحدة ومجلس الأمن واللجنة القانونية

فبرز وجلى ، وكان في كل ذلك موضع الإعجاب والإكبار والتقدير من كل من عرفوه أو سمعوه .

إن حياة كحياته مديدة في الزمن ، حافلة بالأعمال الحيدة ، ودعت في ثلثها الأول القرن الماضي وعاصرت بل عايشت في ثلثها الأخيرين هذا القرن ، وشهدت كثيراً من الأحداث الجسام ، فلم تقف منها موقف المتفرج ، بل كان لها دورها الجلل في خدمة بلادها وخدمة العروبة ، وكان لها القدر المملّى في ميدان السياسة العالمية . . . إن هذه الحياة الطافحة بجسيم الأعمال لأعظم من أن توفى حقها في مثل هذا الموقف وفي أمد محدود حدود هذه الأمسية . لقد ألفت في سيرة فارسنا الكتب وحبرت المقالات ، وأعتقد أنه لا يزال ثمة ما يكتب عنه .

كان رحمه الله موهوباً في اللغات ، يتعلم اللغات الأجنبية بلا معلم فيتقنها ويصبح فيها خطيباً . تعلم اللغة التركية في شبابه ليتسلح بها في نضاله السياسي أيام الحكم العثماني . فانتسب إلى جمعية الاتحاد والترقي ، ثم رشح نفسه للنيابة في مجلس المبعوثان ولما فاز بالنيابة وأقام في القسطنطينية انكب على تحسين لغته التركية حتى صار يخاطب بها بذلاقة لسان وفصاحة بيان وثبت جنان . وكانت له مواقف جراءة مشرفة مع زعماء الأتراك دافع فيها عن القضايا العربية خير دفاع ، ولا سيما عن جملة الأحرار الذين سجنوا أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الثورة على الحكم التركي والعمل على التخلص منه ثم سيقوا إلى المشانق .

وفي إبان تعلمه التركية أخذ يهتم بالفرنسية لتكون له لغة المجتمعات الراقية ، ثم استفاد من إتقانه لها في عهد الانتداب الفرنسي فصار يخاطب الحكام الفرنسيين ويناقشهم ويخطبهم بالفرنسية في المناسبات السياسية ، في سورية أو في فرنسا مدافعاً عن حقوق بلاده .

وتعلم الإنكليزية في صباه وفي شبابه في مدارس الإرساليات وفي الجامعة الأميركية ، وظل طول حياته يزيد ما تعلمه منها عمقاً وإتقاناً . فمكته هذا الإتقان ، مع ما فيه من صفات الخطيب الكبير ، من البروز في محافل السياسة العالمية . وأعانتها طلاقة لسانه بالإنكليزية ، مع حضور بديهة وتوقد ذهنه وعلمه النزير وحفظه الكثير ، فارتقى إلى مراتب كبار الساسة والخطباء العالميين . فكان له في قاعات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن والمؤتمرات السياسية مواقف بيان مشهورة أكسبته تقدير أكبر الساسة في العالم ولقت إليه الأنظار فأدعى أجل الخدمات لسورية ولبنان ومصر وفلسطين . وقد كان بيانه القوي قيناً بأن يجمله يفوز في ترجيح جانب الحق في جميع القضايا التي دافع عنها ، لو أن حسن البيان وقوة الحجج واللباقة ، كانت تكفي وحدها لإحقاق الحق دون أن تدعمها قوة السلاح الناشئة . ولكن قوى الشر كانت أحياناً أكبر من أن يغلبها جلاء الحق وسحر البيان .

إزاء إتقانه لهذه اللغات الثلاث ، كان نصيب اللغة العربية ، لفة آبائه وأجداده ، لفة قومه وإخوانه ، من العناية والتهديب والمطالعة والمراجعة والحفظ النصيب الأسمى وحظها الحظ الأوفر . فأثقتها أيما إتقان ، وظل طول حياته يتعمدها بالمراجعة والحفظ . فبدأ بالقرآن الكريم ودرسه بتفاسيره حتى صار حجة في التفسير ، ودرس الحديث النبوي الشريف في أمهات كتب الحديث ، وحفظ منها الشيء الكثير ، فكان يستشهد به في أحاديثه ودروسه وخطبه ، ودرس التاريخ العربي والأدب العربي والشعر العربي ونوادير العرب وديوانهم وماثرهم ، حتى قال عنه الأستاذ محمد علي الطاهر أنه « الأصمعي وابن الأثير وابن خلدون في آن واحد ... » وأنه سحبان زمانه ولقمان دهره . فإذا دار البحث حول اللغة العربية فهو إمامها والذائد عن حرمها وحياتها . وإذا كان الكلام على الشعر فهو الشاعر والحافظ والراوي ...

راض فارسنا الشعر كما راض الخطابة والكتابة والتأليف ، وكما راض في حياته كثيراً من الأمور بمقدرته الفائقة على معالجة الأشياء باتقان وروية وعلم وحسن بصيرة . فسلمت له قيادته وانقاد له طوعاً . وأسعفته في النظم قريحة فياضة غزيرة الدر ، فجاء بقصائد مطولة من أحسن ما يمكن أن يصدر عن شاعر موهوب تحيش نفسه بالشعر ولا يتعاطى شيئاً سوى قرضه . ولو أنه أراد لأصبح من كبار الشعراء فما كانت تعوزه صفة ولا وسيلة ليكون كذلك ولكن عبقريته المنحرفة الطامحة لا تقنع بلون واحد من ألوان النشاط والفعالية مها علت مكائنه فيها ، ولا تكتفي بقطف ثمرة أو ثمرة من نتاج حقلها الخصب المزدهم بمختلف أنواع الثمار . فلم يشأ أن يكون الشعر وسيلته الوحيدة في التعبير عما يعتلج في صدره ويزدحم في خاطره ، بل تركه للإفصاح عن مشاعره وأحاسيسه الوجدانية أمام المناسبات الكبيرة والحوادث الجسام كما يليق بالشعر أن يكون وبقدرة ليكرم . فنظم في مناسبات الأحداث القومية والدولية والاحتفالات السياسية والأدبية قصائد مطولات ... في حرب الروس واليابان وإعدام شهداء أيار ١٩١٦ وللسلام على الجموع التي خرجت لاستقباله وإخوانه عند عودتهم من المنفى عام ١٩٢٨ . وألقى قصائد بديعة في مناسبات التكريم والتأبين ، وأذكر له في قصيدته التي قلمها في مهرجان تكريم شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩ ، وأقيم في هذه الدار العامرة وصفه لنفسه :

وإني إذا قارعت خصماً قرعته وخصمي من أسد البيان هصورها
فلي من جنائي جرأة لا تخوتي ولي من يئسني حجة لا أعيرها
أطاعن حسادي بسن يراعة يبر صليل الرففات صبرها

ومن محاسنه الشعرية مرثيته لشهداء أيار . قال فيها :

كان التجلد في البلوى يؤاتيني فما له حين أدعو لا يليني
ضاق الفؤاد بالأم تبرحني وفاجعات بنار الوجد تكويني
وطارد لهم عن عيني الرقاد وهل تمام مقلة موتور ومغبون

.....

أبكي على أمة لج الشقاء بها تجري إلى طالع بالبؤس مقرون
ولى الزمان عليها كل معتسف من طينة البغي والطنبان ممجون
من معشر جعلوا جلتي مفاخرم منهاج جنكيز أو أنماط نيرون
لاحت لهم فرصة في العرب سانحة فنكلوا واستباحوا كل قانون
دسوا لنا كل مغتر بيث بنا نهياً ويرجع في أموال قارون

وبما أضاف إليها في حفلة ذكرى الشهداء عام ١٩٢٥ ، وذكر حاله في

السجن إبتان محاكمة الشهداء وإعدامهم :

بكيتهم وجدار السجن يحدق بي وعين حافظه بالشزر ترميني
وصاحب الحكم عليه لكاتبه وناصب الجبل في الميدان بدعوني
الحظ قدمهم عني وأخرني حتى أرى دول التاميز والسين
تسدى الوعود بتحقيق العهود لنا عن كل حق بالاستقلال مضمون

حفظ فارسنا كثيراً من شعر العرب ، ولا سيما شعر المتنبي . وكان

لا يرضيه من الشعر إلا ما هو عالي الطبقة رفيعها . والشعر ابن المرانة والمثابرة .
وقد حالت الحياة بينه وبين أن يثابر على ما أحب منه .

كان ميدان الخطابة من أهم الليادين التي برز فيها فارسنا وجلي . بل

يكاد يكون أهمها جميعاً . لم تقتصر عبقريته على الخطابة باللغة العربية وحدها ،

بل أجاد في كل لغة خطب بها من تركية أو فرنسية أو انكليزية ... وقد أدرك ذروة الإجادة في خطبه باللغة الانكليزية حينما انفسحت أمامه منصات الخطابة في قاعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن النجاح الذي لقيته كلماته البليغة التي ألقاها هنالك في المناسبات الكبرى كالدفاع عن مطالب سورية ولبنان في جلاء الجيشين الانكليزي والفرنسي عنها ، والدفاع عن مطالب مصر في جلاء الانكليز عن وادي النيل ، ثم دفاعه الطويل عن عروبة فلسطين ، كان منقطع النظير وأثار في حينه عطف العالم أجمع ما خلا الأعداء ، وكان له أطيّب الأثر في نفوس السامعين من ممثلي مختلف الدول . وأعجب المصريون أيما إعجاب ببيانه الساحر وحججه الدامغة التي أوردها في دفاعه عن قضيتهم ، فقدموا له شكرهم بمختلف الوسائل من تصريحات رسمية وكتب شكر وإهداء أو سمة تقديرية . وامتلات الصحف العربية بذكر فارسنا وفارسهم وامتداح عبقريته البانية ، فقال عنه الكاتب العربي الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد :

« إنه من أصحاب عبقرية البيان في أرفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان . فاقتياد أعنة الكلام ، ولو في لسان غير لسانه العربي ، سليقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته وشيخوخته . »

لعبقرية البيان هذه عند فارسنا عناصر عديدة يجدر بنا أن نقف عندها قليلاً : لم يكن 'بعيد' خطباً مكتوبة ليتلوها تلاوة كما يفعل الكثير ، بل كان يهيء موضوعه ويتمثله ويكتب له خلاصة بسيطة يضمها بين يديه . وكان عند الإلقاء يوسع هذه الخلاصة بما حفظ وهياً من الموضوع ، ويطورها ويكسوها الكساء المناسب الذي يتفق مع ظرف الساعة وجو السامعين والروح المرفرف على القاعة . وربما بدل ما كان ينوي أن يقول واستبدل به قولاً آخر . لذلك فإن عبقريته البانية تستمد كثيراً من روحها من نفوس

سامعها في عالم الميان . فهو يستنبط ما يريد أن يقول حين تتلاقى الحياة بالحياة ولا يولد بيانه للاتصال به في عالم الفكر المجرد أو من وراء حجاب . أعانه على قوته الخطائية ذاكرة قوية وبديهة حاضرة وهمدوء وحلم يمكنانه من رباطة الجأش عند حاجته إلى التفكير ، فلا يطيش سهمه ولا ينال العبي منه عند الأزمات . ولا ريب في أن خبرته الطويلة في تدريس الحقوق وفي إدارة جلسات المجلس النيابي قد ساعدت على تقوية هذه الصفات في نفسه .

وإذا ذكرنا محاضراته في معهد الحقوق ، ذكرنا ذلك العدد الكبير من الحقوقيين الذين كانوا تلامذته فنبغ منهم كبار القضاة ورجال السياسة والإدارة والأعمال . وكلهم يجمع على أنه الأستاذ القوي المثالي في إتقان الموضوع الذي يدرسه وفي جودة إلقاءه له وحسن أدائه . وقد رافق معهد الحقوق منذ نشأته حتى أقصته السلطة المنتدبة عنه عام ١٩٣٦ عقاباً له على نزعه الوطنية . شغلت السياسة حياة فارسنا من شبابه إلى كهولته وشيخوخته ، فدام نشاطه السياسي قرابة أربعين عاماً : انتخب للنيابة خمس مرات خلال المدة التي عرفت فيها سورية الحياة النيابية ، ولولا التضييق عليه وإغلاق السلطة المنتدبة الباب في وجه نيابته لظل فيها مادامت هنالك نيابة . وشغل كرسي رئاسة المجلس النيابي أربع مرات . وصار وزيراً ثلاث مرات ورأس الوزارة ثلاث مرات وكان نضاله عنيفاً مع السلطات التركية أولاً ثم مع السلطات الفرنسية ثانياً . وقاسى في نضاله هذا أشد أنواع العسف والاضطهاد وهددت حياته بالخطر . ففاه الأتراك من سورية إبان الحرب ثم ففاه الفرنسيون مع إخوانه في الجهاد إلى سجن أرواد وبشوا به إلى الجيرزة ثم إلى لبنان وفرضوا عليه الإقامة الاجبارية فلم يشن ذلك من عزمه ولا من جهاده .

كان عضواً مبرزاً في أم الوفود السياسية التي بعثت بها سورية إلى فرنسا عام ١٩٣٦ للمفاوضة على معاهدة الاستقلال ، وإلى المؤتمر البرلماني بالقاهرة عام ١٩٣٨ وإلى مفاوضات تأسيس الجامعة العربية . ثم رأس الوفود السورية التي ذهبت إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ .

كان له الدور الفعال المثمر في النضال المرير الذي خاضته بلادنا في عهد الانتداب الفرنسي ، كما وفي نضال الدول العربية الأخرى . وكان لأخلاقه الشخصية من هدوء واتزان وحرصانة وفطنة ولمواهبه من ذكاء وبديهة وتوقد ذهن ، ومن علمه وأدبه وحفظه الكثير وذاكرته العجيبة أثرها البالغ في نجاحه في مجال السياسة . كان ينتخب للنيابة بالتزكية ويكلف رئاسة الوزارة عندما تشتد الأزمات ، فلا يجد السياسيون سواء كهفأ وملاذأ ، فلا يكاد يتسلم الزمام حتى تنفجر بشخصه الأزمة وتزول المشكلات .

لمت شخصيته لمعانها الباهر لما ظهر في المحافل الدولية فبز كثيرأ من أقرانه الذين جاءوا من مختلف الأمم ، وكان إذ ذاك بين السبعين والسابعة والسبعين من عمره ، أي في السن التي يضؤل فيها عادة نشاط الإنسان وتهالك قواه العقلية وتضعف ذاكرته ويفقد حيويته (١) . أما هو ، فإنه ما كادت تفتح له أبواب الأمم المتحدة ولجانها حتى وجد نفسه في الجوال الذي خلق له حقأ ، ليقوم بالمهمة التي هدفت حياته كلها إليها . فما كان منه إلا أن شمر عن مساعد الجهد وأعمل الدرس والمطالعة والتفكير وسهر الليالي في إعداد كلماته وخطبه ودفاعه وهجومه . فأبلى أحسن بلاء وظهر للملأ تفوقه وعبقريته واعتز المرء به أيما اعتزاز .

(١) وكيف يصف فارسانا في السبعين وهو القائل عن نفسه :

يشد إلى السبعين وهو مزيرها

كانت أول خطبة ألقاها في المحافل الدولية تلك التي خطبها في الثاني من أيار ١٩٤٥ في مؤتمر سان فرانسيسكو بحضور ممثلي ٥١ دولة . تكلم في آخرها عن خطورة المهمة الموكلة إلى المؤتمر ثم أبدى تفاؤله في إمكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف إليها المنظمة العالمية بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويمدد الطمع ، وبمعالجة القضايا والمشاكل بروح العقل ، ولولا ذلك لبقيت شوكة في جانب الجسم الدولي .

ثم اقترح أن تقوم محكمة العدل الدولية بمهمة حل المشكلات الناجمة والتي ستنتج ، وأن تعمل بالتعاون مع المنظمة المالية وهيئاتها . وأعلن في نهاية خطبته نبأ تشكيل جامعة الدول العربية التي اتفقت ولانها مع ولادة هذه المنظمة العالمية ، والتي ستساعد في إقرار العدل والسلم . وختم خطبته ببعض حكم عربية حول الحق والعدل ، واستشهد بقول أبي بكر رضي الله عنه فرجى أن تعتبر المنظمة القوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه الحق والضعيف قوياً حتى يرد حقه إليه .

كان لخطابه هذا أحسن الأثر في قفوس السامعين من مختلف الدول ، وبرهن على ذلك ما انهل عليه من المديح والثناء من قبل رؤساء الوفود . وذاع صيته في المحافل السياسية . ودعته جامعة جنوب كاليفورنيا بعد انتهاء المؤتمر فمنحته دكتوراه الشرف في الشؤون الخارجية في ٢٩ حزيران ١٩٤٥ وذلك ، بالاستناد إلى توصية لجنة مشتركة من أمناء الجامعة وأساتنتها اعترافاً بأعماله الممتازة في حقل العلاقات الدولية .

وزراه يقوم في مجلس الأمن في يومي الخامس عشر والسادس عشر من شباط ١٩٤٦ مرات عديدة ليدافع دفاعاً مطولاً عن حرية بلاده ويطالب بانسحاب الجيشين الانكليزي والفرنسي من سورية ولبنان . يستمد دفاعه

من عدالة القضية ومن علمه الغزير بالحقوق ومن ذكائه ولباقته وبديته ، ولا يحجم عن إيراد الشواهد والأمثلة التي تصور وضع بلاده في أذهان الحاضرين بصور بسيطة بليغة . حتى فاز هو وزميله اللبناني باكساب القضية عطف مندوبي الدول ، واستجابت فرنسا وانكلترة إلى الرغبة العامة في الجلاء .

في أواخر عام ١٩٤٦ انتخبت سورية عضواً في مجلس الأمن . فكلفت الحكومة فارسنا بأن يمثلها في هذا المجلس . وكان إذ ذاك في الرابعة والسبعين من عمره ، فظل يقوم بأعباء هذه المهمة الخطيرة طوال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ورأس مجلس الأمن مرتين أولاهما في آب ١٩٤٧ وثانيتها في حزيران ١٩٤٨ . كانت تلك الفترة من الزمن من الفترات الحاسمة في تاريخ الشرق العربي ، إذ عرضت على المجلس ، في جملة قضايا الأمن الدولي ومشكلات الدول ومنازعاتها ، قضية جلاء الانكليز عن مصر وقضية تقسيم فلسطين . هذا بالإضافة إلى انعقاد جلسات منظمة الأمم المتحدة ولجانها . وكان فارسنا يتكلم فيها جميعاً . فدافع عن قضية مصر وجلاء الجيوش الأجنبية عنها في صيف عام ١٩٤٧ حتى في أثناء رئاسته لمجلس الأمن . ولم يقتصر دفاعه على البلاد العربية وحدها بل تناول جميع القضايا التي لها علاقة بالسلم . وشمل دفاعه جميع الشعوب التي كانت على حق في مطالبها .

استمر النقاش في مجلس الأمن حول قضية مصر أياماً طويلاً تضافرت فيها جهود فارسنا مع جهود مندوب مصر . وألقى في ٢٦ آب ١٩٤٧ خطاباً باسم الوفد السوري ، لابصفته رئيساً لمجلس الأمن ، ناقش فيه حجج الخمسة الانكليزي وفند مزاعمه تفنيدياً قانونياً . وانهت رئاسته للمجلس بانتهاه آب ولكن الحدل في قضية مصر ظل قائماً يشغل جلسات عديدة

استمرت حتى العاشر من أيلول فتكلم فارستا مرة ثانية في هذا اليوم مفنداً ما جاء به المندوب الانكليزي من حجج جديدة . ولكن النقاش في المسألة المصرية أجل بدون أن يت فيه .

أعقب دفاع فارس الخوري آثاراً بليغة في مصر وسورية . وأوردت المصحف ووكالات الأنباء عنه كثيراً من التفاصيل ، وكلها ثناء وشكر واعتراف بالجميل . مثال ذلك مقاله جريدة الزمان المصرية :

« لن ينسى المصريون أبداً ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره إلى الأبد بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال . كان صوت كادوجان المندوب البريطاني لجاف يرتفع في مجلس الأمن الدولي . وتبعه أصوات أخرى توجه ضرباتها مباشرة أو مداورة إلى حقوق مصر المقدسة ، ويشير المصريون وهم يسمعون تلك الأصوات النكراء باتقباض في الصدر يستلهم لحظات طويلة أو قصيرة . ثم يخرج الأمل في الصدر ويحل محل الاتقباض عندما يدوي في ذلك المكان الصوت الذي نقشت نبراته على صفحات الأذهان : وهو صوت فارس الخوري مندوب سورية ورئيس مجلس الأمن الدولي في ليك سكيس في هذه الدورة التاريخية . فكان يلقي في ذلك الجو رهيب يضع كلمات نيرة واضحة تعبر عن آراء واضحة نيرة مثلها ، فيهدم حجة الخصم من الأساس . ولكن القضاة في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة . ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافقته المتينة الرائعة . »

وتعاقبت الأحداث سراعاً فظهرت على بساط البحث قضية فلسطين ، تلك المسألة التي يتدى لها جين التاريخ ، ليمثل منها فصل محزون جديد هو من أشد فصولها أسمى ألا وهو التقسيم . شهد فارس الخوري المؤتمر الذي عقد في لندن في مطلع عام ١٩٤٧ للدراسة هذه القضية . ولقي هناك ردنا الوغور

على بيان وزير الخارجية الانكليزي وحذر من التقسيم وعواقبه ، ثم عاد إلى نيويورك ليمضي قدماً في تمثيل بلاده في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن فمضت قضية فلسطين على الجمعية العامة لهيئة الأمم وطال بحثها في اللجنة السياسية وما تفرع عنها ، ثم في الجمعية العامة من أيار إلى تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، حتى انتهى بقرار التقسيم المشؤوم ، بالرغم من جميع الجهود التي بذلها مندوبو الدول العربية ومن بينهم فارسنا خاصة . إذ ألقى عدة خطب من أبلغ خطبه مملوءة بالحجج والبراهين الساطعة التي كانت تكفي لإحقاق الحق لو كانت الدول الكبرى تريد إحقاق الحق . وبسد نجاح التصويت على قرار التقسيم ، أبان فارسنا أن ثلثي سكان العالم أبوا الموافقة عليه إما برفضه صراحة أو بالاستنكاف عنه ، وأن الذين وافقوا عليه لا يمثلون إلا الثلث فقط من سكان العالم ، وينتمي معظمهم إلى دول فائية ليس لها صلة بفلسطين أو بالشرق الأدنى ولا بشؤون القارة الآسيوية .

لم يشن الفشل من عزيمته ولم يدخل اليأس على قلبه ، بل ظل يناضل ويكافح فجهد في منع تنفيذ قرار التقسيم أو في عرقلته . ولكن إرادات تفوقه قوة أضف أضف ، أت أن تستمع للحجج والأدلة بل كانت تريد أن تخلق دولة اسرائيل مها كلف الأمر .

سادتي : لفقيدنا الخالد مزايأ جمة نمت كلها وازدهرت ولم يغمط بعضها حق بعض . فكأنما هو من نفسه في نفوس ومن عقله في عقول ومن فهمه في أفهام . تتسع ذاكرته للأمور المتباينة وللثقافات المتضاربة ولا يصر على إدراكه شيء . ومن المدهش أن تكون شخصيته وثقافته عصاميتين . فهو لم ينل في الجامعة الأمريكية سوى شهادة البكالوريوس في الثقافة العامة . ولكنه درس الحقوق بلا أستاذ ولا مدرسة ، فنبح فيها حتى غدا في

منهذ الحقوق أستاذاً ممتازاً له مؤلفات قيمة وطلاب كثيرون معجبون به أيضاً إعجاب . درس العلوم المالية وأصول المحاكمات وصار تقيب المحامين وأصبح مرجعاً من مراجع القانون والتشريع . ولم تقتصر معرفته بالقوانين على نطاق بلاده بل تمدتها إلى الصعيد الدولي . فبرهن في الميادين الدولية على معرفته الواسعة المتينة إذ ابتلتها الأيام وامتحنتها الظروف القاسية التي مرت بها البلاد المريية ، فكانت قوية صامدة راسخة الأسس . تمكن من أن يقارع هنالك ألد الخصوم وأقواهم وهم من زهرة رجال الدول الكبيرة في السياسة والقانون . إن انتخابه عام ١٩٤٧ لرئاسة اللجنة القانونية ، وهي إحدى اللجان الست في الأمم المتحدة ، دليل ساطع على التقدير الذي كان له في نفوس كبار رجالات الأمم ، ونظير ذلك انتخابه عضواً في لجنة القانون الدولي ، وقد غدا في محيط الأمم المتحدة شخصية خيالية ولقب بطل العالم الثالث .

لخص الأستاذ محمد علي الطاهر شخصيته ، وكان جيد المعرفة به فقال :
« مناقش مداور مناور مجادل من طراز عال رفيع ، لا يقاطعك إن خدمته ولا يصادمك ولا يصول عليك في جوابه ، لأنه لقوته وتواضعه وسمو أدبه وثقته بنفسه يعتمد في مجادلته على الحججة والنص والشاهد بدون أن يحاول إفهامك أنه أقوى منك أو أعلم أو أحكم أو أوسع إحاطة . ذلك أنه قد دفع ثمن ما وصل إليه من مقام جليل غالباً ونفيساً : دفعه سهرأ ودرساً ومتاعب مدة سبعين عاماً من الأعوام التي عاشها وطواها بعزيمة ... وكم نام لداته وأنداده وهو ساهر لاينام . »

هذا هو فارس الخوري ، الذي فقد به المجمع عضواً ممتازاً ، وخسرت سورية والبلاد المريية ، بل خسرت بموته الإنسانية جماء شخصية فذة قلنا يخلفها الدمع .

سادتي : أستثنيكم الآن في الانتقال إلى موضوع آخر ذي صلة هامة بأهداف المجمع ، تهتم به جميع البلاد العربية وهو من موضوعات الساعة ألا وهو موضوع المصطلحات العلمية ، وجعل اللغة العربية من جديد لغة علمية قادرة على التعبير عن جميع فروع العلم وتطبيقاته بمثل السهولة واليسر اللذين تعبر بها اللغة الانكليزية أو الفرنسية مثلاً .

تطور المدنية في أيامنا هذه تطوراً سريعاً ، ويزداد هذا التطور سرعة في كل يوم . ذلك لأن العلم والصناعة اللذين هما عماد هذه المدنية يتقدمان بخطى حثيثة يسوقان فيها ركب الحضارة في سير منيذ ، هو في كل يوم أعجل منه بالأمس . تتسع العلوم ويعد غورها بفضل البحث والاستكشاف اللذين تنفق عليهما ألوف الملايين ، وتضخم ويكثر شمولها وتمدد فروعها ، فينقسم الواحد منها إلى عدد من العلوم الجديدة يصبح كل منها علماً قائماً بذاته له أتباعه ومريدوه ، فيأخذ بدوره بالاتساع والتعمق ثم بالانقسام من جديد وتظهر له فروع تطبيقية . وعندما يعمد الإنسان إلى الاستفادة من هذه العلوم في حاجاته اليومية تولد ألوان جديدة من التكنولوجيا والهندسة . وليس لهذا التكاثر من حد .

نسوق على هذا أمثلة ثلاثة : لقد ولدت حاجات الحرب العالمية الثانية ، في جملة ما ولدت : الطاقة الذرية والصواريخ والالكترونيات . وأخذت هذه المواليد تنمو وتضخم ويمظم شمولها . إذا نحن حققنا قليلاً في أصل هذه المواليد رأينا أن اكتشاف تفكك النواة ، الذي هو سبب انتشار الطاقة الذرية قد وقع قبل ختام القرن الماضي بأربعة أعوام فقط ، وظلت بحوث النواة في دور الاستكشاف حبيسة المختبرات حتى اندلعت نار الحرب الأخيرة فأريد لهذا المارد أن يخرج من قمعه الذي هو نواة النواة . جندوا لذلك جيوشاً من العلماء والمهندسين ورجال الصناعة وجندوا لهم الأموال بسخاء ، فما كاد عام ١٩٤٥ ينتصف حتى كان كل شيء عمداً تم ، فالنظائر المشعة صارت تستعمل في الطب ، واستخدمت الطاقة الذرية للأغراض الحربية والسلمية .

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى عمت التطبيقات وتنوعت واتسعت . فانتشرت اليوم المحطات الكهربائية الذرية في سائر أنحاء العالم واستخدمت الطاقة الذرية في تحريك السفن والفواصات وفي تحويل ماء البحر الملح إلى ماء عذب ، واستخدمت النظائر المشعة في الطب للكشف والمعالجة وفي الزراعة لتعين على دراسة التربة والنبات وتحسين نموه وعلى إبادة الحشرات الضارة وفي الجيولوجيا والآثار لأغراض شتى ، وفي الصناعة لكثير من التطبيقات كما استخدمت القنابل الذرية والحرارية النووية للحرب والسلام ، فتستعمل الآن لحفر الكهوف والأنفاق والترع . وبطلع علينا كل يوم شيء جديد في هذا الباب .

أما الصواريخ ، فهي وإن عرفت قدماً في الصين وعند العرب وفي الغرب ، فإن إنتاجها الضخم بشكلها الحديث قد حصل في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية على يد الألمان . وسرعان ما تسلمت الدول الكبيرة المنتصرة تركة ألمانيا النازية فوضعت اليد على العلماء والمهندسين وعلى ما استطاعت أن تظفر به من مصانع وصواريخ وقطع في الأرض المفتوحة . وفي خريف ١٩٥٧ قذف الروس بأول قمر صناعي إلى الفضاء ليدور حول الأرض . وما زالت الأموال الضخمة تنفق في هذا الباب بالمليارات العديدة كل عام ، وأصبح عدد العاملين في مملكة الفضاء يقدر بمئات الألوف . حتى دار الإنسان حول القمر وأرسل رسله الآلية لتجوس أرجاء الزهرة والمريخ وأصبح دوران مركبات الفضاء حول الأرض وسباحة الإنسان في الفضاء من الأمور العادية التي نسمع بها كل يوم فلا نجد فيها غرابة . واستعملت الأقمار الصناعية لدراسة الأرض والفضاء والكواكب ولدراسة الأحوال الجوية والأنواء وتسهيل سبل المواصلات اللاسلكية والملاحة البحرية والجوئية ونقل برامج التلفزة ، كما صارت تستعمل للمراقبة والتجسس .

م (١٦)

وأما الألكترونيات فوُلدت مع الحرب العالمية الأولى وانتشرت تطبيقاتها فيما بين الحربين في مصابيح الراديو والخلية الكهربائية الضوئية وبدء تجارب التلفزة . ثم جاءت الحرب الثانية فدفعتها إلى الأمام دفعا قويا أظهر أجهزة الرادار والتوجيه اللاسلكي . وظهرت لها بعد الحرب تطبيقات واسعة عديدة منها الانتشار المدهش للتلفزة والترانزستور واستعمال الأمواج المرترزية المتناهية القصر في الاتصالات اللاسلكية . وأهم تطبيق للألكترونيات هو بحق في الآلات الحاسبة الإلكترونية .

ظهرت هذه الآلات في نشأتها الأولى قبيل الحرب الثانية وتحسنت في أثنائها ، ثم أخذت بعد الحرب تتطور وتحسن حتى غدت اليوم على درجة عالية من الكمال لا يفوقها إلا ما يرتقب لها في الغد من تحسين وتطوير جديدين كانت تستعمل في الأصل في المختبرات العلمية الكبيرة لتقوم بالعمليات الحسابة المعقدة الطويلة التي يحتاج إنجازها إلى جهود عدد كبير من العلماء والحاسبين وإلى زمن طويل جداً يقضونه في حسابات مضية . صارت الحاسبات الألكترونية تنجز هذه الأعمال في دقائق . ثم أخذ نطاق استعمالها يتسع وأدخل عليها التعديل والتحسين لكي تتمكن من القيام بأعباء مهمات متنوعة وظهرت منها زمر وأصناف كل زمرة لها وظيفة وتخصص ، واستمر التحسين والتطوير إلى اليوم . وكلما تقدم علم الألكترونيات استفيد من مكتشفاته الجديدة في استيلاد جيل جديد من الآلات الحاسبة .

تستعمل هذه الآلات الآن في شتى الميادين ، وذلك حسب أنواعها . لقد أصبحت ، بالإضافة إلى قدرتها الفائقة على الحساب آلات مفكرة ذات ذاكرة واسعة جداً يرجع إليها عند كل عقبة . تلقى عليها الأسئلة العويصة فتجيب عنها بمنتهى الضبط والإحاطة .

تستعمل في تسيير المعامل الكبيرة التي طبق فيها نظام العمل الآلي ، وتستعمل في إدارة المؤسسات وتوجيهها في الطريق الصحيح من حيث العمل وحسن التصرف بالأموال ، وفي تنظيم سير القطارات على شبكات السكك الحديدية الكبرى ، وفي تنظيم السير في المدن المزدهمة . وتقوم في دور البيع الكبيرة بتدوين الحسابات وفرزها وإعداد الفواتير وبيانات الأرباح والخسائر ، وتستعمل في أعمال التصميم الهندسي للمشروعات الكبيرة والصعبة وتعتمد عليها مراكز إطلاق الصواريخ وتسيير مراكب الفضاء ومحطات توليد الطاقة . وتعتمد عليها الدوائر العسكرية في إعداد خطط الدفاع والهجوم وتحريك أسراب الطائرات وإعداد عمليات السوق . ويتسع نطاق تطبيقها في كل يوم . وقد بلغ من اتساع ذاكرتها الصناعية أنها غدت قادرة على استيعاب وحفظ علم كامل كالفيزياء أو الكيمياء ، فلا يلقي عليها سؤال في أحدهما إلا أجبت عنه بدقة ، بقدر ماتتسع له المعلومات التي أودعت ذاكرتها . وأصبحت تقوم مقام مكتبة كاملة بكتبها ومجلاتها وجزائرها . وهذه المناسبة أذكر أنه قد ولد بفضلها علم جديد يسمى Informatique وهو في الواقع فن معالجة المعلومات والمعرفة بواسطة العقول الالكترونية . كما ولد علم آخر يسمى Cybernétique وبمعالج وسائط الاتصال والإفصاح والسيطرة والتحكم لدى الانسان وفي الآلات ، كما يبحث في أوجه الشبه بين العقل البشري والعقل الالكتروني .

من أمثلة الاستعمالات القريبة للدماغ الالكتروني ، ما يراه الأطباء من الفائدة في إقامة مركز الكتروني تودع لديه الاستمارات الصحية والطبية لجميع المواطنين في القطر ، ويكون لكل مواطن رقم خاص به ، فاذا قصد هذا المواطن طبيباً لمرض أم به ، يتصل معاون الطبيب فوراً بهذا المركز بواسطة جهاز اتصال خاص كالهاتف ، فيحصل في مدة دقيقة على

صورة كاملة للاستشارة الصحية لهذا المريض ، فيقدمها المريض إلى الطبيب عندما يستقبله .

تجري تجارب كثيرة للاستعانة بالعقول الالكترونية في التعليم . ونذكر أن بعض أنواع هذه الآلات قد صنع لترجمة النصوص من لغة إلى أخرى ، ويشترط أن يكون النص الذي يترجم قد كتب بأسلوب لا تعقيد فيه ، واختيرت كلماته ومصطلحاته بدون أن يكون لها تعداد في المعاني .

يقدر الآن أن العقول الألكترونية ستحل في المستقبل القريب محل العديد من الجماعات المفكرة . وتبارى الشركات التي تصنعها ، وهي من كبار الشركات في العالم ، في تحسينها . واستنباط أصناف جديدة منها تكون قشراً جديداً في عالم التطبيق . مثال ذلك أن شركة I. B. M. قد وظفت مؤخراً مبلغ خمسة مليارات دولار لإنتاج صنف جديد من الآلات الحاسبة تعد صنمه الآن ليكون النموذج التقدمي لهذه الآلات في المستقبل القريب .

اقتصرت أيها السادة على التنويه بهذه الأصناف الثلاثة من المكتشفات الحديثة لأعطي فكرة تقريبية عن مدى التقدم العلمي والصناعي . وإن وسائل الإعلام تنبينا كل يوم عن مكتشفات ومخترعات جديدة .

سادتي : إن لغتنا العربية التي حوت أوسع كنوز الأدب وانسجت للفلسفة والعلوم ققامت بأدائها خير قيام أصبحت بحق لغة المدنية والحضارة خلال قرون طويلة . ثم اعترها ركود ، واتفق لسوء الحظ أن وقع هذا الركود في إبان النهضة الأوربية وما تبعها من رقي إلى الآن . فبثت الآداب والفنون ونشأت العلوم الحديثة وارتقت الصناعة وازدهرت المدنية . ونشأت اللغات الأوربية الحية فسارت هذا الرقي واستطاعت أن تضع الكلمات والمصطلحات لجميع ما أبدعه الرقي من محدثات جديدة . فبلغ عدد المصطلحات المليئة عشرات الألوف . وهناك معجمات مستقلة لكل علم أو فن بفرده .

لا تستقيم لأمة حضارة ولا قوة إلا إذا كانت لغتها على المستوى الرفيع الذي يمكنها من البحث والتدريس والتعبير والتأليف في جميع مقومات هذه الحضارة .

ونحن نشعر جميعاً باستحكام أزمة المصطلحات العلمية وتزايد خطورتها كل يوم . وأن أخطر ما فيها هو هذه الفوضى النازلة بها . فكل قطر عربي مصطلحاته الخاصة ، وتتبع في القطر الواحد مصطلحات تختلف من مؤسسة إلى مؤسسة ومن جامعة إلى جامعة ، بل من كلية إلى كلية وأستاذ إلى استاذ . وقد بذلت جهود حميدة تقصد إدخال شيء من النظام على هذه الفوضى القائمة . فقامت الجامعات اللغوية بقسط من هذا العمل وظهرت بعض المعجمات في مصطلحات الطب والعلوم الحيوية والطبيعية ، وألفت الجامعة العربية مكتب التعريب في الرباط ليقوم بجمع المصطلحات من مختلف الأقطار العربية ودفعها إلى مؤتمرات تعقد بين الفينة والفينة لتنظر فيها وتقرها ، ولا يزال ترتقب انعقاد هذه المؤتمرات للاستفيد من ثمراتها .

إن الواجب المفروض علينا في هذا النطاق جد كبير ، ولا مندوحة لنا عن النهوض ولو بقسم من أعبائه . فلنشمر عن ساعد الجد مستعينين بالله وهو ولي العون والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وجيه السمان



الغلطات المطبعية

الواردة في مقالة «قوات الوفيات في طبته الجديدة»
في القسم الأول من نقد الجزء الثاني
«مجلة المجمع»: المجلد ٤٣ ج ٤ ص ٧٤٩ رجب سنة ١٣٨٨ هـ

الصفحة	السطر	الوارد	الصواب
٧٥٠	٦	الطبقة الأولى	الطبقة الأولى
٧٥٢	١	بجاية	بجاية
٧٥٣	٢	حواشيه	حواشيه
٧٦٤	٧	هو أنها	هو أنه



تصحيح بعض الأخطاء

الواردة في الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٧	قسم	قيم
١١٤	٨	الفائية	الفائية
١١٤	١٣	أي الفكر	الى الفكر
١١٦	٤	ضبطت	خبطت
١١٩	١٩	الفائة	الفائية
١٢٠	١٠	التعلم	التكلم
١٢٠	١١	فالتعلم	فالتكلم
١٢٠	١٥	التفهم	التفهم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	١٦	وصرفت	وصدقت
١٢١	٢٣	قلما يدل	فكأ يدل
١٢٤	٢٣	المتدل	المقول
١٢٧	٨	وبهذا	ولهذا
١٢٨	٥	في الأصل مبنية	لأن العادة في الأصل مبنية
١٢٨	١٢	بالجمال	للجمال
١٣١	١٨	ليقاس	يقاس
١٣٣	٣	للفظ	اللفظ
١٣٣	٨	العرض	العرض
١٣٣	٩	الجمع بينها	الجمع بينها
١٣٤	١	جاؤا	جاؤوا
١٣٤	٩	أدنى توجبه	أدنى إلى توجبه
١٣٥	١٣	التقديس	النقد ليس

الدكتور جميل صليبا



غلط وصوابه

ورد في الصفحة ٢٤٥ من الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع والأربعين

وجدت في ما ذكره الأستاذ الكبير السيد عدنان الخطيب من ترجمة
المرحوم عيسى اسكندر الملوغ، وذلك في المدد الأخير من مجلة الجمع قطعة
من قصيدة لي في رثاء الملوغ. وقد جاء في القطعة من غلط الطبع.

ظفر الملم بمملوئية من براع (كالرياض) وضاء

وصوابه: من براع كالرياحين.

وجاء في القطعة أيضاً :

يا (أبي) التاريخ بُلِّغْت ذريَّ لم تحِ علياًؤها للنظراء
وصوابه : يا أبا التاريخ .

وجاء أيضاً :

أم تولَّته (يد) طاغية سخر العلم لشرِّ وشفاء
وصوابه : أم تولَّته يدا طاغية .

ثمَّ انَّني وجدت الألف الممدودة ، في كلِّ مواضعها من القطعة ، لم يجعل عليها مرتب الحروف المدَّة . في حين أنَّ المدَّة ترسم على الألف الممدودة لأنَّها تمده باللفظ أيضاً . بمعنى أن ألف « السماء » تكون أطول من ألف « السَّماع » ، مثلاً . وقد اختلفوا في تقديرها بين ألفين إلى ستِّ ألفات (انظر [البيان] للإمام البيهقي ، و [الإتيان] للإمام السيوطي) .

ذلك ، وإن قيل في الرِّدِّ على ما هنا ، إن علامة المدِّ من فوق الألف في مثل كلمة السَّماء ، تمحذف في الرسم ، لأنَّ المدَّ على الألف تمويض عن همزة مفتوحة قد حذفت ، وأصل كتابتها هكذا « أا » ، مثل مآرب ، فلا يجوز وضعها على مثل « الرِّجاء » ، و « السَّماء » ، لأنَّها لا تلفظان « الرِّجأا » ، و « السَّمأا » .

ولقد أخذ الإمام البيهقي في هذه الكتابة بالرأي الأوَّل ، وجرى عليه في « الجنان » ، و « الطيب » ، و « البيان » ، و « الضيَّاء » ، وفي كلِّ كتاب وضعه ، أو وقف على طبعه . وأنا من الذين يحبُّون أن يأخذوا إحداه في كلِّ نكتة لغويَّة .

(بيروت) أصبى نخلة

